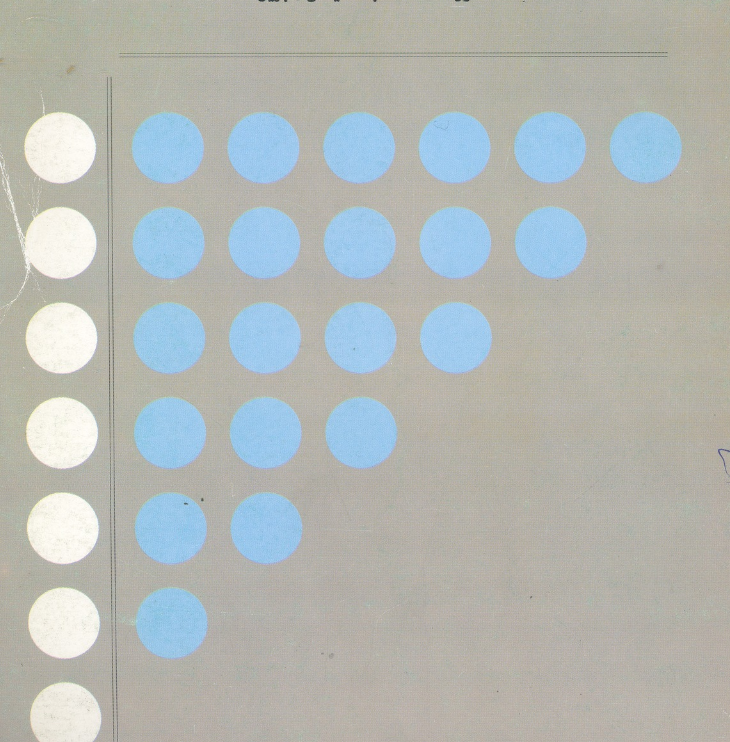
مجلة العلوم الاجتماعية

العدد الأول - السنة السابعة - نيسان / ابريل ١٩٧٩



مجلة العلوم الاجتماعية

تصدر عن جامعة الكويت

العدد الاول ـ السنة السابعة ـ نيسان / ابريل ١٩٧٩

فصلية أكاديمية علمية متخصصة بالشؤون النظرية والتطبيقية في مختلف حقول العلوم الاجتماعية وتنشر موادها بالعربية والانجليزية

توجه جميع المراسلات والأبحاث باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :

مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت - الكويت

جميع الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهه نظر اصحابها ، ولا تعكس بالضرورة راي المجلة .

• ثمن العـدد : ٢٥٠ فلسـا كويتيـا أو ما يعادلهـا في الخـارج .

● الاشتراكات :

للافراد سنويا ، دينار في الكويت ، ديناران كويتيان او ما يعادلهما في الوطن العربي (بالبريد الجوي) ، ثلاثة دنانير او ما يعادلهما في سائر العالم (بالبريد الجوي) ، وللطلبة أسعار خاصة مخفضة .

اما الاسعار للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية في الكويت وخارجها فمفتوحة بحدها الاقصى ، ولا تقل عن عشرة دنانير في حدها الادنى .

المحتــويات

كلمة العدد

مع ولادة كل عدد جديد من « مجلة العلوم الاجتماعية » يختفي — دوما — تعب الاشهر الثلاثة الماضية التي نكون قد قضيناها في اختيار مواده وتحريرها واخراجها وطبعها . بل مع ولادة كل عدد ، نجد نشاطنا وقد تجدد تمهيدا لاصدار عدد آخر . فيا لروعة الولادة المكتملة والناضجة !

غير أن تجدد النشاط اليومي لدينا له منبع آخر . فرسائل التشجيع التي نتلقى مع اطلاله كل يوم ، سواء صدرت عن قراء أو مشتركين أو مساهمين ، هي التي تمسح العرق عن جباهنا ، وهي التي تزودنا بالطاقة المتلاحقة لنغذ السير ابدا الى الامام . فيا لروعة التقدير الواعي !

ولا يسعنا وقد انضم عضوان جديدان (هما الدكتوران اسماعيل زابري وايليا زريق) الى باقة رجال الفكر والمسؤولية في هيئة التحرير الجديدة ، لا يسعنا الا الترحيب بهما وشكرهما على عطائهما الموعود والمتوقع . فيا لروعة الاكتاف الجديدة التي ستحمل معنا كل الاعباء القادمة .

ومجددا نقول : ليكن هذا العدد خطوة جديدة في مسيرة اكاديمية واثقة نحو تطوير العلوم الاجتماعية عند العرب .

رئيس التحرير

نحو سياسة بترولية عربية مشتركة

د. حميد القيسي *

مقدمـــة :

هدفنا بهذا البحث هو لفت الانتباه الى بعض جوانب السياسة البترولية العربية المشتركة وليس التركيز على سياسة بترولية مشتركة لاقطار منطقة الخليج العربي فقط نظرا لاستحالة وضع سياسة بترولية مشتركة خاصة باقطار هذه المنطقة ، لما تتميز به هذه الاقطار من محدودية الموارد الاقتصادية غير البترولية وصغر اسواقها وكونها اقطارا ذات مسئولية قومية ودوليـــة بوصفهم اعضاء في منظمة الدول العربية المصدرة للبترول (الاوابك) ومنظمة الاقطار المصدرة للبترول (الاوبيك) . كل هذه السمات تجعل من غير المعقول والعملي ان نبحث في سياسة نفطية خليجية مشتركة . واقل ما يمكن معالجته في اطار التكتلات الاقليمية هو معالجة موضوع سياسة بترولية عربية مشتركة .

ان أركان السياسة البترولية المشتركة كثيرة وواسعة ، ولها من الاهمية ما يجعل من الضروري معالجة كل ركن على حدة ، وفي ورقة مستقلة . لذا ونظرا لضيق المجال سوف يقتصر بحثنا على بعض الاركان دون غيرها ، مسترشدين في اختيارنا بمقياسي الاهمية وقلة ما أعطي اليه من انتباه في الماضي . الا ان ذلك لا يعني بأية حال من الاحوال عدم أهمية الاركان التي لم تعالج .

كما من المفيد ان نتذكر بأن اصواتا كثيرة قد تحدثت ، خلال الربع قرن الاخير ، عن وجوب اتباع سياسة بترولية مشتركة . ولقد اكدت هذه الاصوات على أهمية هذه السياسة وضرورتها . الا انه من المؤسف حقا ان تكون هذه الاصوات نفخة في رماد أو مجرد حبر على ورق . فهي لم تجد من يستمع اليها من المسئولين عن السياسة البترولية العربية . لذا اعتقد ان اى باحث في مثل هذه المواضيع يشعر باشمئزاز ومرارة عندما يضيف صوته الى تلك الاصوات لقناعته التامة بأنه سوف لا يجد الحماس لدى من يستمع اليه ، اذ انه مقتنـــع بأن الدول العربية المنتجة للبترول سائرة في فلك محدد سلفا،ولا زالت التيارات

---

* استاذ اقتصاديات البترول بكلية التجارة في جامعة الكويت .

الاقليمية هي الطاغية في تلك الاقطار ولم نصل نحن العرب في وعينا القومي الى مرحلة الالتزام بسياسة بترولية مشتركة . على اي حال من الصعب على صاحب الرسالة ان يتخلى عن رسالته اذا كان مؤمنا بها ويعتبرها واجبا مقدسا ، فلعل الاجيال القادمة تعي مصلحتها وتسعى لتحقيقها بمعزل عن اى اعتبارات اقليمية (١) .

اركــان السياســة البتروليــة المشتركــة :

ايــة سياسة بترولية عربية مشتركة تعني العمل المشترك لمعالجة وتنفيذ سياسة عقلانية تخدم الاقطار الاعضاء في اهم الانشطة الاقتصادية في حقل البترول . كما أن اية معالجة لمثل هذه الانشطة البترولية يجب ان تقوم على دراسات علمية من الدرجة الاولى ومبنية على بحوث اصيلة تقوم بهــا الاطراف المعنية وتعتمد على حقائق ميدانية مستقاة بواسطة الجهات ذات العلاقة ، واضعة الهدف المشترك نصب اعينها بدون أية اعتبارات سياسيــة محلية او دولية .

يمكن ادراج اركان السياسة البترولية المشتركة للاقطار العربية المنتجة للبترول في الحقول التالية :

١ ــ السيطرة على الانتاج والاسعار : اتباع سياسة سعرية موحدة للنفط الخام ومنتجاته البترولية ومعالجة ما يسمى بمشكلة فروقات الاسعار .

٢ ــ اتباع وسائل الصيانة الحديثة للموارد النفطية وما تتضمنه هذه الوسائل من الانتاج المشترك للحقول المشتركة بهدف المحافظة على ضغوط هذه الحقول ومواردها الغازية والنفطية وتنويع صناعة البترول وما تتضمنه من مشاريع الغاز المشتركة .

٣ ــ انشاء مصافي عربية متكاملة .

٤ ــ القيام بمشاريع بتروكيماوية متكاملة .

٥ ــ تنسيق نقل النفط والغاز وما يتضمنه هذا التنسيق من حذف لاساطيــل النقل المحليــة .

٦ ــ تنسيق السياسة البترولية في الحصول على اسواق دائمية في الــدول المستهلكة للبترول سواء كانت دول متقدمة اقتصاديا أم نامية .

٧ ــ تنسيق الاستثمارات البترولية داخل الدول العربية وخارجها .

٨ ــ تنسيق الحصول على الخدمات البترولية للدول العربية ويدخل في ذلك الحصول على التكنولوجيا النفطية .

٩ ـ تنسيق الاستغلال لما يسمى بالفوائض المالية البترولية داخل المنطقة العربية وخارجها .

١٠ ـ سياسة طاقة مشتركة وما تتضمنه هذه السياسة من اجراء بحوث وبعث معرفة تتعلق ببدائل الطاقة المتوفرة في المنطقة العربية وخارجها .

١١ ـ تنسيق السياسة الخاصة بالتدريب وتوفير الايدي العاملة للصناعة النفطية وتوفير وسائل المعرفة بما في ذلك التوثيق النفطي وفعاليات الاعلام .

هذه هي اهم اركان السياسة البترولية العربية المشتركة في الوقت الحاضر اذا كلنا نسعى نحو مثل هذه السياسة ، علما باننا كدول عربية منتجة للبترول قد بدانا فعلا في اتباع سياسة مشتركة في بعض هذه الحقول ، الا ان البداية هذه قد جاءت متأخرة جدا ولم نخط لحد الان خطوات كبيرة في هذه الانشطة . ونذكر على سبيل المثال المشاريع المشتركة التي ظهرت تحت رعاية منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول والمتمثلة في النقل والخدمات والاستثمارات البترولية ، رغم ان مثل هذه المشاريع قد واجهت مشاكل وصعاب تحتاج الى معالجة ملحة وسريعة كما هو الحال بالنسبة لشركة النقل البحري العربية . (٢)

من اين تنطلق السياسة البترولية المشتركة ؟

كان انطلاق شعار السياسة البترولية العربية المشتركة في مؤتمر البترول العربي الاول الذي عقد في القاهرة في العام ١٩٥٩ تجسيدا لكل شعور قومي واهداف لبعض احزاب تلك الفترة في السعي لتحقيق عمل عربي مشترك في المجالات الاقتصادية المختلفة . ان هذه الانطلاقة كانت الاولى من نوعها ولقد تبعتها انطلاقات متعددة في المؤتمرات والندوات البترولية المتلاحقة . الا انه سرعان ما اختفت مثل هذه الانطلاقات حالما تنهي هذه التجمعات اعمالها وتبقى مجرد شعارات تراود الجميع . وبقي الحال كذلك حتى انبثقت منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول في العام ١٩٦٨ فتضمنت اتفاقيتها نصوصا صريحة تسعى نحو سياسة بترولية عربية مشتركة . لذا تعتبر هذه المنظمة القلعة التي انطلق منها نشاط التنسيق في السياسة البترولية العربية ويجب ان تبقى الركيزة الاساسية لكل انشطة السياسة البترولية المشتركة .

لقد اعطت المادة الثانية من اتفاقية المنظمة لتنسيق السياسات البترولية بين الاقطار الاعضاء (وهم عشرة في الوقت الحاضر) اهمية خاصة لما للتنسيق من اهمية في تنظيم فعاليات هذه المنظمة بما يخدم مصالح الدول الاعضاء .

كما ان المـــادة التاسعة والعشرين قد ابرزت مثل هذه الاهمية عندما نصت على أن « سياسات الاعضاء المتعلقة بالشئون البترولية ذات أهمية مشتركة وعلى ذلك يتعهد الاعضاء بالتشاور فيما بينهم وفي نطاق المنظمة لتنسيق موقفهم وما يتخذونه من اجراءات ازاء الاوضاع والظروف الجارية في صناعـــة البترول . (٣)

كما ان الواجب التاريخي الملقى على المنظمـــــة في تنسيق السياسة البترولية العربية وتوحيدها لم يكن خافيا على منشيء هذه المنظمة الاقليمية أو من قام بادارة امانتها العامة . فقد تقدم امين عام المنظمة بمذكرة مسهبـــة الى الدول الاعضاء شارحا مبررات التنسيق واهميته بالنسبة للاقطار العربية المصدرة للبترول . ولقد نوقشت المذكرة وموضوع التنسيق في اجتماع المجلس الوزاري الثاني عشر الذي عقد في القاهرة بتاريخ ١٠ يوليو (تموز) ١٩٧٤ ، حيث ادرك الجميع أهمية التنسيق والعمل المشترك « مع اعطاء الاولويـــة للموضوعات التي يوجد حولها اتفاق عام من حيث الهدف والتوقيت اللازمين للتنسيق الفعال (٤) . وبناء على هذه المناقشة أخذت الامانة العامة للمنظمة على عاتقها واجب « متابعة » التنسيق في السياسات البترولية العربية . وليس ادل على وعي المنظمة لدورها الريادي في تنفيذ السياسة البترولية العربية الموحدة من قولها في تقرير المنظمة السنوي الثاني المرفوع الى المجلس الوزاري في تشرين ثاني نوفمبر ١٩٧٥ « ان الدول الصناعية المستهلكـــة للنفط تراقب التطورات النفطية في الدول المنتجة بحرص وعناية ، وهي في نفس الوقت تراهن على تفكك جانب الدول المنتجة كلما حاولت الدخول فـــي مراحل النقل والتصنيع والتسويق بصورة غير منسقة فيما بينها . لانها فـــي هذه الحالة ستجد نفسها تتنافس على اسواق الدول الصناعية في تصريف انتاج صناعاتها النفطية وتشغيل ناقلاتها التي استثمرت فيها الكثير من اموالها وعلقت عليها آمالها في التنمية والتقدم . ان الطريق الوحيد للحيلولة دون وقوع المنتجين في مثل هذا المنزلق المخيف هو دعم التعاون والتنسيق فيمـــا بينهم . (٥) .

ان الواجب التاريخي الملقى على المنظمة في تنسيق السياسة البترولية العربية نابع عن الظروف المحلية والدولية التي تجد نفسها فيها . اذ بعد أن اصبحت الدول المنتجة للنفط مسيطرة على معظم مواردها النفطية وتقوم بتقرير سياسة الانتاج والبيع والتسعير وتعيين اسلوب التصنيع والنقل ، أضحى موضوع تنسيق السياسات النفطية بين الاقطار الاعضاء في المنظمة مـــن الاهمية بمكان ، بحيث يجعل اختفاءه أو تناسيه مضرا بالمصلحة الوطنية ويحول دون تحقيق الاهداف الاقتصادية والسياسية المنشودة من السيطرة

الوطنية ، ومن ثم يحول دون تحقيق مصالح الجميع كما عبرت عنها اتفاقية المنظمة ، وخاصة في عالم قد تميز بتجمعات الدول المستهلكة للنفط لتحشيد الجهود والمجابهة مع الدول المنتجة للنفط والتي توجت بتأسيس وكالة الطاقة الدولية في نهاية العام ١٩٧٤ . (٦)

اننا نؤكد على كون منظمةالاقطار العربية المصدرة للبترول هي الركيزة التي تنطلق منها الفعاليات المتعلقة بالتنسيق رغم ادراكنا بأن ما حدث خلال العشر سنوات الاخيرة ــ وهو ما مضى من عمر المنظمة ــ في مجالات التنسيق لم يكن بالشيء الكبير او الكثير . الا أن تأكيدنا هذا منبعث من حقيقة ان هذه المنظمة تضم الدول العربية العشر المصدرة للبترول ويديرها مجلس وزاري يتكون من وزراء النفط للدول الاعضاء والذي يجتمع على الاقل مرتين كل سنة للمناقشة وتبادل الافكار والتجارب . واين لنا من منظمة اكثر تماسا بالصناعة النفطية العربية والدولية من هذه المنظمة .. ؟ واين لنا من منظمة مجلس ادارتها اكثر صلة بالسياسات النفطية المتبعة في الدول العربية المنتجة للنفط .؟

من المؤسف حقا ان نقول بأن اي استعراض لفعاليات المنظمة في مجالات التنسيق في السياسات البترولية العربية تجعلنا نصل الى الحقيقة المرة التي تشير الى أن الدول الاعضاء لم تحرز نجاحات ملموسة في هذا المجال . وان ما حققته في بعض انشطة العمل المشترك لا يكون الا جزءا صغيرا من المجالات المتاحة والمسئوليات المطروحة ، كما ان ما حققته من نجاح نسبي في انجاز المشاريع المشتركة سيعتمد في النهاية على مدى فعالية تنسيق السياسة النفطية والتعاون بين اقطار المنظمة . ان المنظمة لم تنجح في وضع اسس صلبة لسياسة نفطية موحدة ولا زالت الاقطار الاعضاء تتبع سياسات نفطية خاصة بها . لذا من المحزن أن نرى الفوضى الموجودة في الانتاج والتسعير وفي تخطيط تنفيذ مشاريع البتروكيماويات والتكرير والنقل في الدول الاعضاء .
ان تقييم قدرات وقابليات هذه المشاريع ومدى منافسة البعض للبعض الاخر والحاجة اليها أمر حيوي يحتاج الى معالجة سريعة والا وجدت الاقطار العربية المنتجة للنفط نفسها في حالة تنافس على الاسواق فيما بينها نظرا **لاطناب** قابليتها . لقد عولج هذا الموضوع مرارا وتكرارا في المؤتمرات والندوات العربية التي عقدت في السنين الاخيرة ، الا أن نتائج هذه المعالجة لم تتعد نطاق البيانات التي نشرت بعد انتهاء هذه المناسبات . والانكى من كل ذلك ، ان منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول كانت ولا تزال مكتوفة الايدي ازاء مثل هذه الفوضى ، ولم تعالج اجتماعات مجالس وزراء النفط اي تنسيق جدي في مجالات الانتاج والتسعير أو تخطيط وتنفيذ مشاريع بتروكيماوية او

مصافي متكاملة . ومن المضحك المبكي ان مجرد التطرق الى موضوع الاسعار وبرمجة الانتاج يعتبر كفرا ما بعده من كفر اذا عرض للنقاش في اجتماعات العاملين في المنظمة او في مجالسها الوزارية . لذا لا غرابة في مشاهدة المواقف المتناقضة للاشقاء العرب في اجتماعات منظمة الاوبيك أو في المحافل الدولية النفطية الاخرى او في اتباع سياسات نفطية متناقضة في التسعير والتسويق .

ونظرا لاتساع مجال التنسيق في السياسات النفطية العربية ، سيقتصر بحثنا على تناول جوانب معينة منها ــ كما أسلفنا ذكره ــ وسنتناول بالذات الاركان التالية :

١ ــ السيطرة على الانتاج ومن ثم الاسعار للنفط الخام .

٢ ــ اتباع وسائل الصيانة الحديثة في استغلال الموارد النفطية في اقطار منطقة الخليج العربي بصورة خاصة .

السيطرة على انتاج النفط واسعار النفط الخام :

ان معالجة موضوع الفوضى في انتاج النفط العربي وما يترتب على ذلك من ارتباك في تسعيره من الامور الملحة التي لا يمكن لاية دراسة اغفالها على الرغم من تكرار البحث فيها . اذ ان الانتاج والاسعار وما يتبع ذلك من عوائد مالية تعتبر الاساس في كل ما يقام من مشاريع نفطية أو تنموية وبالتالي تعتمد عليها مسيرة الاقطار العربية في ركب التنمية والتقدم .

يبلغ انتاج النفط الخام للاقطار الاعضاء في منظمة الاوابك حوالي ٣٢ ٪ من مجموع الانتاج العالمي ، واحتياطياتها منه حوالي ٤٨ ٪ من الاحتياطي العالمي . كما تبلغ صادراتها من النفط الخام الى مجموع النفط الذي يدخل في التجارة الخارجية للعالم حوالي ٥٤ ٪ من المجموع العالمي . وبناء على ذلك فان هذه النسب العالية لها تأثيرها فيما يعرض من نفط في الاسواق العالمية وبالتالي على الاسعار التي يباع بها هذا النفط كما هو واضح في الجدول رقم (١) .

ولما كانت عوائد النفط تشكل الجزء الاهم من الدخل القومي ودخل الحكومات للعديد من الاقطار العربية المنتجة للنفط ، وتكون بذلك العمود الفقري للفعاليات الاقتصادية والمشاريع التنموية فيها ، لذا فترك كمية الانتاج وبالتالي الاسعار التي يباع بهاالنفط لعوامل السوق أو لعوامل سياسية بعيدة عن خدمة المصالح المشتركة من الخطورة بمكان بحيث يجعل من الضروري الالتزام بسياسة منسقة بين الدول العربية المنتجة للنفط في مجال الانتاج .

وعلى ذلك لا بد من السيطرة على انتاج النفط الخام اذا اردنا ضمان استقرار الاسعار أو ارتفاعها حسبما تمليه مصلحة المنتجين (انظر الجدول رقم ٢) .

ولا غنى عن القول بأن التبريرات التي اعطيت في السنين الاخيرة لتبرير عدم تقنين الانتاج امثال « الالتزام الحضاري نحو العالم المستهلك » و « عدم عرقلة النمو الاقتصادي في العالم الغربي » و « كسب امريكا لتأييد العرب في القضية الفلسطينية » وغيرها لم يثبت اهميتها أو صحتها ولم تعد مقبولة لدى شعوب الدول العربية المنتجة للنفط . كما أن السيطرة على الانتاج من قبل الدول العربية المنتجة للنفط لا يتناقض مع التزامات هذه الدول نحو منظمة الاقطار المصدرة للبترول (الاوبيك) وذلك لتشابه المصالح وللوزن الثقيل الذي تمثله الاقطار العربية في هذه المنطقة . ان قيام الدول العربية بمحاولة السيطرة على انتاج النفط فيها سيحمل الدول الاخرى الاعضاء في الاوبيك على التعاون معها في هذا المجال .

وفي الواقع قامت هذه المنظمة بمحاولات عديدة اثناء فترة عملها لاستطلاع امكانيات السيطرة على الانتاج واعطاء « القيمة الحقيقية » للنفط المنتج من قبل الدول الاعضاء . الا ان محاولات الاوبيك لم تنجح في وضع سياسة سيطرة على الانتاج ولم تنجح في اعطاء قيمة حقيقية للنفط المباع عالميا وحتى لم تفلح لحد الان في ضمان عدم تآكل قيمة الفوائد النفطية الناجم عن التضخم العالمي وتدهور قيمة الدولار الاميركي . وبرأينا أن سبب العلة مرجعه عدم أخذ كمية الانتاج بنظر الاعتبار لتعيين سعر البترول وبالتالي تحديد قيمته الحقيقية على ضوء المتغيرات التي تحدث في اسعار العملة المستلمة مقابل هذا النفط . اذ أن قابلية التحكم في الكمية المنتجة تتضمن قابلية احتكارية وهذا هو الواقع بالنسبة لمجموعة من الدول تنتج النسبة الكبرى من مجموع الطلب العالمي كما هو الحال بالنسبة لدول منظمة اوبيك بصورة عامة ودول الاوابك بصورة خاصة . وبالتالي فان هذه القابلية الاحتكارية تمكن المنتج من فرض اسعاره وفرض نوعية العملة التي يرغب بها مقابل ما يبيع من نفط . (٧)

هناك اعتبارات عديدة غير اعتبارات التسعير توجب الاخذ بمبدأ السيطرة على الانتاج وتقنينه واهمها يتجسد في أن عدم السيطرة على الانتاج يعني تبذيرا في الثروة النفطية وذلك لعدم الاحتفاظ باحتياطي ملائم للفترة الزمنية المطلوبة لسد متطلبات التنمية الاقتصادية . ومن ثم يظهر التبذير في ان متطلبات الصيانة الحديثة للموارد النفطية تعني اتباع وسائل من شأنها المحافظة على ضغوط حقول النفط وهذا يعني ضرورة الانتاج بالسرعة والكمية التي تتطلبها هذه المتطلبات للصيانة ، ناهيك عن أن عدم السيطرة على الانتاج

معناه عدم ترك احتياطات نفطية لتصبح قاعدة صناعية واسعة ومعينــــا لاحتياجات الطاقة المستقبلية وموردا للاموال المطلوبة في عمليات التنمية في المستقبل بما يتلائم وتوسـع هذه العملياتوازدياد حجمها واهميتها . واهمية النفط بالنسبة للتنمية تظهر بصورة واضحة في الجدولين رقم (٣) و (٤) .

اننا مدركون للصعوبات التي واجهت مقترحات السيطرة والتقنين التي قدمت في الماضي والتي ستثار مستقبلا عند وضع مثل هذه المقترحات موضع التنفيذ ، وبخاصة تلك الصعوبات التي تمس مقدار حصص الانتاج والاعتبارات التي يجب أن تعتمد عليها ، الا اننا مدركون جميعا بأن بعض الدول العربيـــة المنتجة للنفط اصبحت متخمة بفوائضها المالية وغارقة في مشاكل امكانياتهـــا الاستيعابية المحلية وقلقة من تدهور قيم ارصدتها واستثماراتها . بينما هناك دول نفطية عربية مدينة ولها من الامكانيات الاستيعابية ما يفوق مشاريعهـــا التنموية في الوقت الحاضر . وفي ظل هذه الحقائق من السهولة بمكان الاتفاق على المبادىء العامة أو الاعتبارات التي يقوم عليها نظام السيطرة على انتاج النفط أو تقنينه بين الدول الاعضاء في مثل هذا النظام .

ان القاعدة المثلى للسياسة الانتاجية العربية في حقل السيطرة علـــى انتاج البترول هي محاولة ايجاد معادلة تأخذ بنظر الاعتبار كمية وقيمة النفط ومتطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الاقطار العربية المنتجة للنفط ، آخذة بنظر الاعتبار متطلبات الحاضر والمستقبل وامكانات الدول العربية فـــي احتياطي النفط وقابلياتها الاستيعابية لمشاريع التنمية . كل ذلك في اطار اعطاء القيمة الحقيقية للنفط كمصدر للطاقة بين بدائل طاقة اخرى .

ان اي اقتراح لما يجب ان تكون عليه كمية الانتاج في الدول الاعضاء في منظمة الاوبيك أو الاوابك عديم الجدوى في ظل الاسعار المتدنية للنفط قياسا مع اسعار بدائل الطاقة . اذ ما لم يستحوذ النفط على سعر يتماشى مع قيمته الحقيقية بعرف قيم بدائل الطاقة فأية معادلة تعين كمية الانتاج تصبح غير عملية وفي غير صالح الدول المنتجة للنفط . لذا فاننا نعتقد بأن كافة المقترحات التي طرحت بمعادلة العرض مع الطلب العالمي على النفط مقترحات ضارة بمصالح الدول المنتجة للنفط .

ان نقطة البداية يجب أن تنطلق من محاولة التقليص المطلق للانتـــاج وبالتالي تعيين السعر وارتفاعه الى المستوى الذي يتماشى مع قيمة النفط الحقيقية بين مصادر الطاقة . حينذاك فقط وبعد مدة معينة يمكن أن ترفع شعارات تتماشى وتوازن العرض مع الطلب العالمي .

ان هدف الذين رفعوا مثل هذه الشعارات كان تحاشي المواجهة بين الدول المنتجة للنفط والمستهلكة له . ولكن لماذا كل هذا التردد والتخوف من المواجهة ؟ (٨) .

لقد عانينا الكثير منترددالمنتجين العرب عن العمل المشترك للسيطرة على الانتاج وكأنه لم يكن هناك فعاليات مشتركة قام بها المستهلكون لمجابهة الدول المنتجة للنفط ولم تلحق بمصالحنا اضرار جسيمة نجمت عن التضخم المالي العالمي وفي اسعار البضائع المصنعة المستوردة بالذات وعن حجب التكنولوجيا وتدهور قيمة الدولار وغيرها من الاجراءات والتطورات التي قامت في العالم المستهلك للنفط . (٩)

اتباع سياسة مشتركة لصيانة الموارد النفطية :

تشترك اقطار الخليج العربي فيما بينها بامتلاك مكامن نفطية مشتركة . أي أن المكمن النفطي يغطي اراضي اكثر من قطر واحد من هذه الاقطار . فهناك كما يبدو امتداد لمكمن البرقان في الاراضي العراقية حتى انه يقال بانه يتصل بحقول الزبير النفطية . كما أن حقول دولة قطر متصلة بحقول دولة اتحاد الامارات . كما أن بعض المكامن السعودية مشتركة مع مكامن دولة الامارات . ثم مما لا شك فيه أن المكامن النفطية في الجرف القاري من الجزيرة العربية مشتركة فيما بين الاقطار التي لها سواحل على الخليج العربي . (١٠)

ان مثل هذه الوضعية الجيولوجية للمكامن النفطية تتطلب اتباع وسائل الصيانة الحديثة في استغلال الموارد النفطية والا اصبحت طرق استغلال مثل هذه المكامن غير كفؤة ويحدث تبذير كبير في هذه الموارد النفطية . ولا يمكن فهم هذه الحقيقة دون فهم الاسس العلمية التي يقوم عليها الانتاج النفطي . ولا بد من فهم هذه الاسس حتى نعي أهمية مثل هذا الموضوع في الاستغلال الامثل للموارد النفطية العربية في منطقة الخليج العربي .

تعرف صيانة الموارد النفطية بأنها تحاشي التبذير قدر الامكان في الموارد النفطية في جوف الارض وخارجها وذلك باتباع الوسائل الكفؤة في الاستخراج لزيادة كمية النفط المستخرج . ومن جملة ما يتضمنه هذا التعريف الاستعمال الصحيح للطاقة الموجودة في مكمن النفط والحصول على اكبر مقدار ممكن من المواد الهيدوكربونية (من نفط وغاز) الموجودة في هذا المكمن . وتتضح لنا هذه الناحية الفنية عندما نتذكر بأنه قبل فتح مكمن النفط او الغاز ، تحتوي المواد المحتوية في هذا المكمن من نفط وغاز وماء على طاقة كامنة

على شكل ضغط . ولكن عندما يفتح البئر بعد حفره تتحول هذه الطاقة الكامنة الى طاقة حركية نتيجة للتنفيس الذي يحدث للضغط بعد ان نزيح بعض السوائل من المكمن بواسطة فوهته . وتبدأ السوائل بالحركة للحلول محل ما ازيح من سوائل . وبناء على هذه الخاصية تستغل الطاقة المخزونة في السوائل المختلفة كوسيلة لتحريك النفط والغاز من المكمن الى البئر ومن ثم الى سطح الارض . وغني عن القول بأن مجموع الطاقة المتوفرة في المكمن هي مجموع الطاقة الكامنة في السوائل . وتجرى عادة دراسات فنية تتعلق بمقدار الطاقة المتوفرة في المكمن الواحد وفي مصادرها المختلفة . (١١)

في سبيل الانتاج الامثل للمكامن النفطية تلاحظ ثلاثة أمور لها علاقة مباشرة بطاقة هذه المكامن هي :

١ ــ كمية الغاز والماء الموجودة في كل مكمن .

٢ ــ حجم ومسافات الابار المنتجة للنفط في كل مكمن .

٣ ــ تفهم العلاقة بين الناحيتين السابقتين مع اخذ طبيعة المكمن الجيولوجية بنظر الاعتبار .

ان الانتاج الامثل للمكامن النفطية يتطلب في جملة المتطلبات الخاصة بالصيانة وفي الدرجة الاولى ضرورة المحافظة على ضغوط هذه المكامن واستغلالها استغلالا صحيحا . وهذا يعني باديء ذي بدء ضرورة تعين النسب المثلى الضرورية للانتاج الكفؤ لكل من :

أ ــ نسبة النفط للغاز

ب ــ نسبة النفط للماء .

وفي ظل هذه النسب وطبيعة المكمن الجيولوجية توضع الحدود المثلى للانتاج اي الكمية القصوى اليومية لانتاج كل مكمن دون تبذير في طاقته الموجودة في الماء أو الغاز .

ومن ثم يجب أن نتذكر بأن دفع النفط الى الاعلى اي الى فوهة البئر يتم اما بواسطة الغاز المذاب في النفط أو بواسطة الغاز الموجود فوق النفط أو بواسطة الماء الذي يحل محل النفط المستخرج . هذه هي القوى الطبيعية والتي تعتبر المصادر الطبيعية لانتاج النفط . والانتاج بواسطتها يعتبر اكفأ أسلوب للانتاج وأقله تكلفة وهو ما يعرف في عالم الصناعة بالانتاج المرحلي الاول .

اما اذا بذرت هذه القوى او مصادر الطاقة ، لسبب ما كحرق الغاز الطبيعي او عدم الدراية بأصول الانتاج الكفؤ او عدم اتباع وسائل الصيانة الحديثة في دراسة طبيعة المكمن الجيولوجية ، يستعان حينئذ بوسائل ميكانيكية لرفع النفط من المكمن وذلك اما بحقن غاز الى المكمن أو حقن ماء أو مجرد استعمال مضخات لرفع النفط . الا أن مثل هذه الوسائل مهما كانت مصادرها فهي أقل كفاءة من الوسائل الطبيعية واكثر كلفة . كل ذلك يجعل من الضروري ضبط كمية النفط المسموح بانتاجها والتي تعتبر النسبة القصوى للانتاج . وان اية زيادة في الانتاج أو تقليصه تؤدي بالتالي الى انخفاض الضغط في المكامن بصورة مبكرة مما يؤدي الى تحرر الغاز المذاب وعدم انتظام تقدم الغاز والماء للاختلاط بالنفط وضياع قسم كبير من النفط المكمن انتاجه (١٢) .

ومما سبق ذكره يظهر لنا بوضوح أن الاستقلالية في انتاج المكامن النفطية المشتركة تعني عدم العناية بالقابلية الانتاجية لهذه المكامن وبالتالي تبذيرا للموارد النفطية العربية ؛ الامر الذي يتطلب تكوين لجان مشتركة بين الاقطار الخليجية ذات العلاقة لدراسة مثل هذه المكامن وتعيين مواصفاتها وبالتالي تحديد النسبة القصوى للانتاج . واي اهمال لمثل هذا الاجراء سيلحق الضرر بجميع الجهات المعنية ، وبخاصة عندما تحل المنافسة والسباق بين المنتجين للحصول على اكبر كمية ممكنة من النفط الموجود داخل المكمن المشترك . ان تاريخ صناعة النفط في الولايات المتحدة الامريكية والمكسيك وغيرها مليء بقصص الضرر الذي لحق بالموارد النفطية لهذه البلدان نتيجة لعدم اتباع وسائل الصيانة الحديثة أو الانتاج المشترك للحقول النفطية المشتركة . ان خير جهة تبدأ ببعث هذا الموضوع ؛ هي بدون شك ، منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول وذلك بجمع الاقطار المعنية في ندوات أو حلقات نقاش لتفهم اهمية مثل هذه الاجراءات في الحصول على الاستغلال الامثل لمواردها النفطية . وفي الواقع بدأت هذه المنظمة التحضير لمثل هذه المهمة على اثر ندوة المكامن النفطية التي عقدت في تشرين الثاني نوفمبر ١٩٧٧ ؛ آملين أن تستمر مثل هذه الجهود وتأخذ دورها في التنفيذ والاتفاق على عمل دائم للجان مشتركة تسيطر على اعمال الانتاج وصيانة المكامن النفطية المشتركة . ومن ثم أن للدائرة القانونية في المنظمة مسئوليتها هي ايضا في عرض نموذج يحتذى به لقانون صيانة الموارد النفطية على ضوء المتوفر من دراسات ومعرفة في هذا الشأن ؛ ولها في الدائرة القانونية لمنظمة الاوبيك خير مرشد في هذا المجال (١٣) .

ان تنفيذ عمليات صيانة مشتركة للحقول المشتركة سيأتي بطبيعة الحال بضرورة استغلال الغاز المنتج بصورة مشتركة ايضا . وهذا معناه انه سيأتي

اليوم الذي نشاهد فيه مشاريع غاز مشتركة تستغل غاز المكامن المشتركة في أعمال الصيانة أو التصنيع أو التصدير . والعالم العربي غني في الغاز مقارنة بكمية الانتاج منه في الوقت الحاضر ، كما هو واضح في الجدول رقم (٥) . وبالاضافة الى ذلك فان العالم آخذ بالاستغلال الاكثر فالاكثر لثروته الغازية (انظر الجدول رقم ٦) .

سياسة موحدة في فروقات الاسعار :

لم يلعب عامل دورا اكبر في زرع الشك وعدم الثقة بين الدول العربية المنتجة للبترول خلال السنين السبعة الاخيرة من عامل فروقات الاسعار . ففي الوقت الذي اتفقت فيه الدول المنتجة للبترول الاعضاء في منظمة الاوبيك على سعر معين لنفط **القياس** ، الا انها بقيت دوما في شك ازاء ما يتعلق بأنواع النفط المختلفة عن هذا النفط سواء كان مصدر الاختلاف كثافته أو محتواه الكبريتي أو بعده عن المستهلك النهائي أو شروط الدفع عند الشراء .

ان مصادر الاختلاف هذه تتضمن العديد من التعقيدات والاجتهادات ، الامر الذي جعل حل مشكلة فروقات الاسعار من الامور الصعبة بمكان . ومما زاد الطين بلة ، وعقد في الموضوع ، أن الحل لهذه المشكلة قد ترك في غرف مظلمة مغلوقة على ما يسمى بـ « منظمة اوبيك » . ولم تعرض المشكلة لجمهور المختصين من خارج هذه المنظمة ، بما تحتويه من تفاصيل ، ليجتهد هؤلاء ويمحصوا في الحل المنشود . كما لم تنشر المشاكل ولا الحلول المطروحة على المنظمة بصورة مفصلة وعلنية ، ليتمكن المهتمون من ابداء الرأي أو الحصول على المعرفة . وفي العادة لا يسمع من هم خارج الاوبيك الا تبادل الاتهامات بين الاطراف المعنية عن وجود سوق سواء للبترول حيث يباع بأسعار غير متفق عليها بواسطة اعطاء خصومات فادحة ، أو التساهل بشروط الدفع أو المقايضة الملغومة ، أو السماح لبعض الاعضاء باجراء خصومات في اسعار نفطه وعدم السماح لاخرين بالحصول على مثلها أو غيرها من تراشق للتهم امام اعين العالم بأجمعه . كل هذا قد جعلنا نعطي هذا الموضوع مكانة لائقة به في بحثنا هذا ، لنثير الانتباه حوله ونبرزه للعيان ليكون ركنا من اركان السياسة النفطية العربية الموحدة ، التي تحتاج الى تنسيق عربي موحد بالسرعة الممكنة ، حفاظا على وحدة الصف العربي في السياسة البترولية وحماية للمصالح الاقتصادية العربية . اننا سوف لا نقترح حلا ، أو نضع معادلة لحل هذه المشكلة ، بل نحاول ابراز المشكلة ولفت النظر اليها ، والى التأكيد عليها وعلى ضرورة حلها ، باشتراك كل الجهات المعنية من « خبراء » داخل الاوبيك وخارجها وعلى الاخص اولئك المهتمين بها من أعضاء منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول .

سمعنا الكثير عن كون المشكلة صعبة الحل لما تحويه من تعقيدات وملابسات ، ونقول اذا كان الامر كذلك ، فلماذا لا تطرحوها بأبعادها على الراي العام المختص ، ليعرف الحقائق وبالتالي يقول كلمته فيها . نقول لماذا لا تبحثوا في تفاصيل هذه الابعاد وتعقيداتها لتكن أدوات يستعان بها في اي حل مطلوب . أن أغرب الغرائب في عالم صناعة النفط العربية هي عدم وجود **اية دراسة منشورة** معتمد عليها وصادرة عن جهة فنية رسمية تتعلق بموضوع فروقات الاسعار ، واذا سمع المرء عن مشاريع قدمت الى منظمة الاوبيك فان الموضوع لا يتعدى مذكرة أو عدة مذكرات تدمت الى اراشيف المنظمة وبصورة سرية ولم يكتب لمثل هذه المذكرات ان ترى نور شمس الراي العام النفطي العربي .

جذور مشكلة فروقات الاسعار :

تنبع مشكلة فروقات الاسعار من عدة جذور منابتها تقع في نوعية النفط الخام من حيث الكثافة ونسبة الكبريت فيه ، والمسافة التي تفصل بين منابع النفط ومراكز الاستهلاك والتي تتطلب نقله ، ومدة دفع اثمان النفط المشترى .

١ ــ نوعية النفط من حيث الكثافة والمحتوى الكبريتي :

من الناحية العلمية يصنف النفط الخام عادة وفقا لمكوناته الهيدروكاربونية ، فهي اما أن تكون (١٤) :

زيوت بارفينية وهي تلك الطابع البارافيني الواضح ، أو زيوت **نافتية** وهي ذات طابع **نفتي** واضح ، او زيوت اسفلتية وهي ذاتطابع عطري اروماتيكي . ولما كانت الزيوت تختلف منتجاتها بما تحتويه من نسب لهذه المركبات ، لذا تصنف بصورة تفصيلية حسب التصنيف التالي :

نفط بارافيني / برافيني : منتجاتها الخفيفة والمتوسطة والثقيلة من نوع بارافيني .

نفط بارافيني / نافتي : المنتجات الخفيفة بارافيني بينما المتوسطة والثقيلة من نوع نافتي .

نفط نافتي / نافتي : منتجاتها الخفيفة والمتوسطة والثقيلة من نوع **نافتي** . الا أن هذا التصنيف تصنيف علمي كيماوي بعيد عن دارس الاقتصاد .

والتصنيف الاكثر استعمالا في عالم التجارة هو الذي يعتمد على الكثافة النسبية للنفط الخام بالاضافة الى محتواه الكبريتي . واعتمادا على معادلة

وضعها معهد البترول الاميركي يصنف النفط الخام الى ثلاثة اصناف : خفيف ؛ متوسط أو ثقيل : تبعا لسيادة نسب المشتقات فيه، وعلى اساس شيوع نسبة المشتقات الخفيفة أو المتوسطة أو الثقيلة فيه . فالنفط الذي تكثر فيه نسبة المشتقات الخفيفة (كالبنزين ومادة النفتا مثلا) يسمى بالنفط الخفيف . اما الذي تكثر فيه المشتقات المتوسطة (كزيت الديزل مثلا) يسمى بالنفط المتوسط . اما النفط الذي تكثر فيه المشتقات الثقيلة (كزيت الوقود وزيت السفن) فيسمى بالنفط الثقيل . ولما كانت المشتقات الخفيفة تستحوذ اسعار عالية في سوق المنتجات النفطية لذا فالنفط الخام الخفيف يستحوذ اسعارا عالية في سوق النفط الخام ويليه النفط المتوسط ومن ثم الثقيل ــ كما هو مبين في الجدول رقم (٧) .

وهكذا فان احتواء النفط الخام على الكبريت يؤثر على سعره . فكلما زادت نسبة الكبريت فيه كلما قل ثمنه لما للكبريت من اثر على تآكل المحركات . كما ان نسبة الكبريت تجعل من عملية احتراق النفط الذي يحويه اكثر تلوثيا للبيئة وهو امر تمنعه العديد من الدول الا بحدود واطئة معقولة . ويعبر عن كثافة النفط الخام بأرقام ؛ كلما زادت دل على خفته ويلحق بالرقم هذا حروف تدل على اسم معهد البترول الامريكي . وتعتبر درجة A.P.I 35 الحد الفاصل بين الخفيف والمتوسط ودرجة A.P.I 28 الحد الفاصل بين المتوسط والثقيل . فما زاد عن A.P.I 35 يعتبر نفطا خفيفا . وما تراوح بين A.P.I 35 A.P.I 28 متوسطا . وما كان دون ذلك فهو نفط ثقيل . وفيما يلي نموذج لاوزان بعض النفط الخام الذي يدخل سوق النفط العالمية .

مصدر النفط	درجة الكثافة	نسبة الكبريت
خام امريكي / بنسلفانيا	٣٢ر٥	٣٠ر٠٪
خام مكسيكي	١٤	٣ر٤ ٪
خام عربي خفيف	٣٤ر٥	١ر٧ ٪
خام كويتي	٣١ر٥	٢ر٦ ٪
خام فنزويلي (ثقيل)	٢٤	١ر٥ ٪
خام جزائري	٤٥	١٠ ٪
خام ليبي (سيدر)	٣٧	٢٣ر ٪
خام ايراني ثقيل	٣١	١ر٦٠٪

خام عراقي كركوك	٣٦	١٫٨٥ ٪
خام عراقي بصرة	٣٤	١٫٩٠ ٪
خام قطر ، دخان	٤٠	١٫٠٧ ٪
خام ابو ظبي / مربان	٣٩	٠٫٨٠ ٪
خام ابو ظبي / ام الشيف	٣٧	x
خام اكوادور	٣٠	٠٫٨٠ ٪
خام اندونيسي / ميناس	٣٥	٠٫٠٨ ٪

ان جذر مشكلة فروقات الاسعار المتعلقة بدرجــــة الكثافة والمحتوى الكبريتي قد ظهرت بعدما اعتمد النفط العربي الخفيف كنفط قياس ووضع له سعر معين (١٥) ؛ فالمسألة التي برزت هي كم نعطي من الاسعار لانواع النفط الاخرى التي تختلف عن نفط القياس كثافة ومحتوى للكبريت ؟ . ناهيك عــن أخذ المحتوى الشمعي له بنظر الاعتبار ايضا . ان بعض انواع النفط تحتوي على مادة البارافين اكثر من غيرها وهي صفة غير مرغوب بها لان الشمع يجعل من النفط مادة اكثر لزوجة وبالتالي أقل تدفقا في الانابيب خاصة في الفصول والبلاد الباردة ، كمــا هو الحــال بالنسبة للخامــات الليبية والجزائرية . (١٦)

٢ ــ فروقات الاسعار الناجمة عن المسافة وتكاليف الشحن :

ان جذر الجانب الثاني لمشكلة فروقات الاسعار نابع عن كون النفط ينتج في مناطق مختلفة المسافة بالنسبة للمستهلكين ، ومن ثم فهناك العديد مــن الوسائل التي تعين أجور الشحن البحري تبعا لمن يملك الناقلة بحيث يصبح من الممكن شراء النفط الخام بأسعار مختلفة تبعا للمتغيرات الآنفة الذكر (١٧). ان معالجة هذا الموضوع تبدو ناقصة دون الولوج في موضوع النقل البحري للنفط الخام ومنتجاته ، ولكن ضيق المجال للبحث يجعل من غير الممكن انجاز مثل هذه المهمة . ولعله من الممكن ان نفي بالغرض المطلوب ، اذا اوجزنــا القول بأنه لما كانت المسافات بين المنتجين والمستهلكين مختلفة ، ولما كانــت هناك مؤسسا تمختلفة تقوم بمهمة النقل البحري والتي تتكون عادة مــن شركات النفط والشركات المستقلة الناقلة وكل منها على استعداد لتقاضي أجور شحن مختلفة عن الاخرى ، كل ذلك يجعل من الممكن دفع اسعار مختلفة لنفس النوع من النفط في الاماكن المختلفة وحتى من الممكن دفع اسعار مختلفة لنفس النوع من النفط الخام اذا كانت هوية الناقلين مختلفة .

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو كيف نتمكن في مثل هذه الظروف وفي سوق نقل بحري متقلب أن نضع مقياسا لاسعار البترول تجعل من هذه الاسعار اساسات متناسبة فيما بينها بتناسب مسافات منابعها بالنسبة لمواقع المستهلكين ؟ ومن ثم ، ماذا ستكون نسبة التوازن هذه او صيغة المعادلة المقترحة للتعادل اذا كانت هوية الشركات الناقلة مختلفة .. ؟ هذا هو صلب قضية اثر تكاليف الشحن في مشكلة فروقات الاسعار .

٢ ـ شروط الدفع ومشكلة فروقات الاسعار :

العرف المتبع في سوق النفط العالمي هو في أن يتم دفع قيمة النفط المباع خلال مدة شهرين من تاريخ استلام النفط ولقد اصبحت هذه المدة عرفا وشرطا ثبت في الاتفاقيات الاقليمية التي عقدت بين الدول المنتجة للبترول . الا ان مدة الدفع هذه قد برزت كمشكلة عندما لجئت بعض الدول المنتجة للبترول الى اعطاء مدة زمنية للدفع امدها ثلاثة اشهر ، ويفضل المشتري ـ بطبيعة الحال ـ المدة الطويلة على المدة القصيرة ، وبالتالي يفضل ان يشتري النفط الذي يتمتع بمثل هذه الميزة . وهذا الاتفاق بين الاطراف المعنية في صفقات البيع والشراء من الامور الخاصة بهذه الاطراف ، ومن الصعوبة بمكان مراقبته او السيطرة عليه ، او حتى معرفة حدوثه . ولكن عندما يفشى السر يصبح مصدرا مؤلما من مصادر عدم الثقة وبالتالي الشك لدى الاخرين .

محاولات لتنسيق فروقات الاسعار في السنين الاخيرة :

في ظل جذور مشكلة فروقات الاسعار حاولت منظمة الاقطار المصدرة للبترول (الاوبيك) تنسيق فروقات الاسعار سواء كان هذا التنسيق يشمل الاعضاء بصورة عامة او بعض الفرقاء في بعض المناطق الاقليمية . الا ان جهود التنسيق هذه قد تركزت بصورة رئيسية على ايجاد معادلة تربط فروقات الاسعار الناجمة عن اختلاف اوزان النفط . سنحاول هنا القاء الضوء على بعض المعالم البارزة لمثل هذه المحاولات . بما تيسر لدينا من معلومات . اذ كما اسلفنا ذكره ، معظم هذه المحاولات بقيت في السر ولم تنشر بصورة رسمية ، وكل ما هو متيسر للباحثين هو بعض المعلومات التي تسربت من الاجتماعات المغلقة .

ابتداء من اتفاقية طهران في ١٥ شباط فبراير ١٩٧١ ، نستعرض هذه المحاولات في التنسيق ، فنقول أن هذه الاتفاقية قد حددت فروقات الكثافة بمعدل ٥ر١ سنت لكل درجة (بدلا من ٢ سنت كما كان معمول به سابقا) لكل الخامات ما دون ٤٠ من الكثافة حتى درجة ٣٠ وعلى أن يتفق فيما بعد

حول الفروق في الخامات التي يقل وزنها عن ٣٠ درجة ، كما طبقت العلاوة على عشر الدرجة بدلا من الدرجة الكاملة . وعلى اثر هذه الاتفاقية فوضت دول منظمة الاوبيك المعنية وهي (العراق والجزائر والسعودية) ليبيا للقيام بمفاوضات بشأن اسعار النفط المصدر من الموانىء العربية في البحر الابيض المتوسط . وكنتيجة لهذه المفاوضات وقعت اتفاقية طرابلس الثانية في ٢٠ اذار مارس ١٩٧١ مع الشركات النفطية المعنية ، وتم الاتفاق بالنسبة لفروقات الاسعار على أن تعطى علاوة كثافة للنفط الليبي قدرها ٢ سنتا لكل درجة فوق ٤٠ درجة و ٥را سنتا لكل درجة دون ٤٠ درجة وبنفس المقدار لكل عشر درجة . وقد تضمن السعر الاساسي للنفط الليبي من كثافة ٤٠ درجة وهو ٣٫٠٧ دولارا للبرميل علاوة كبريت قدرها ١٠ سنتا للخامات ذات المحتوى الكبريتي ما دون ٥ر٪ . هذا اضافة لعلاوة قناة السويس البالغة ١٢ سنتا لكل برميل طالما كانت القناة مغلقة .

الا أن قرار دول الخليج (الذي صدر في اجتماع الكويت بتاريخ ١٦ تشرين الاول اكتوبر ١٩٧٣ والخاص بزيادة اسعار النفط الخام بواقع ٧٠ ٪ عن مستواه الذي اتفق عليه في طهران سنة ١٩٧١) قد خلخل نظام فروقات الاسعار الخاصة بالكثافة والشحن الذي جاء في هذه الاتفاقية ، الامر الذي اضطرت معه منظمة الاوبيك لان تجتمع في طهران في ٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ لاتخاذ قرارات حاسمة لم تقتصر على زيادة اسعار النفط الخام بواقع ١٣٦ ٪ عن مستوى اسعار طهران ، بل وضع نظام مرحلي اولي يتعلق بالاسعار وفروقات النوعية . واهم ما جاء في هذا النظام الذي له علاقة مباشرة بموضوعنا هي الاجراءات التالية : (١٨) .

١ ــ اعتمد النفط العربي الخفيف من وزن ٣٤ درجة المصدر من ميناء رأس تنورة كنفط قياس وحدد سعره بــ ١١٫٦٥١ دولارا امريكيا للبرميل .

٢ ــ زيادة ٦ سنت امريكي لكل درجة كثافة اعلى من نفط القياس وتخفيض ٣ سنت امريكي لكل درجة اقل من نفط القياس .

٣ ــ اعطي للدول المنتجة الحق في فرض علاوة على نفطها اذا كانت نسبة الكبريت فيه اقل من نسبة الكبريت الموجودة في نفط القياس والبالغة ١٫٧٠ ٪ .

٤ ــ تحديد علاوة الشحن على اساس معدلات الشحن العالمية لعام ١٩٧٣ واعتمادا على المقياس العالمي ٧٢ وبافتراض المسافة بين كل ميناء تصدير ونقطة وهمية سميت جزيرة كوين .

وعلى أثر ذلك اعلنت كل من ابو ظبي وليبيا العلاوات الخاصة بالمحتوى الكبريتي لخاماتها . اذ اعلنت ابو ظبي العلاوات التالية بالنسبة لنفطها الخام ذى المحتوي الكبريتي المنخفض :

النفط الخام	نسبة الكبريت	علاوة الكبريت دولار / البرميل
مبرز	٧ر٠	٧٥ر٠
مربان	٧٥ر٠	٧٠ر٠
زاكوم	٩٥ر٠	٥٥ر٠
أم شيف	٣٥ر١	٢٥ر٠

أما ليبيا فقد حددت علاوات المحتوى الكبريتي على اساس ٣٣٦ر١ دولارا للبرميل للخامات من كثافة ٤٠ درجة .

لم يبرهن هذا النظام المؤقت لاحتساب فروقات الاسعار فعاليته لحل المشكلة ، اذ سرعان ما سبب هذا النظام مشكلة ذاتية ظهرت نتيجة له . فقد بدأ الطلب يزداد على الخامات الثقيلة ويقل على الخامات الخفيفة ، نتيجة لارتفاع الاسعار الناجم عن علاوات الكبريت ، الامر الذي سبب قلقا لمنتجي النفط الخفيف . وكل ذلك ادى الى أن تقوم منظمة الاوبيك بجهود لقبت « بالبحث العلمي » عن المعادلة التي تضمن طلبا متوازنا على انواع الخامات المختلفة وذلك باجراء دراسات ميدانية والاستعانة بالمستشارين بهدف الوصول الى مثل هذه المعادلة .

الا أن نتائج الدراسة التي قامت بها منظمة الاوبيك لم تعرض للمناقشة حتى عام ١٩٧٥ ، الامر الذي حدا بالاعضاء الى التعجيل في دراسة الموضوع ، ووضع حد للفروقات المجحفة التي لحقت بخاماتها . وقد تحقق طلب الاعضاء هذا في اجتماع اللجنة الاقتصادية التي عقد في الفترة ١٠ — ١١ كانون اول (ديسمبر) ١٩٧٤ عندما قررت اللجنة الاجراءات التالية :

١ — تقييم الفروقات لنفط الخليج على اساس ٩٣ ٪ من التقييم على اسعار عام ١٩٧٣ .

٢ — وضعت فروقات معينة لخامات المنتجة في امريكا اللاتينية وشمال افريقيا واندونيسيا .

٣ — عدلت فروقات الشحن حسب حقائق جديدة خاصة بالسوق .

٤ ـــ اعطاء مرونة في الاسعار بحدود ٥ سنت امريكي للبرميل .

غير أن هذا الاجراء لم يغير من وضع السوق الخاص بالطلب المنخفض على النفط الخفيف لصالح النفط الثقيل ، الامر الذي حدا بحكومة ابو ظبي مثلا أن تخفض علاوة الكبريت خلال الربع الاول من عام ١٩٧٥ الى المستويات التالية :

خامات مربان الى ٣٠ سنت للبرميل .
خامات زاكم الى ١٥ سنت للبرميل .
خامات ام شيف الى ١٠ سنت للبرميل .

وبناء على هذه التطورات اقر مؤتمر منظمة الاوبيك في ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٧٥ تخفيض علاوات الكثافة الى النصف بحيث اصبحت العلاوة لكل درجة أعلى من ٣٤ درجة (نفط القياس) ٣ سنت امريكي بدلا من ٦ سنت امريكي ، ودعا المؤتمر بالحاح الى ضرورة وضع نظام لاسعار الخامات ، من شأنه الاعتبار أن يقضي على مشكلة فروقات الاسعار الخاصة بالكثافة والشحن آخذا بنظر معطيات السوق .

على اثر هذه الدعوة قامت المنظمة بالاستعانة ببعض بيوت الخبرة وببعض الخبراء الاجانب لوضع نظام دائم للاسعار يتفادى مشاكل الفروقات ، فاستعانت بالمستشار الاجنبي باتل وكذلك بمعهد الطاقة بجامعة لندن ومعهد البترول الفرنسي . الا أن جميع المقترحات التي تقدمت بها هذه الجهات لم تسفر عن نتيجة عملية يحتذى بها أو حظيت بموافقة جميع الاعضاء . (١٩)

كما تقدمت العديد من الاقطار الاعضاء بالمنظمة بمشاريع لنظام دائم مستقر ، الا ان حظها لم يكن مختلفا عن مشاريع المؤسسات الاجنبية . فقد كان هناك المشروع الجزائري (أسلوب القيمة الاستبدالية) والمشروع العراقي والمشروع الفنزويلي والمشروع السعودي والمشروع الكويتي . الا أن جميع هذه المشاريع لم يكتب لها الموافقة الجماعية لفشلها في اعطاء نظام يحدد الفروقا تالخاصة بكل انواع الخامات التي تنتج في الاقطار الاعضاء في المنظمة . (٢٠) وهكذا استمر العمل بالنظام المؤقت الذي سبق الاشارة اليه مع تعديلاته اللاحقة . الا أن الفوضى في الفروقات بقيت قائمة وبالصورة التي وصفناه في اول بحثنا ، الامر الذي يتطلب الدراسة العاجلة وضرورة التنسيق. ونقطة البداية في مثل هذه الدراسة توضيح المشكلة للراي العام المختص وقيام الجهات العربية المختصة بتوفير الجهود والمال اللازمان لمثل هذه الدراسة ليكون الجانب العربي ـــ على الاقل ـــ محيطا بحثيثيات المشكلة . اما الامر

الاخر الذي يجب أن يواكب هذه العملية فهو ضرورة نشر جميع الدراسات التي قامت بها منظمة الاوبيك أو التي تقدمت بها بعض الجهات الفنية ــ خاصة كانت أم رسمية ــ لتوضيح الصورة امام الباحثين والمختصين خارج حلبة منظمة الاوبيك . ويا حبذا لو تقوم منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول بمهمة الدراسة هذه لتكون ارشادية أو توضيحية لمعالم الطريق المسدود هذا . فهل تتمكن هذه المنظمة من هذا العمل البناء .. ؟ .

نتائج واستنتاجات :

لقد ركز بحثنا على ثلاثة اركان من السياسة النفطية العربية المشتركة هي التنسيق في السيطرة على الانتاج ومن ثم الاسعار واتباع سياسة موحدة بصدد صيانة الموارد النفطية وضرورة وضع سياسة نفطية موحدة بصدد تنسيق فروقات الاسعار .

فقد اكدت الدراسة على الفوضى الموجودة في انتاج النفط في الاقطار العربية المنتجة للنفط واكدت على ضرورة التنسيق في الانتاج . وليس بالامر المستطاع وضع سياسة بترولية موحدة خاصة بدول الخليج وذلك لان اقطار الخليج بما تربطها من روابط وثيقة بالانتاج النفطي العربي بصورة خاصة وانتاج الدول الاعضاء في منظمة الاوبيك لا تتمكن أن تتبع سياسة انتاجية مستقلة عن الاقطار الاخرى الاعضاء في منظمتي الاوابك والاوبيك . أن الدراسة قد اكدت بصورة واضحة ، وبذا قد اضافت صوتها الى جملة الاصوات المرفوعة بهذا الصدد ، بأن الفوضى في الانتاج معناه الفوضى في الاسعار . لذا فالسيطرة على الانتاج معناه السيطرة على الاسعار ومن ثم السيطرة على التبذير في الموارد النفطية وعلى المنافسة الضارة بمصالح جميع المنتجين العرب . فعلى الرغم من الصعوبات التي ستواجهها اقطار المنطقة العربية في ايجاد معادلة للسيطرة على الانتاج وتقنينه فيما بينها ، فان الخسارة والضرر المترتبان عن غياب هذه المعادلة يفوق بحدوده اية صعوبة أو صعاب . ونظرا لفداحة النتائج المترتبة عن غياب السيطرة ، اقترحنا أن تقوم منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول بمهمة المبادرة في جمع الصف للسيطرة هذه ووضع المعادلة أو المعادلات المطلوبة والقيام بكل ما هو في صلب تنسيق السياسة البترولية في هذا المجال أو غيره ، وبخاصة وان المنظمة مسؤولة بما نصت عليه اتفاقيتها ــ عن القيام بمثل هذه المهام .

ولقد توصلت الدراسة الى ضرورة التنسيق في صيانة الموارد النفطية وذلك بواسطة الانتاج المشترك للمكامن النفطية المشتركة بين اقطار الخليج العربي ، ذلك انه هنالك مكامن نفطية مشتركة بين الاقطار المجاورة من اقطار الخليج . فهناك مكامن مشتركة بين العراق والكويت مثلا ، وبين قطر

والامارات ؛ وبين الامارات والسعودية . ولغرض الحصول على الانتاج الامثل ؛ واستغلال الغاز والماء ؛ والتي اليها يرجع قابلية المكامن في دفع النفط وانتاجه بصورة طبيعية ؛ اقترحنا ضرورة تكوين لجان مشتركة لدراسة الصفات الجيولوجية للمكامن المشتركة ومن ثم تعين الحدود الدنيا والعليا لانتاج كل بئر من الابار وتعين المسافات بينها ومن ثم السيطرة على نسب الغاز الى النفط ونسب الماء الى النفط وغيرها من مواصفات الصيانة العلمية الحديثة للموارد النفطية . وكنتيجة ملازمة لمثل هذه العملية ؛ اقترحنا ضرورة الاستغلال المشترك للموارد الغازية في مثل هذه المكامن المشتركة . كما اقترحنا أن تقوم منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول بدور الرائد في جمع الصف الخليجي العربي في هذا المضمار .

اما بصدد الركن الثالث من اركان السياسة النفطية العربية المشتركة التي تناولنا بحثها والمتعلقة بفروقات الاسعار ؛ فقد اشار البحث بصورة واضحة الى الفوضى الموجودة في فروقات الاسعار للنفط العربي والخاصة بالكثافة أو الوزن والشحن وشروط الدفع . اذ بعد أن عين سعر نفط القياس ؛ وضعت فروقات لاسعار انواع النفط الاخرى لا تتماشى مع معطيات السوق ولم تعط المرونة الكافية للتكيف حسب هذه المعطيات ؛ ومن ثم فان مثل هذه الفروقات وضعت وكأنها اعتباطية ؛ الامر الذي ادى الى عدم قيام الدول الاعضاء في منظمة الاوبيك باتباع مثل هذه الفروقات واعطاء الخصميات غير المتفق عليها والبيع في السوق السوداء . كما أن طبيعة ملكية الناقلات قد زادت المشكلة تعقيدا . كل ذلك بعث الشك وعدم الثقة بين الدول الاعضاء في منظمة الاوبيك . لقد حاولت هذه المنظمة حل المشكلة بالاستعانة ببعض بيوت الخبرة الاجانب أو الاعتماد على بعض المعادلات أو المشاريع المقترحة من قبل الدول الاعضاء كالمشروع الجزائري والعراقي والفنزويلي وغيرها ؛ الا أن هذه المحاولة قد فشلت .

كنا واضحين باعترافنا بالتعقيد الذي تتميز به مثل هذه المشكلة لما تحويه من متغيرات وحيثيات وتفاصيل . كل ذلك جعلنا لا نضيف معادلة جديدة الى جملة المعادلات التي قدمت بهذا الصدد . الا أن جل تركيزنا في البحث كان على ضرورة جعل مناقشة فروقات الاسعار علنية وتوفير الحقائق والدراسات المقدمة الى الراي العام العربي المختص ليقول كلمته او رأيه في المشكلة . اما أن تكون كل المناقشات والحقائق في السر والكتمان فهي ظاهرة غير صحية وتعزل ذوي الاختصاص من خارج الاوبيك عن ابداء الرأي أو الدراسة . ولقد اقترحنا ايضا أن تقوم منظمة الاوابيك بمهمة الريادة في دراسة هذه المشكلة ووضع اعمدة ارشاد لها .

جـدول رقـم (١)
تطور الاحتياطي والانتـاج العالمي من النفط الخام في السنوات ١٩٧٣ ـــ ١٩٧٦

	الاحتياطي العالمي (ببلايين البراميل)				الانتـاج العالمي (بملايين البراميين يوميا)			
	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦
١ ـــ اوبـك	٤٢٠	٤٨٣	٤٤٨	٣٩٨	٣٠ر٩	٣٠ر٧	٢٧ر١	٣٠ر٧
٢ ـــ الدول العربية في اوبك	٣٠٩	٣٦٢	٣٢٧	٢٨٧	١٨ر٠	١٧ر٦	١٦ر	١٨ر٣
٤ ـــ العالم بدون الدول الاشتراكية	٥٢٨	٦٠٧	٥٥٨	٥٠١	٤٥ر٨	٤٥ر٢	٤١ر٤	٤٤ر٨
٥ ـــ العالـم	٦٢٨	٧١٦	٦٥٩	٥٩٩	٥٥ر٩	٥٦ر١	٥٣ر٢	٥٧ر٤
١ : ٤ اوبك للعالـم بدون الـدول الاشتراكية	٧٩ر٦ ٪	٧١ر٦ ٪	٨٠ر٣ ٪	٧٩ر٤ ٪	٦٧ر٥ ٪	٦٧ر٩ ٪	٦٥ر٥ ٪	٦٧ر٩ ٪
١ : ٥ اوبـك للعالـم	٦٦ر٩ ٪	٦٧ر٥ ٪	٦٨ر٠ ٪	٦٦ر٤ ٪	٥٥ر٣ ٪	٥٤ر٧ ٪	٥٠ر٩ ٪	٥٣ر٠ ٪
٢ : ٤ الدول العربية في اوبك للعالم بدون الدول الاشتراكية	٥٨ر٥ ٪	٥٩ر٦ ٪	٥٨ر٦ ٪	٥٧ر٣ ٪	٣٩ر٣ ٪	٣٨ر٩ ٪	٣٨ر٧ ٪	٤٠ر٩ ٪
٢ : ٥ الدول العربية في اوبك للعالم	٤٩ر٢ ٪	٥٠ر٦ ٪	٤٩ر٦ ٪	٤٧ر٩ ٪	٣٢ر٢ ٪	٣١ر٤ ٪	٣٠ر١ ٪	٣١ر٩ ٪
الدول غير العربية في اوبك للعالـم بدون الدول الاشتراكية	٢١ر٢ ٪	٢٠ر٠ ٪	٢١ر٧ ٪	٢٢ر٤ ٪	٢٨ر٢ ٪	٢٩ر٠ ٪	٢٦ر٨ ٪	٢٧ر ٪
الدول غير الغربية في اوبك للعالم	١٧ر٨ ٪	١٦ر٩ ٪	١٨ر٤ ٪	١٨ر٧ ٪	٢٣ر١ ٪	٢٣ر٤ ٪	٢٠ر٩ ٪	٢١ر١ ٪
نسبة احتياطي الدول العربية فـي اوبك لانتاجها (عدد السنوات)	٤٧	٥٧	٥٦	٤٣				
نسبة احتياطي الدول غير العربية في اوبك لانتاجها (عدد السنوات)	٢٤	٢٥	٣٠	٢٥				

المصدر : جدول الانتاج رقـم (٢٣) ، وجدول الاحتياطـي رقم (٢٢) وفق تقديرات مجلة* باستثناء الاتحاد السوفيتي والصين على وجه التحديد حيث ان بقية الدول الاشتراكية مـن ناحية الاحتياطي والانتاج تملك ارقاما ثانويـة . انظـر ، منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول ، **التقرير السنـوي الاحصائي ١٩٧٦** ، الكويـت ١٩٧٧ ، ص ٧٥ .

جـــدول رقم (٢)

التقديرا تالمستقبلية للطلب المحلـــي والعالمي على نفط دول اوبـــك (مليـــــون برميل يوميـــــا)

	١٩٧٤	١٩٨٠	١٩٨٥
الاستهلاك المحلي في اوبك	٤ر١	٣ر٢	٥ر٣
استهلاك الدول العربية في أوبك	٣ر٠	٥ر٠	٨ر٠
وقود سفن (أوبك)	٥ر٠	٦ر٠	٧ر٠
صادرات أوبـــك	٩ر٢٨	٦ر٣٠	١ر٣٥
انتـــاج اوبـــك	٨ر٣٠	٥ر٣٣	٣ر٣٩

المصدر : World Energy Outlock, P. 87. ، ما عدا استهلاك الدول العربية في أوبك لعامي ١٩٨٠ و ١٩٨٥ فاحتسب علـــى اساس نسبته الفعلية لعام ١٩٧٤ من استهلاك دول أوبـــك وهي ٤ر٢١ ٪ . انظر :

منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول ، **التقرير الاحصائـــي السنوي ١٩٧٦** ، الكويت ، ١٩٧٧ ، ص ٧٧ .

جدول رقم (٣)

الطلب المستقبلي المحلي على النفط لدول اوابك واوبك

(بملايين البراميل يوميا)

	١٩٧٤	١٩١٢	١٩٨٥
استهلاك اوابك	٤٩ر٠	٨٣٠ر٠	٢٦ر١
استهلاك اوبك	٤ر١	٣ر٢	٥ر٣
استهلاك الدول العربية في اوبك	٣ر	٥ر٠	٧٥ر٠
انتاج اوابك	١ر١٨	٠٠ر٢١	٠٠ر٢٧

المصدر : ١ ــ ارقام عام ١٩٧٤ هي ارقام فعلية ، فبالنسبة لاستهلاك دول اوابك والدول العربية في اوبك فحسبت من : UN, Energy Supplies 1950 — 1974.

وبالنسبة لدول اوبك فهي من تقديرات
OECD, World Energy Outlock.

واما انتاج اوابك فمن الجدول رقم (٢٣) .

٢ ــ استهلاك اوبك لعامي ١٩٨٠ و ١٩٨٥ هو من

وحسب استهلاك اوابك على اساس نسبته من استهلاك اوبك لعام ١٩٧٤ اي بنسبة ٣٦ ٪ ، واستهلاك الدول العربية في اوبك على اساس ٤ر٢١ ٪ من استهلاك اجمالي دول اوبك .

٣ ــ تقديرات الـ OECD ان انتاج اوبك عام ١٩٨٥ سيكون ٣ر٣٩ مليون برميل يوميا وفي تقديرات معهد الابحاث الاقتصادية للشرق الاوسط في اليابان انها ستنتج ١ر٤١ مليون برميل يوميا وستكون حصة الدول العربية ٦ر٢٧ وهما تقديران متقاربان وعلى هذا الاساس من التقديرات قدرنا انتاج ٢١ مليون برميل يوميا عام ١٩٨٠ و ٢٧ مليون برميل يوميا عام ١٩٨٥ .

انظر : منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول ، **التقرير الاحصائي السنوي ١٩٧٦** ، الكويت ١٩٧٧ ، ص ٧٧ .

جدول رقم (٤)

تطور الطلب المحلي علــــــى الطاقة في الدول الاعضــــاء لاوابك (بما يعادل الف برميل يوميا من النفط الخام)

	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢	١٩٧٣	١٩٧٤	معدل الزيادة السنوية	تقديرات عام ١٩٨٥ بنسب نمو ١٩٧٤/٦٥
الامارات المتحدة	٣٥ر٠	١٧ر٢٢	٢٦ر٤١	٢٨ر١٠	٣٥ر٩٧	٣٩ر٥٠	٪ ٦٩	
البحرين	١ر٨٥	٧ر٨٢	١١ر١٦	٢٢ر٤٤	٣١ر٢٠	٣٩ر٠٨	٪ ٤٠ر٤	
الجزائــر	٣٩ر١٦	٦٦ر٦٨	٦٧ر٣١	٧٢ر٦٤	٩٩ر٨٢	١١٣ر٠٥	٪ ١٢ر٦	
السعودية	٥٧ر١٧	٨٨ر٩٩	٩٣ر٨٦	١٠٢ر٨٥	١١٢ر٥٣	١١٥ر٦٧	٪ ٨ر١	
سوريــا	٢٢ر٢٤	٤٢ر٧٨	٤٧ر٣٩	٤٦ر٢٨	٤٤ر٣٧	٥٧ر٢٠	٪ ١١ر١	
العــراق	٥٧ر٢٨	٨١ر٣٢	٨٦ر٥٦	١٠٢ر٧٠	٩٨ر٧٦	١٣٢ر٦٨	٪ ٩ر٧	
قطــر	٢ر٣٨	٢٠ر١٤	٢٠ر١٨	٢٢ر١٧	٢٥ر٤٣	٢٢ر٣١	٪ ٢٨ر٢	
الكويــت	٤٦ر٧٣	٩٦ر٦٧	١٠٦ر٩٣	١١٩ر٤٤	١٢٤ر٦٤	١٢٥ر٩٨	٪ ١١ر٦	
ليبيــا	٦ر٥٧	١٤ر٥٣	١٦ر٢٧	١٨ر٩٥	٢٣ر٧٦	٣١ر١٣	٪ ١٨ر٩	
مصــر	١٢٤ر١٢	١٢٤ر٦٥	١٣٦ر٧٥	١٥١ر٦١	١٤٦ر٨٢	١٥٩ر٣٥	٪ ٢ر٨	
الاجمالي من الطاقة	٣٥٨	٥٦١	٦١٣	٦٨٧	٧٤٣	٨٣٦	٪ ٩ر٨	٢٢٣٨
الاجمالي من النفط	٢٦٨					٤٩٣	٪ ٧	١٠٣٨
الإجمالي من الغاز	٧٨					٣٢١	٪ ١٧	١٢٥٦

المصدر : للسنوات ١٩٦٥ ــ١٩٧٤ من : United Nations, Energy Supplies, 1950 - 1974. وأما تقديرات عــام ١٩٨٥ فحسب مجمل الطاقة والنفط على اساس معدل نسب النمو في الفتــرة ١٩٦٥ ــ١٩٧٤ مع مضاعفة الطاقة المائيــة والمصــادر الاخرى وسيغطي الغاز ما تبقى من احتياجات الطاقــة .

انظر : منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول ، التقريــر السنوي الاحصائــي ١٩٧٦ ، الكويت ١٩٧٧ ، ص ٧٦ .

جدول رقم (٥)

الاحتياطي المؤكد من الغاز الطبيعي عند نهاية العام

(تريليون قدم مكعب)

	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥
دولة الامارات العربية المتحدة :			
ابو ظبي	١٩ر٦	٢٥ر٠	٣١ر
دبي	٢ر٣	٢ر٢	٢ر١
الشارقة			
العراق	٢٢ر٠	٢٧ر٥	٢٧ر٢
الكويت	٦٥ر٣	٦٣ر٦	٤٧ر٧
السعودية	٨٢ر١	٨٦ر٤	٧٣ر٤
عمان	٢ر٥	٢ر٤	٢ر٣
قطر	٨ر٠	٧ر٨	٤٧ر٨
البحرين	١ر٩	١ر٨	٨ر٩
سوريا	١ر٣	٢ر٧	٢ر٧
الجزائر	١٠٠ر٠	١٠٠ر٢	١١٥ر٥
ليبيا	٢٨ر٨	٢٨ر٣	٢٨ر٥
تونس	١ر٤	٢ر٩	٢ر٩
بقية العالم	٢٠٦٢ر٠	٢١٤٦ر٣	٢١٧٠ر٢
المجموع العالمي	١٠٨ر٦	١١٣ر٨	١٠٦ر٨

المصدر : منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول ، **التقرير الاحصائي السنوي ١٩٧٦** ، الكويت ، ١٩٧٧ ص ٨٤ .

جدول رقم (٦)

انتاج الغاز الطبيعي في العالم للسنــــوات ١٩٧٣ ـ ١٩٧٦

(مليون قدم مكعب/يومي)

الدول	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦
الدول العربية				
ليبيا	١١٨ر٤	١١٢ر٣	٣٦٦ر٣	١٢٠٠ر٠
الجزائر	٣٢٧ر٩	٥١ر٤	٥٣ر٤	٧٠١ر٩
تونس	٥٧ر٠	٥٦ر٧	١٩٤ر٨	٤٦٢ر٠
العراق	٤٢٥ر٥	٣٥٤ر٢	٣٣٤ر٨	٣١٠ر٩
الكويت	١٥٩٢	١٢٧٩ر٣	١٠٤٤ر٢	١٠٨١ر٤
عمـــان			١٤ر٥	٢٤٠ر٤
مصر	٨٤ر١	١٣٦ر٢	١٣٨ر٦	١٧٧ر٦
المغرب	١٠١ر٩	٧٩ر٥	٨ر٨	٢٥ر٤
البحرين	٥٥ر٦	٩ر٠	٨ر٥	٦ر٠
قطــر	٢٠ر٣	٤ر٧	غ٠م	غ٠م
الامارات	١٣١٦ر٤	١٢٦٠ر٥	١١٩٦ر٦	١٣٧٣ر٣
سوريا	غ٠م	غ٠م	غ٠م	غ٠م
السعودية	غ٠م	غ٠م	غ٠م	غ٠م

المصدر : منظمة الاقطـــــــار العربية المصـــدرة للبتــرول ،

التقرير الاحصائي السنــوي ١٩٧٦ ، الكويــت ، ١٩٧٧ ، ص ٨٥

جدول رقم (٧)

أسعــار المنتجــات النفطيــةالمصدرة من ايطاليا وروتردام في النصف الاول لعــام ١٩٧٧ (دولار للطن المتري)

المنتجات	ايطاليا	روتردام
	١٣٩ر٥٤	١٤٥ر٩٤
بنزين ممتاز	١٢٦ر٢٢	١٣٣ر٣١
بنزين عادي	١٢٤ر٧٧	١٢٨ر٣٧
نفتــا	١٢٤ر٠٨	١٢٩ر٣٧
كيروسين وقود نفاثات	١١٧ر٦٥	١١٨ر١٠
زيــت الغاز	٨٢ر٠٠	٨٣ر٨١
زيت وقود ثقيل ١ ٪ كبريت	٧٢ر٧٥	٧٢ر١٢
زيت وقود ثقيل ٣ر٥ ٪ كبريت		

المصدر : مجلة النفط والتعاون العربي ، الصادرة عن منظمة الاقطــار العربية المصــدرة للبترول ، المجلد الثالث ، العدد الرابع ، ١٩٧٧ ص ١٤٤ .

الحواشي

(١) لقد عالجنا الموضوع نفسه قبل ما يزيد على اربعة عشر سنة . وحول هذا ، انظر : « نحو سياسة بترولية عربية مشتركة » للدكتور حميد القيسي ، **مجلة التجارة** ، العدد الثالث (بغداد ١٩٦٤) .

(٢) المشاريع النفطية العربية المشتركة التي انشأتها منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول هي :
أ — الشركة العربية لبناء واصلاح السفن ، تأسست في ١٩٧٣ .
ب — الشركة العربية للاستثمارات البترولية ، تأسست في ١٩٧٤ .
جـ — الشركة العربية البحرية ، تأسست في ١٩٧٣ .
د — الشركة العربية للخدمات البترولية ، تأسست في ١٩٧٥ .

(٣) **اتفاقية منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول** ، بدون مؤلف ولا ناشر ، المادة الثانية والمادة التاسعة والعشرون من الاتفاقية .

(٤) منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول ، **تقرير الامين العام السنوي الثاني المقدم الى** الاجتماع الخامس عشر لمجلس الوزراء ، تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٧٥ ، ص ٦٤ .

(٥) **المصدر نفسه** ، ص ٣٨—٤٨ .

(٦) اجراءات منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية الخاصة بالسيطرة على ناقلات البترول في مطلع الخمسينات . انشاء لجنة الطوارىء للشرق الاوسط في الولايات المتحدة ولجنة الطوارىء في لندن التي انشئت في ١٩٥٦ وبعدها لجنة مجموعة طوارىء صناعة البترول التي انشئت في نهاية ١٩٥٦ . واللجان المتعددة الخاصة بالطاقة التي أنشأتها السوق الاوروبية المشتركة .

انظر : منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول ، **أساسيات صناعة النفط والغاز** ، الدكتور حسين عبد الله « تطورات مواقف الدول الصناعية وتحليل آثارها المحتملة على المنتجين » الدراسات الاقتصادية ، الجزء الثاني ، (الكويت ١٩٧٧) ص ١٤١—٩٦٥ .

(٧) المصدر نفسه ، الدكتور حميد القيسي « **شركات النفط العالمية ودورها المتغير** » ، ص ٩٧ — ١١٦ .

(٨) **المصدر نفسه** : الدكتور علي عتيقة « الخيارات المتاحة للعلاقات الجديدة بين المنتجين والمستهلكين » ، ص ٣٢٥—٣٤٠ .

(٩) **المصدر نفسه** : الدكتور فاضل الجلبي « استراتيجية الاستخدام الامثل للثورة النفطية العربية » ، ص ٣٤١—٣٦٦ .

(١٠) اظهرت الدراسات التي قدمت في ندوة « المكامن النفطية » التي عقدتها منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول في تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٧٧ وجود اكثر من خمسة مكامن نفطية مشتركة بين اقطار الخليج العربي ، ولقد أكد ذلك للمؤلف ايضا الخبير صبري المعين ، الخبير الفني في المنظمة في مقابلة شخصية .

(١١) للحصول على معلومات اوسع من موضوع القواعد الاساسية للصيانة العلمية للموارد النفطية راجع :

E. W. Zimmerman, Conservation in The Production of Petroleum, Yale University Press, 1957, pp. 25 - 27.

(١٢) الدكتور حميد القيسي « النتائج الاقتصادية الناجمة عن عدم اتباع وسائل الصيانة الحديثة في استغلال الموارد النفطية في العراق » ، بحث قدم الى مؤتمر البترول العربي الخامس / القاهرة ١٩٦٥ ، منشورات الجامعة العربية لقرارات وبحوث المؤتمر تحت رقم ٦١ (أ — ١) / (القاهرة ١٩٦٥) .

(١٣) للحصول على معلومات اكثر بصدد جهود منظمة الاقطار المصدرة للبترول لوضع قانون عام لصيانة الموارد النفطية انظر :

Mikdashi, Zuhayer, The Community of Oil - Exporting Countries, Goerge Allen and Unmin Ltd., London 1972.

(١٤) منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول ، اساسيات صناعة النفط والغاز ، الاستاذ احمد نور الدين « مصافي التكرير والمنتجات الرئيسية » ، الجزء الاول ، الدراسات الفنية ، ص ٨١—١٤٠ ، مصدر سبق الاشارة الى بعض اجزاءه الاخرى .

(١٥) كان الموضوع يحل بصورة اتفاقيات ثنائية بين الدول المنتجة للنفط والشركات صاحبة الامتياز كجزء من الالتزامات المالية لهذه الشركات . كما أن اتفاقية طهران في نوفمبر ١٩٧١ قد سحب نمط هذه الاتفاقيات على اكثر من دولة منتجة للبترول .

(١٦) السمات الشمعية للخامات النفطية مفصلة بصورة واضحة في بحث الاستاذ احمد نور الدين ، مصدر سابق .

(١٧) انظر : رجائي محمود ابو خضرا « ناقلات المنتجات في طريق الرجوع الى الرواج : اعتبارات تتعلق بذلك » ، مجلة النفط والتعاون العربي ، المجلد الثاني ، العدد الاول — شتاء ١٩٧٦ ، ص ٥١ — ٦١ ، ولنفس المؤلف « خيارات النقل والتسويق للزيت والغاز في اساسيات صناعة النفط والغاز » ، الدراسات الاقتصادية ، م.س. ص ٧٩—٩٦ .

(١٨) انظر : عدنان داود المردود : « الاسعار المتصلة بفروق النوعية والشحن للنفط الخام في دول اوبيك » ، دراسة وتحليل (مطبوعة على ورق الرونيو في نيسان / ابريل ١٩٧٦) دولة الامارات العربية المتحدة ، وزارة البترول والثروة المعدنية ، الادارة الاقتصادية . وهو بحث ابتدائي رائد الا انه يكتنفه الكثير من الغموض والتعميل وعدم الدقة .

(١٩) نفس المصدر اعلاه ، واخبار متفرقة نشرتها الصحافة النفطية في مناسبات متعددة .

(٢٠) اتصل بعض طلبتي في اقتصاديات البترول ببعض من اشترك في اللجان الاقتصادية لمنظمة الاوبيك من اخواننا العرب وجاء انطباع الطلبة عن موضوع فروقات الاسعار بأنه موضوع شائك ومعقد ويكتنفه العديد من الغموض كما عبر عن ذلك اولئك الذين اتصلوا بهم من هؤلاء الخبراء العرب بدون أن يحاول هؤلاء تبيان ما لديهم من معلومات عن الموضوع .

التوجيه التربوي للمبدعين

د. عبد الستار ابراهيم

موجـــز المقـــال :

تتزايد الحاجة لخلق مناخ تربوي يساعد على تكوين القدرة الابداعية ، وتنميتها ، او يساعد — على الاقل — على خلق تقبل عام للتعبير الابداعي ، والتسامح مع الاختلاف العقلي وتقبله . ويمكن تحقيق ذلك باعطاء الابداع كمنهج دراسي مستقل ، وصياغة البرامج الدراسية صياغة ابداعية ، وخلق نمط من العلاقات الاجتماعية الملائمة في الجو الدراسي . وسنبين من خلال عرض هذه الموضوعات ان تدريس الابداع كموضوع مستقل في برامج دراسية يمكن تنفيذه على الاقل ابتداء من المرحلة الثانوية . كما تبين الدراسات التجريبية والعلمية التي سيعرض لها المقال ان اعطاء برامج ابداعية يؤدي الى زيادة في الافكار الابداعية كما وكيفا ، كما انه يؤدي الى تغيير في سمات الشخصية ، كالميل للاعتماد على النفس ، والثقة بها ، والقدرة على الاقناع ، والمبادأة والقيادة ، وتوجيه الاخرين . واعطاء برنامج ابداعي يؤدي الى تلك النتائج الايجابية دون النظر الى وجود موهبة مبكرة ، او وجود ارتفاع في الذكاء ، او ارتفاع في العمر ، كما يصلح للذكور والاناث معا . وفضلا عن هذا فان هذا التاثير يظل ثابتا في الشخصية لفترة طويلة من العمر .

ويمكن ثانيا تعديل البرامج الدراسية بحيث تتجه الى التشجيع على الاصالة ، والتلقائية ، والطلاقة في الافكار ، وتنمية ثقة الاشخاص في ادراكاتهم الخاصة ، واثارة حب الاستطلاع والحساسية للمشكلات ، والمرونة . وقد عرضنا لعدد من الطرق والاقتراحات التي يمكن من خلالها تحقيق هذه المبادىء عند التفكير في صياغة البرامج الدراسية صياغة ابداعية . لكن يجب أن لا يفهم ان هذه الاقتراحات نهائية او مكتملة اذ من الممكن بهدي المبادىء العامة استكشاف طرق اخرى جديدة وملائمة لموضوعات دراسية مختلفــــة .

---

* استاذ علم النفس بجامعة الكويت .

لكن الابداع كما وضحنا ليس فعلا مستقلا عن بناء الشخصية ، وعن الاجزاء الاخرى منها . وهذا يعني ضرورة الاهتمام بانماط العلاقات الاجتماعية في الجو الدراسي . فقد تؤدي العلاقات الاجتماعية الى اثارة القلق ، وعدم الامان ، والتصلب والاتجاه نحو عبادة القواعد وعندئذ فان تعليم الابداع في برامج مستقلة ، او صياغة البرامج الدراسية صياغة ابداعية ستفقد قيمتها عند شخصية من هذا النوع . لهذا فقد قدمنا البرهان على ان نمط العلاقات الاجتماعية قد يلعب دورا اساسيا في تنمية الاحساس بالثقة ، وحب المغامرة ، وتأكيد الاختلاف العقلي البناء ، والتميز الذهني . ولعل من اخطر العوامل التي يمكن ان تواجه خلق نمط ملائم لاحتضان القدرة الابداعية وتشجيعها تلك التي تتعلق برفض المبدعين ، من قبل اساتذتهم وزملائهم ربما بسبب ما لوحظ لدى المبدعين من رغبة في تأكيد اختلافهم وحبهم للتساؤل عن الاشياء الغامضة ، وتنبههم للثغرات ونواحي النقص في الموضوعات العقلية والعلمية . لكن رفض المبدعين يعتبر في الحقيقة جزءا من عوامل اجتماعية اشمل ، تفرضها بعض القيم ، والتصورات الخاطئة التي تنعكس آثارها على اذهان القائمين بامور التربية . وهذا ما نأمل ان نعرض له في مقال آخر عن المناخ الاجتماعي العام وآثاره على القدرات الابداعية .

لعل علماء التربية هم أجدر من يتصدى لتفصيل القول في اهمية الدور الذي تلعبه عوامل التربية في تشكيل الشخصية . لكن الامر يختلف اذا تعلق الموضوع باي محاولة شاملة لحصر العوامل التي تنظم ظهور القدرات الابداعية او اختفائها . هنا نحتاج لجهد السيكلوجيين والتربويين معا ، كما نحتاج لجهد الكتاب ، والعلماء ، والمشرفين على شئون التخطيط التعليمي ، وخبراء المجتمع وغيرهم .

ويوجد اليوم اجماع على ان جزءا كبيرا من اهمالنا في استغلال الطاقة الانسانية وتوجيهها انما يعود الى عدم المام القائمين بشئون التربية والتعليم بالقوانين الاساسية للابداع (٥ ، ٧ ، ٨) . بل ان نظم التعليم تتجه غالبا في طريق يتعارض مع نمو التفكير الابداعي . فالمتطلبات الجادة للنجاح لا تزال تتبلور في القدرة على الاستيعاب والتذكر ، والمجاراة .. اي ما يسمى بالتربية التلقينية . ومن المؤكد ان العجز عن تكوين نظام تربوي ابداعي يشكل مشكلة لا تقف حدودها عند المستوى المحلي فقط ، بل قد اصبحت الان مشكلة عالمية .. يثيرها الخبراء — وربما بقدر اكبر — حتى في البلدان التي قطعت شوطا كبيرا في سلم الارتقاء . كما انها لم تصبح مشكلة محصورة في اطار التعليم المدرسي بل امتد تأثيرها نحو التعليم الجامعي .

* الارقام بين الاقواس تشير الى ارقام المراجع في نهاية المقال .

وتزداد المخاطر على المستوى المحلي العربي ، فالتخطيط للتعليم في كثير من البلاد العربية يمضي في اتجاه لم تصبح فيه تلك المشكلات مطروحة حتى للجدل . صحيح ان حس المسئولية للقيام باصلاح تربوي تعليمي شامل يفرض تأثيره بقوة في هذه الفترة . لكن المشكلات المطروحة لتحقيق هذا الاصلاح لا تزال محصورة في اطار متابعة وملاحقة النظم الدولية المتطورة . وهذا سليم في بعض النواحي ، لكنه لا يكفي . ففي الوقت الذي نمضي فيه لمحاكاة النظم المتطورة في بلدان العالم المتقدمة ، قد تكون تلك البلدان عزفت عن نظمها ، وبدأت سبيلا آخر للتطور بتلك النظم . ان تغيير المناهج التعليمية ، والتركيز على تعلم اللغات الاجنبية ، وبناء المعامل ، وبناء فصول دراسية حديثة ، والاستعانة بوسائل التقدم التكنولوجي في تدريس المواد والتعليم ... الخ كلها أهداف جديرة بالاعتبار . لكن هذه الاشياء جميعها ستظل محدودة القيمة اذا لم تكن النية تتجه الى خلق مناخ تعليمي يحقق التوازن بين التلقين والتلقائية ، بين تقبل الحضارة او معايير العالم الفكرية والثقافية ، ونمو الفردية ، بين اثارة القدرة على التحصيل او النجاح ، واثارة القدرة الابداعية والثقة بالنفس .

غير ان محاولة تقديم تصور لخلق نظام تربوي قائم على احترام الفردية واثارة التلقائية والابداع ، أمر غير يسير . فما نعرفه عن الابداع لا زال محدودا ، ومعرفتنا بانواع العلوم التي تحتاج للتناول الابداعي ، وتلك التي تحتاج الى مجاراة واستيعاب لا زالت ايضا غير محددة . فهل يحتاج تعليم الرياضيات والهندسة الفراغية الى اثارة للقدرات الابتكارية ، والاجتهادات الفردية والاصالة ؟ .. واذا كان الجواب : بنعم فهل يتساوى هذ القدر مع ما يتطلبه تدريس الفسيولوجي والتاريخ ، والادب وعلم النفس ، واللغات ؟ . أضف الى تلك الصعوبة صعوبة اخرى تتعلق باختفاء النموذج الذي يساعد على استطلاع الطريق . فنحن نبني كثيرا من تصوراتنا على نماذج نقدر بعض الجوانب فيها ، ونرفض البعض الاخر ، لكننا هنا لا نكاد نعثر على نماذج من التعليم الابداعي تساعدنا على وضع تصور دقيق . فلم نجد — في حدود ما نعلم — دولة من الدول قد قامت بوضع خطة شاملة لنظمها التعليمية بحيث تتجه مباشرة الى تنمية القدرات الابتكارية والابداعية .

ومع هذا فان هناك بعض المحاولات المحدودة ، التي قام بها بعض الباحثين تساعد على بلورة واضحة لمثل هذا التصور . فضلا عن هذا نجد أن بعض الملاحظات النظرية ، والاستنتاجات المشتقة من بحوث الابداع من جهة ، وبحوث علم النفس الاجتماعي والشخصية من جهة اخرى ، ستساعد بدورها على مزيد من تلك البلورة .

ان تحقيق نظام تعليمي يشجع على التلقائية والابتكار ، وتنشيط القدرات الابداعية ممكن وفي اكثر من اتجاه ، وباكثر من طريقة منها :

١ ـ تدريس الابداع كموضوع مستقل في برامج رسمية دراسية ، سواء في مرحلة الدراسة الثانوية أو الجامعية (١٠،١١،١٢) .

٢ ـ تعديل المناهج الدراسية ذاتها وصياغتها صياغة جديدة تساعد على تنمية الاسلوب الابداعي في تناولها (٨،١٢) .

٣ ـ خلق مناخ اجتماعي تعليمي يشجع على اثارة القدرة الابداعية اما مباشرة ، أو غير مباشرة بخلق سمات من الشخصية ، أو خبرات تربوية ترتبط ارتباطا واضحا بالابداع (١٢،١٣،١٤،١٥،١٦) .

ولكل طريقة مزاياها وامكانياتها في تحقيق الهدف النهائي من التخطيط لتربية ابداعية . وفيما يلي بعض التفاصيل .

تدريس الابداع في برامج مستقلة :

تقوم الفكرة من اعطاء الابداع كبرنامج مستقل على التصور العام بان الابداع شيء يمكن تعلمه وتعليمه ، وبالتالي نقله في شكل خبرات دراسية منتظمة . وهناك محاولات عدة تمت بغرض تقييم هذه الطريقة من حيث نتائجها في تعليم القدرة على تكوين الخيال ، والاستمرار في تبني أسلوب ابداعي ، وتكوين سمات جديدة من الشخصية تساعد على الانطلاق والتحرر والتلقائية . ففي جامعة « بافالو » (Buffalo) (١٢) مثلا ثم تدريس برنامج ابداعي اختياري لمجموعات من الطلاب في تخصصات مختلفة منها : الهندسة ، والطب ، والقانون ، والتربية ، والفيزياء وعلم النفس . وقد تضمن البرنامج تدريس كتاب في الابداع هو كتاب « اوسبورن » (Osborn) : « الخيال في مجال التطبيق » (Applied Imagination, 1953) ويتضمن هذا الكتاب فصولا عن أهمية الخيال واهمية تنميته في كل جوانب الحياة ، وعن اهمية مراحل مواجهة المشكلات وحلها بداية من التهيؤ ، وتقبل المشكلة ، ومواجهتها وانتهاءا بتقييم الحلول المختلفة .

كذلك تم تدريس بعض الموضوعات الخاصة بالعوامل المعوقة لانطلاق القدرات الابتكارية سواء كانت تلك المعوقات **ادراكية** ، **او انفعالية** ، **او حضارية ـ اجتماعية** . أما بالنسبة للمعوقات الادراكية فقد تم التركيز بشكل خاص على بعض الموضوعات التي من أهمها : صعوبة عزل المشكلات ،

والصعـــوبات النـــاتجة عن التحديد الضيق للمشكلة ، والعجز عن تعريف الخصائص الهامة للمشكلة او عزلها ، والفشل في استخدام الحواس جميعها في عملية الملاحظـــة .

اما بالنسبة للمعوقات **الحضارية والانفعالية** (١، ٢، ٣٤) فقـــد تـــم التركيز على بعض جوانب الشخصية ، وسماتها التي تعوق التعبير الابداعي والتي منها المجاراة العقلية أو الاعتماد المبالغ فيه على تعاون الاخرين ، أو اتخاذ موقف تنافس مبالغ فيه ايضا . كذلك تضمن هذا الجانب الدور السلبي الذي يلعبه الايمان المطلق في العقل أو المنطق ، والاشباع الذاتي ، والاكتمال ، والسلبية ، والاعتماد على السلطة ، والخوف من الوقوع في الخطأ ، او الفشل ، أو الخوف من الظهور بمظهر المخطيء أو الاحمق .

وفي اثناء تدريس برنامج الابداع تلقى الطلاب معلومات عن اهمية مبـــدأ تأجيل « الحكم على الافكار » أو تعليق الحكم Deferred Judgment كأحـــد المبـــادىء الرئيسية في التنشيط الاجـــتماعي للابـــداع ، وتشجيع الاشخاص على توليد الافكار الابداعية وتنظيمها . ويقوم هذا المبدأ على اساس الامتناع عن الحكم أو تقيم الافكار في مرحلة الدعوة الى انتاج افكار ابداعية جماعية ، بهدف ازاحة العقبات التي تعوق الانطلاق الكامل للخيال .

وكانت نتائج هذه الدراسة من الثراء بحيث نجد ضرورة عرض بعضها لكي نتذوق معا اهم القوانين التي تحكم تدريب القدرات الابداعية . فبعد الانتهاء من اعطاء البرنامج السابق تمت المقارنة بين هذه المجموعة ومجموعة اخرى ضابطة لم تعط هذا البرنامج . واستخدمت مقاييس القدرات الابداعية الشخصية ، والملاحظات المختلفة لتحديد جوانب هذه الفروق . وتبين النتائج ان المجموعة التي درست برنامج الابداع قد تفوقت على المجموعة الاخرى على عدد من مقاييس القدرات الابداعية .

ومن الطريف ان الارتفاع لم يحدث على مقاييس القدرات الابداعيـــــة فحسب ، بل وحدث ايضا في بعض سمات الشخصية مثل القدرة على القيادة ، والسيطرة ، والمثابرة ، والمبادأة ، والتلقائية . ومعنى هذا اننا اذ رغبنا في تغيير نمط الشخصية ، فان من السهل احداث هذا التغيير بصورة غير مباشرة بتشجيع التعبير عن الابداع وتعليمه كبرنامج مستقل .

وفي دراسة اخرى تبين ان تاثير البرامج الابداعية ، يؤدي الى تفـــوق في القدرات الابداعية يستمر ما يقرب من ثمانية شهور او اكثـــر بعـــد انتهاء البرنامج (١١) . ونحن نستطيع في ضوء هذه النتيجة ان نحكم بان **تنشيط** القدرات الابداعية والابتكارية يحتاج ضمانا للشروط التي تسمح باستمرار هذا

التنشيط . فقد يندفع الشخص بحمية ــ تحت تأثير الدوافع التي تخلقها البرامج ــ نحو اختبار ذاته ، أو التطلع بنظرة جديدة الى بعض امكانياته الابداعية ، لكن الجذوة قد تخبو تدريجيا ، اذا لم تكن الشروط معدة لاستمرار هذه الجذوة حتى يتاح لها اكبر قدر من البقاء والتدعيم . وتلقى هذه النتيجة ضوءا قويا على أن نمو الابداع وتنشيطه يخضع لقوانين اشبه بالقوانين التي تحكم نمو الكائنات الحية فكما أن خصائص الكائن العضوية والفكرية تنمو من خلال شروط تشجع على نموها ، وتمنحها مذاقها الخاص ، وكما أن عملية النمو قد تتوقف اذا ما توقفت بالتالي فاعلية شروطها ، كذلك يحدث بالنسبة للفكر الابداعي . فتوقف نمو التفكير الابداعي ــ اذا ما توقفت شروط تنميته ــ امر غير نادر ، ويمكن أن نلاحظه في كثير من الحالات الفردية ، وفي بعض حالات التغير الاجتماعي المفاجئة ، عندما يتجه الفرد أو المجتمع الى السلام المصطنع فتتدهور قدراته ، ويتجه للمجاراة والتقليد . وتؤكد ايضا هذه النتيجة وجود خبرات طارئة قد تتدخل لتوجه التفكير نحو التصلب ، والمجاراة ، وهذه بدورها تخلق مدعماتها ــ الذاتية بحيث تنتشر وتشيع لدى الفرد ، وتعطل بالتالي القدرة الابداعية او الدافع لهـا .

وسأحاول أن اقدم الدليل على ذلك بالاعتماد على بعض التصورات التي اثبتتها نظرية التعلم . تكشف نظرية التعلم عن وجود مبدأ هام من المبادىء التي تحكم السلوك الانساني ، ومؤداه أن تعلم اشياء جديدة يطغى تأثيره على الاشياء التي سبق تعلمها . فيتدعم الشيء الجديد ، وينطفىء الشيء القديم . معنى هذا أن من السهل أن نستنتج أن وجود فرص ، أو مدعمات للسلوك الابداعي سيؤديان الى انتشار هذا السلوك في الجوانب المختلفة من الشخصية بحيث يؤدي ذلك ، وبسهولة الى توقف العمليات المعارضة للابداع كالمجاراة والتصلب . لكن العكس صحيح ايضا فان ابقاء القدرات الابداعية ــ التي سبق تدعيمها ــ دون تدعيمات اضافية ، وتنمية مستمرة سيؤدي في النهاية الى زيادة في نمو العمليات المعارضة ، والتي ستؤدي بدورها الى توقف اكثر في الشروط المشجعة على نمو الابداع . ولسوء الحظ فان هناك ما يجعلنا نحكم بان التدعيمات الاجتماعية الخارجية للتصلب والمجاراة اقوى من تلك التي توجه للسلوك الابداعي في المجتمع . فتاكيد المجاراة والتصلب ، وما يدور في فلك هاتين الخاصيتين يعتبر اقرب لمتطلبات التوافق الاجتماعي اليومي . وسنرى في موقع اخر أن المجال الاجتماعي لا يؤكد على الابداع والمناشط العقلية كقيمة انسانية ، بل انه يؤكد على قيم معارضة بطبيعتها للابداع . فالمجتمع يتطلب خضوعا لمعاييره السائدة (سواء كانت معايير للسلوك الاجتماعي الملائم ، أو معاييرا عقلية ، او فنية) ، ويؤكد على قيم السلطة ، والقوة والمركز ، والنجاح الاجتماعي : وهي جميعها تتعارض مع

ما يتطلبه نمو القدرات الابداعية وتنشيطها . ويتطلع الكاتب باسى الى المخاطر التي يمكن أن تعترض نمو العملية الابداعية اذا ما تركناها هكذا تواجه التحديات الاجتماعية غير المنضبطة ، اما نتيجة للجهل بقوانين نمو الحياة الانسانية ، أو نتيجة للاعتماد على مبادىء خاطئة من الصراع الحر .

وتبين الدراسات ايضا أن تعليم برنامج ابداعي لتنمية الخيال ، لا يؤدي وحده لاثارة الافكار الابداعية وتنشيط الخيال ، بل ان **طريقة التعليم** تلعب دورا مماثلا ، (١٥،١٢) . ففي مجموعة من التجارب ، والدراسات وضعت اجراءات خاصة لاثارة الافكار الابداعية وتنشيطها في جو يمتنع فيه عن التقييم او الحكم على الافكار ونقدها . وفي مجموعة أخرى اعطى نفس البرنامج ، ولكن في جو مـ نالنقد والتقييم . وقد تبين ان هذا الاجراء المتعمد يؤدي الى **زيادة مقدارها ٧٢ ٪ من الافكار الابداعية والاصيلة ، ولم تحدث هذه الزيادة في المجموعة التي خضعت للحكم والتقييم** . واجريت دراسة مشابهة على طلاب احد ىالجامعات الامريكية ، تام خلالها مجموعة من الباحثين (١١،١٢) بتطبيق عشرة مقاييس للابداع ، من نوع المقاييس التي أثبتت كفاءتها في التمييز بين المبدعين وغير المبدعين (انظر التذييل) . واختار الباحثون للدراسة مجموعتين احداهما تجريبية ، والاخرى ضابطة . وقسمت المجموعة التجريبية الى ثلاث مجموعات صغيرة اعطيت كل منها برنامجا مستقلا ذا خصائص مختلفة عن البرامج الاخرى لتعليم الكفاءة في حل المشكلات العقلية . اما المجموعة الضابطة فقد بقيت دون برامج من هذا النوع . وطبقت مجموعة الاختبارات على كل المجموعات في بداية التجربة ، وبعد انتهاء البرنامج طبقت عليهم نفس تلك المقاييس . **وعلى هذا فان اي زيادة جديدة للمجموعات** التجريبية في ادائها الابداعي على المقاييس كانت تتخذ كعلامة على فاعلية البرامج الابداعية التي درست . ولكي يكون هذا الاستنتاج صحيحا روعى توفير قدر كبير من التكافؤ في المجموعتين التجريبية والضابطة من حيث الذكاء ، والعمر ، والجنس ، وطول مدة الدراسة . وقد تحقق هذا التكافؤ بطريقة **المضاهاة الفردية اي ان يكون في كل مجموعة فرد يتشابه مع اخر في المجموعة الاخرى السابقة** . فاذا حدث مثلا ان وجدت في المجموعة التجريبية فتاة من النوع الجذاب ، الذكي ، وفي العشرين من عمرها ، كانت توضع في المجموعة الاخرى فتاة بنفس الخصائص . وقد أخبر الباحثون الطلاب في كل المجموعات ، في بداية الدراسة ، بان هذه الدراسة تهدف لقياس التغير في التفكير بعد اعطاء برامج تعليمية ذات مواصفات خاصة .

ولاهمية نتائج تلك التجربة ، فاننا نجملها **مع غيرها** من نتائج الدراسات المماثلة ، ونعرضها في النقاط الاتية :

١ ــ يتفوق الطلاب الذين درسوا برنامجا في الابداع تفوقا ملموسا في كمية الافكار الابداعية التي ينتجونها . ولم تحدث زيادة ما في المجموعات التي لم تعط هذه البرامج .

٢ ــ كذلك يتفوقون في نوعية الافكار التي يقدمونها فقد اصبحوا اكثر تفوقا في الاصالة ، والمرونة العقلية والحساسية للمشكلات .. وهي العناصر الرئيسية للابداع .

٣ ــ لكن لم يحدث تغير بين المجموعتين (التي درست والتي لم تدرس) في بعض سمات الشخصية مثل ضبط الذات ، والحاجة للانجاز والتحصيل . لكن المجموعة التي درست (ولنطلق عليها المجموعة التجريبية) تفوقت عن المجموعة التي لم تدرس (اي المجموعة الضابطة) في خاصية الميل للسيطرة بعد انتهاء البرنامج . لكن السيطرة هنا يجب الا تؤخذ بالمعنى التسلطي ، ذلك لان تقارير الباحثين عن هذه الخاصية تنظر الى الميل للسيطرة بصفته تعبير عن عدد من الخصائص من اهمها : الثقة بالنفس ، الاعتماد على النفس ، القدرة على الاقناع ، المبادأة والقدرة على القيادة وتوجيه الاخرين . مما يشير الى أن تنمية هذه القدرات يمكن تحقيقه بتنمية القدرات الابداعية .

٤ ــ تبين ايضا أن البرامج الابداعية تكون ذات **فائدة للمتوسطين ، والمنخفضين والمرتفعين في الابداع منذ بداية التجربة على حد سواء** . اي أن اعطاء برامج ابداعية يكون مفيدا حتى لغير المبدعين ، اذ يساعدهم على تكوين هذه القدرة . كما يكون مفيدا للمبدعين فيزداد ابداعهم ، واقتناعهم بقيمة ميولهم .

٥ ــ كما تبين انها تفيد الاذكياء وغير الاذكياء ، فليس بالضرورة أن يكون الطلاب من النوع المتفوق اللامع حتى تقتصر عليهم تلك البرامج . ومعنى هذا انه بالرغم من أن الوراثة فيما يرى جيلفورد ــ قد تلعب دورا ما في بعض القدرات التي تتضمنها العملية الابداعية ، فان التربية تساعد على الارتفاع بتلك القدرات دون أن تعرقل العوامل الوراثية من تأثيرها .

٦ ــ وهناك ما يدل ايضا على أن الفائدة تشمل الكبار الذين تتراوح اعمارهم ما بين الثالثة والعشرين والخمسين ، ولشباب ممن تتراوح اعمارهم بين السابعة عشر والثانية والعشرين . وكذلك تشمل الذكور والاناث بنفس القدر .

٧ ــ وهناك ايضا ما يدل على ان تنمية الابداع مــن خــلال البــرامج الدراسية الرسمية يؤدي الى ثبوت واستمرار ، وتحسين شبه دائم ، على ان لا يعني ذلك التوقف عن خلق الشروط الملائمة لهذا الاستمرار .

من الثابت اذن أن استخدام برامج تركـــز بشكل خاص على تدريس الابداع والخيال كموضوع دراسي ، من شأنها أن تؤدي الى تدريب الاصالة في الشخصية وتنميتها . تلك حقيقة يشير لها اكثر من بحث من البحوث السابقــة ونتائجها تحمل في ذاتها اقناعاتها ، ويغنينا ذلك عن اي تعليق .

تعديــــل المنـــاهج وصياغتهـــا ابداعيـــا :

العملية الابداعية لا تتكون في فراغ ، ولا تنشأ من فراغ ــ فما مــن ابداع الا وهو ابداع لشيء ومن شيء . انه يرتبط دائما بمادة او موضوع . وهنـــاك اتجـــاه يـــدعو الى تنميـــة الابـــداع **من خلال موضوعات الدراسة (٨،١١،١٧)** . **اي من خــلال اعادة صياغة مناهــج الدراسة وتقديم المواد الدراسية في الموضوعات المختلفة تقديما ابداعيا** . ولا يتعارض هذا النوع من التنمية الابداعية مع الطريقة القائمة على اعطاء برنامــج دراسي ابــداعي مستقل ، فاعطاء برنامج ابداعي يعلم الشخص قوانين الابداع وشروطه ، ويضعه منذ البداية في موقف التصور العلمي ، ويبعده عن الانبهار الذي قد يضلل التفكير عن حقيقته . ومن خلال تقديم البرامج الدراسية ، يقدم الابداع مرتبطا بمادة ، وموضوع ، فيتدرب العقل على التفكير ، والتأمل ، والتجاوز . اي أن ما فهمه الشخص بالمنطق والاقناع ، والبصيرة العلمية ، يتحول هنا الى مادة وواقع ، وخبرة شخصية .

لكن الامر يحتاج بالطبع الى جهد طويل وكثيف ، لكي يمكن أن تصـــاغ البرامج الدراسية صياغة منشطة للقدرات الابداعية ، بحيث لا تقتصر علـــى تنمية التحصيل ، والمعرفة المجردة ، والتقبل للحقائق المتراكمة .

ولعل من أهم الصعوبات التي تواجه هذا النوع من التغيير تلك التي تتعلق باقتناع الجهات الرسمية المشرفة على وضع البرامج الدراسية . ويزداد حجم هذه الصعوبات في مراحل التعليم السابقة على الجامعة . اما صعوبات هذا التغيير في التعليم الجامعي ، فتختلف عن ذلك . حيث يرتهــن التغير في هذا المجال بجهد الاساتذة وقدراتهم الخاصة ، وحظهم من القدرة على الاقناع او الاقتناع ، ومدى قابليتهم لتقبل الافكار الجديدة ، او رفضهم اياها . وهناك صعوبة ثالثة واساسية تتعلق بعدم توافر الحقائق كاملة امام

اذهان المهيمنين على التغير الاجتماعي ، سواء كانوا ممـــن ينتمون الى الجهات الرسمية التي تشرف على التربيـــة والتعليم ، او فريق التدريس والبحث في الجامعات . فعدم وجود الحقائق ، والمبادىء العامة التي تنظم ما قد يعتمل في الذات على مستوى الرغبة ، والنية الطيبة ، ربما يكون من اهم العوامل التي تعوق التغير الاجتماعي ، أو صياغة متغيراته الاســـاسية . وسأحاول في هذا الجزء أن اعرض لبعض المحاولات المحدودة التي هدفت الى تقديم بعض البرامج الدراسية بطريقة تتحقق فيها مواصفات الابداع . وسنرى بعد ذلك ما اذا كان من الممكن ان نستخلص من تلك المحاولات بعض المبادىء العامة التي ينبغي أن توجه الرغبة في تعديل المناهج الدراسية ، واعـــادة كتابتها بطريقة ابداعية .

ففي بعض الدراسات صيغت بعض البرامج الدراسية في الجامعات الامريكية بحيث يتكامل عرضها ، ويتفق مع مناهج وقوانين الابداع الاساسية (١١) . وتـــدل نتائج تلك الـــدراسات ان هذا التغيير في عرض البرامج الدراسية ، وصياغتها صياغة جديدة بهذا الشكل قد خلق بين الطلاب جوا من الحماس . كما انه قد أدى الى زيادة في قدراتهم الابداعية المجردة (اي كما تنعكس فـــي الاداء على مقاييس الابداع) . وفي مقارنة بين مجموعتين الاولى مكونة مـــن خمسة وخمسين طالبا ممن اعطوا برنامجا في الكيمياء مصاغا بطريقة ابداعية ، والثانية ضابطة ذات عدد مماثل ومن نفس العمر وفي نفس التخصص ، تبين ان المجموعة الاولى قد عبرت عن شعورها بأهمية الدراسة الابداعية لمشكلات تخصصها ، فضلا عن هذا فقد عبر اكثر من ٧٥ ٪ منها عن رغبتهم في دراسة البرامج الدراسية الاخرى بنفس الطريقة . مما يدل على ان صياغـــة بعض البرامج الدراسية ابداعيا يخلق ميزتين تختص احداهما بفاعلية البرامج الذي يقدم بهذه الطريقة ، والاخرى تختص بتقبل الطلاب ، وتفضيلهم لهذه الطريقة عن غيرها مما يخلق حماسا للدراسة ، ودافعية ، وارتفاعا في المعنويات .

لكن كيف تصاغ البرامج الدراسية ابداعيا ؟ وما هي المبادىء الاساسية التي يجب اتباعها لتحقيق ذلك ؟ وكيف يتكامل عرض البرامج الدراسيـــة الرسمية مع مناهج الابداع ، وقوانينه ، ومبادئه ؟ .

ان المبدأ العام الذي ينظم ذلك هو ان تعرض المادة ، وان تدرس بطريقة تدفع الطلاب للمشاركة ، والاستثارة الخلاقة ، وفق القواعد الاتية :

١ ــ يجب تشجيع الطلاب على اعطاء افكار ابداعية عن الموضوعات المدروسة . ومن المهم أن يشجع الطلاب على اعطاء افكار جديدة واصيلة . ويرى كثير من علماء النفس بان الطلاب الذين لا يستخدم معهم هذا الاسلوب فانهم ــ خاصة كبار السن ــ سيقعـــون تحت رحمـــة المادة التي يفرضها

نظام التعليم القائم على مجرد تشجيع الدقة ، والصحة ، والاعتماد على المصدر على حساب الذاتية والتفكير المستقل والابداع . وهناك بالطبع وسائل متعددة يمكن من خلالها اثارة الاصالة في الجو الدراسي منها ان يشجع الاستاذ في تلاميذه الافكار الجديدة ، وان يشرك الطلاب في التعليق على البرامج التي يعدها . وقد يطلب رايهم ــ خاصة في المجال الجامعي ــ في تفضيل بعض الموضوعات على البعض الاخر . وليس في هذا بالطبع اي مساس بالروح العلمية للموضوع فكل استاذ يقوم ــ واعيا أو غير واع ــ بانتقاء بعض الموضوعات الممثلة للبرنامج الدراسي الذي يعطيه . فيا حبذا لو خضعت عملية الانتقاء هذه لروح المناقشة وطلب ابداء الراي . ولا يقتصر تشجيع نمو الاصالة على ذلك ، بل انه يمتد الى طريقة تدريس المادة المنتقاة ذاتها . ومن المقرر أن طلب التعليق وكتابة تقرير عن الموضوع ، أو طلب ابداء الراي في الكتاب ، والتعبير عن وجهة النظر من العوامل الشديدة الفاعلية في تنمية روح الاصالة ، والثقة .

لكن علينا أن نتذكر أن الاصالة ما هي الا وجه واحد من وجوه الابداع وان هناك وجوها اخرى متعددة لها اهميتها في بعض الموضوعات منها في البعض الاخر . فالموضوعات الادبية والفنية تحتاج لقدر اكبر من الاصالة ، لهذا يجب بالنسبة لهذه الموضوعات أن تشجع قدرات الطلاب على اثارة مشكلات أو رؤى جديدة غير شائعة . اما موضوعات مثل الرياضة ، والعلوم فان الاصالة ــ بالرغم من اهميتها في بعض اجزاء هذه الموضوعات ــ ليست العنصر الوحيد المطلوب . فمثل هذه الموضوعات الدراسية تحتاج لاثارة خصائص مثل : تنمية القدرة على الملاحظة والدقة ، والاستنتاج العقلي ؛ والحساسية للمشكلات . لهذا فيجب بالنسبة لتلك الموضوعات تكوين اتجاه يوازن بين النظام العقلي ــ والحرية العقلية اي نظام يجمع بين المجاراة والابداع في نفس الوقت . واذا قبلنا التمييز الشائع بين النوعين من المعرفة الفنية والعلمية فاننا يمكن أن نحكم بان المعرفة العلمية تحتاج لقدر اكبر من المجاراة .. قبل ان يتحول الباحث أو الطالب الناشىء مبدعا في مجاله . ذلك ان فهم قواعد المنهج ، وقوانين العلم الاساسية ، ونظرياته ، واساليب التفكير ، واستخلاص النتائج وكتابتها كلها أمور ينجح التوصل اليها من خلال مجاراة الخبرة ، واستيعابها .. وقد تعتبر هذه الخاصية هي الشرط الاساسي قبل تقديم اي مساهمات علمية ابداعية في مجال التخصص . لكن الامر بالنسبة لانواع المعرفة الفنية يحتاج لقدر أكبر من الاصالة .. ولو ان ذلك يتوقف على نوع المعرفة الادبية ، وتوصيفها . فبعض النقد الادبي مثلا قد تحتاج لتوازن بين المجاراة ــ والاصالة .

٢ ـــ وكما اننا نحتاج لتدعيم الاصالة كذلك نحتاج الى اثارة المشاركة ، وتشجيع **تلقائية التعبير** . فلا تكون ملاحظاتنا موجهة دائما للاخطاء لكي تنتقد ، بل يمكن ايضا ان نشجع التلقائية ، وان نكافيء جوانب الصحة . ومن المبادىء ايضا التي ترتبط بهذا المبدأ العام تشجيع الطلاب على **الطلاقة في** الافكار . فكلما استطاع الطالب ان يقدم عددا اكبر من الافكار في موضوع معين ، كلما كان قادرا بعد ذلك على حل كثير من المشكلات بالاعتماد على الذات . وكلما كانت افكاره في موضوع تخصصه كثيرة كلما كان قادرا على تكوين **عقل** خصب متنوع يساعد على نقل **ما تعلمه في مجالات اخرى الى مجالات جديدة** .

ويمكن **تدريب الطلاقة والتلقائية** بتمارين مباشرة كالتدريب على توليد سلسلة من الافكار في موضوعات معينة . وعندما تتحول هذه القدرة الى عادة يمكن الانتقال بها بعد ذلك واستثمارها في مواقف متعددة ومتنوعة . لهذا نجد من الضروري أن تتضمن البرامج الدراسية خاصة في المدارس الابتدائية موضوعات من شأنها أن تدعم مباشرة القدرة على الطلاقة . ومن التمارين التي يمكن استخدامها في تلك الموضوعات ذلك النوع من الاسئلة القريب من اختبارات الطلاقة التي وضعها جيلفورد وتورانس وغيرهم . وعلى سبيل المثال يمكن تحويل كثير من الموضوعات الدراسية الى اسئلة من هذا النوع .

ـــ فكر في اكبر قدر ممكن من الاستعمالات لفرع شجرة .

ـــ ما هي الاستعمالات التي يمكن أن تستخدم فيها **صفيحة** النفط ، أو كتلة خشب ، أو حافر الماشية .... الخ .

ـــ سجل في خمس دقائق اكبر قدر ممكن من الاشياء : الحمراء أو الاشياء المستديرة ، أو الاشياء المربعة ... الخ .

وقد تبدو تلك الامثلة السابقة بسيطة أو مبسطة للغاية . وهذا صحيح . لكن علينا ان لا ننسى انها امثلة تساق على سبيل الاستشهاد . وان ما يهمنا هو المبدأ الذي يكمن وراء استخدامها اذ يمكن لو فهمنا هذا المبدأ أن نصوغ البرامج الدراسية مهما تفاوت تعقيدها بحيث تستثير التلقائية وتعلم الطلاقة .

٣ ـــ وهناك عمليات اخرى يمكن اثارتها ايضا من خلال البرامج الدراسية ، مثل **تنمية ثقة الطلاب في ادراكاتهم الخاصة ، وافكارهم الشخصية** فهاتان الخاصيتان من أهم الخواص التي ينبغي الاشادة بها عند التعرض لتنمية القدرات الابتكارية لطلابنا وتلاميذنا لسببين : السبب الاول ان هاتين الخاصتين من اهم جوانب الشخصية التي تبين انها ترتبط بالقدرات الابداعية ، وثانيا ، لان نظم التعليم ، وبرامج الدراسة لدينا لا تتجه لتنمية الثقة بالادراك

أو الافكار الخاصة بل تتجه ــ لسوء الحظ ــ الى عكس ذلك ، اي الى خلق تبعية لافكار المؤلف ولما يرد في البرنامج الدراسي . وبالطبع فان اسباب ذلك كثيرة ومعقدة . لكن تلك الاسباب على تعقدها لا ينبغي أن تمنعنا من علاج الامور علاجا جزئيا . فهذا افضل من عدم علاجها على الاطلاق .

ومن الطرق التي يمكن من خلالها اثارة الثقة بالنفس واثارة الثقة في الادراكات الشخصية انه يمكن أن نطلب من الطالب مباشرة بأن يسجل افكاره في الموضوع المعروض ، وان يشجع على الاحتفاظ مثلا ، بكراسة خاصة لتدوين ملاحظاته ، وانتقاداته ، ويمكن للاستاذ أن يطلع على تلك الكراسة بين الحين والاخر ، لكي يوجه ويناقش بعض ما ورد بها . وقد استنت وزارة التربية والتعليم المصرية ذات مرة سنة حميدة بان أمدت كل تلميذ في المدارس الثانوية بكراسة خاصة للطالب الذي يتردد على المكتبة لكي يسجل فيها ملخصا للموضوع ، أو للقصة أو للمسرحية التي قراها . كما كان يوجد بها جزء لتسجيل الملاحظات الشخصية على طريقة المؤلف،وتقييم الطالب الشخصي لعمله . واستطيع أن اتذكر ــ عندما كنت طالبا بالمدرسة الثانوية ــ ان هذا الاسلوب كان يدفعنا للحماس والقراءة ، وقد كان الزملاء يتبادلون تلك الكراسات لكي يطلع كل منهم على افكار الاخر ، ولكي يتحاور معه فيها ويتناقش . وكان هم كل واحد من الزملاء أن يملأ كراسته بما قرأ وما لاحظ مثل غيره من الزملاء الاخرين . هذا الاسلوب يلائم تماما الغرض . ولو انه لم يخل من بعض العيوب التي كان من أهمها عدم وجود تشجيع منظم من احد المتخصصين ، اذ لم يكن هناك ، على الاقل ــ اي نوع من التوجيه الملائم، بل كانت الامور تترك للمبادرات الشخصية ، وللميول التي تجمع بين مجموعة من الزملاء بالصدفة . ولم تكن هناك متابعة لمعرفة ما سيتركه هذا **الاسلوب من جوانب للنمو ، او مظاهره** . ومع ذلك فان من المؤسف حقا أن تختفي تلك المبادرات كما تختفي كثير من الاشياء الطيبة في حياتنا بهدوء .

٤ ــ ومن الجوانب التي يمكن التنبه اليها تلك التي تتعلق باثارة **القدرة على الاحساس بالمشكلات** ، اي اثارة حب الاستطلاع ، والرغبة في التساؤل والبحث والاستفسار .

هذه الخاصية من الصعب حقيقة تحقيقها في نظام يعتمد على التلقين ، ولا يحترم من الوظائف العقلية الا تنمية القدرة على التذكر القريب التي ستساعد على النجاح في الامتحان . وهي تحتاج ايضا لاستاذ تمتلىء روحه شخصيا بحب الاستطلاع ، **واثارة المشكلات العقلية** ، والتساؤل ، والثقة بالنفس . ومع ذلك فانه من الممكن أن تنمي هذه القدرة بقليل من الاسئلة التي

تحرك بعض المشكلات العميقة الخاصة بالموضوع . فمثلا هناك اسئلة يمكن ان توضع وفقها البرامج أو أن يوجهها الاستاذ بحيث تساعد على تنمية الحساسية وروح الاستطلاع مثـل :

ـ ما هي المشكلات التي يثيرها هذا الموضوع ؟ .

ـ ما الذي يحدث لو ان الامور اخذت شكلا مختلفا غير الشكل الـذي قيلت به ؟ .

ـ ما هي النتائج التي تترتب على الحقائق والمعلومات المقدمة ؟ .

ـ ما الذي يحدث لو اننا جمعنا بين هذه الظاهرة وتلك ؟ .

ـ لماذا لا يمكن تعميم حقيقة معينة ؟ .

ـ ما الذي يحدث لو اننا فهمنا لغة عالم غير انساني ؟ .

ـ ما الذي يحدث لو ان الانسان خلق وهو يفتقد لوجود وظيفة معينة ؟.

وبالطبع من الممكن أن تصاغ موضوعات دراسية كثيرة بهذه الطريقة ، ولعل من أهم العوائق التي تواجه تنمية هذه القدرة تلك التي تتعلق باتجاه التعليم الى التلقين ، وليس التشجيع على الاستنتاج ، أو التشجيع على تناول المعلومات في ضوء فوائدها العملية . فلا مثيل لارتباط المعلومات بالفائـدة العملية من حيث اثارة اليقظة وحب الاستطلاع . ومن المناسب أن أشير الى بعض الملاحظات التي يلائم عرضها هذا السياق . ففي احد اعداد « مجلة العلم والمجتمع » التي صدرت عن « اليونسكو » (مترجمة باللغة العربية سنة ١٩٧٤) تكلم عدد من الكتاب في المجالات المختلفة عن التحديات العلمية التـي تواجه الشعوب الافريقية .

وفي احدى مقالات هذا العدد تنبه احد الكتاب الى أن الافتقار للتعليـم التكنولوجي ـ العملي المبكر ، مع الاساليب الخاطئة في تنشئة الاطفال في الاسرة يعملان على كبـت حب الاستطلاع . ونتيجة لذلك ينمو الطفل بشكل تسيطر فيه عليه ميول التعجب والاستغراب والانبهار . وهي اشياء تختلف عن حب الاستطلاع . فبدلا من ان ينجذب الى الالات انجذاب الطفل السوي الى اللعب نجده ينذهل امام صورة « الانسان الآلي » الذي يتحرك ويتلوى كالبشر . ولكنه لا يميل الى أن يسأل عن كيفية حدوث ذلك فضلا عن أن يكتشف ذلك بنفسه . ويتساءل الكاتب كم من الاطفال في مدارسنا يعرف مثلا كيـف ينطبق مبدأ الروافع على بدال الدراجة ، أو كيف يدور بدال الدراجة على كرسي الكريات أو « الرولمان بلى » ؟ بل ـ هكذا يستمر متسائلا ـ الا يوجد طلبـة

كبار في الصفوف النهائية لا يعرفون ما هو كرسي الكريات . دع جانبا بندول الساعة ، أو ما الذي يجعلها تدق ؟ أو كيف أن الطائرة هي تطبيق مباشر لتوازن القوى ؟ وكيف تتسارع ، وتتزايد سرعة السيارة ؟ وكيف تعمل تروس تغيير السرعة ؟ .

ونحن من جانبنا نوافق على تلك التساؤلات ، ونتساءل بدورنا هل يقتصر ذلك على الجوانب المتعلقة بالتقدم التكنولوجي والآلي ؟ الا يمكن وضع تساؤلات مماثلة حتى فيما يتعلق بالجوانب النظرية من العلم ؟ هل نقف من النظرية العلمية موقف المتأمل المتابع لبنائها ، والملاحظ لامكانيات التقدم بها ؟ أم أننا دائما نقف تلك الوقفة التي استنكرها الكاتب الافريقي السابق ؟ فنقف حتى من الجوانب النظرية من العلم موقف المبهورين المقدسين لها ؟ الا نواجه كثيرا من الحقائق العلمية مواجهة اشبه بالمواجهة الدينية فنغفل عن الجانب الانساني فيها ، ولا نستطيع أن نبعدها من لغتها المجردة الى لغة تربط مفاهيمها بالفوائد العملية ؟ ان اجابة هذه الاسئلة جميعها لا تحتاج للتعليق . فالنظام التربوي يتجه للتلقين ، ولا يشجع على المشاركة في بناء المعرفة والاستنتاج ، كما لا يشجع على ربط المعلومات بفوائدها العملية ، ويتجه للتعليم اللفظي الخالص بدلا من التوازن المثمر بين التعليم اللفظي والعملي . وفي ظل هذه الظروف يصعب بحق اثارة حب الاستطلاع ، أو اذكاء روح البحث والاستفسار ، كما يصعب تلمس الجوانب الغامضة لالقاء الضوء عليها .

وهناك طرق مباشرة يمكن من خلالها تدريب القدرة على الحساسية بالمشكلات والارتباط بالواقع العملي . من هذه الطرق ربط القوانين النظرية بالواقع . فعندما نعلم التلميذ قوانين نيوتن في الميكانيكا ، فان من الممكن أن نحثه بشكل مباشر على كشف الاوجه المختلفة التي يمكن استخدام تلك القوانين فيها . وهكذا ايضا بالنسبة لقوانين الطبيعة الاخرى كقانون الجاذبية والطاقة بل أن كثيرا من قوانين السلوك الاجتماعي ، والسلوك النفسي ، وقوانين النمو العضوي يمكن تدريسها جميعا بهذه الطريقة المثيرة للخيال ، والدافعة لاتخاذ موقف ابداعي من المعرفة العلمية بدلا من موقف التلقين والانبهار .

ومن هذه الطرق ايضا حث الطالب على **الامتداد** بالمفاهيم النظرية والقوانين وجوانب المعرفة المختلفة لمجالات جديدة ، مع **حثه** على تصور المشكلات التي تواجه ذلك الامتداد ، ويعتبر هذا من المبادىء الضرورية التي يجب اثارتها من خلال البرامج الدراسية . وتزداد الحاجة لهذا المبدأ خاصة في مجال التدريس الجامعي والدراسات العليا . اذ أن كثيرا من الاعمال الابداعية يمكن ان تنشأ لو اننا علمنا الطالب أن يحاول أن يمتد بقوانين الدوافع — في مجال كعلم النفس مثلا — الى الذاكرة أو التفكير ، أو السلوك

الاجتماعي . ويعتبر هذا المبدأ من المبادىء التي تحكم عملية الابداع في كثير من مجالات التخصص . فكثير من الباحثين في علم النفس مثلا قد اكتسبـوا شهرتهم بين المتخصصين من خلال محاولتهم الامتداد بمفاهيم نظرية معينـة في موضوع معين الى موضوع اخر . ومن الممكن بالطبع تطبيق هذا المبدأ في كثير من مجالات التخصص الاخرى .

ولا يجب أن نفهم من ذلك التقليل من شأن تعليم الحقائق الاساسيـة للمعرفة الانسانية بمجالاتها المختلفة ، فالقول بان العالم يمكن أن يبدع من غير وقائع ، أو أن الشاعر يمكن أنيكتب دون رصيد من الكلمات والخبرات كالقول باننا نستطيع أن نسمع لحنا ، أو أن نرى لونا دون اعتماد على وجود حاسة للسمع أو البصر ، اعتمادا على مراكز السمع والبصـــر في المخ . فتعليم الحقائق ، وتحصيل المعرفة بالوقائع ، والخبـرات المتراكمة هــي النسيج الاساسي الذي تبنى منه مادة الابداع والفكر . لكن تلك الاشياء قد تصبـح عديمة المعنى ، وعقيمة اذا اعطيت بشكل معلومات مهوشة غير مترابطة ، ومنفصلة عـــن واقعها .

واذا كنا نبغى لطلابنا تعليما ابداعيا حقيقيا فهل نمدهم بالمعرفة بطريقة مرنة ؟ هل نعطيهم الحقائق ، ونعلمهم النظريات كما نعلم الاشياء المقدسـة الكاملة ؟ وهل نحثهم على الالتصاق المتصلب بتلك المعرفة وباقل قدر من الحرية في تناولها ، ام اننا نحثهم على استخدام تلك المعرفة بمرونة وباكثر قدر مـن الحرية في مناقشتها ، والتأمل في الحقائق المرتبطة بها ؟ .

ان القيام بصياغة البرامج الدراسية ، وتدريسها بطريقة مـرنة هـو ايضا من المبادىء التي تأيدت اهميتها في مجال التربية الابداعية . ومن الطرق التي يمكن استغلالها في هذا المجال توجيه البرامج الدراسية بحيث تحث على القيام بعمل مقارنات أو البحث عن جوانب التشابه في الموضوعات المختلفـة من المادة ، واتاحة الفرصة للاستكشاف ، والانتقال بالخبرات المتعلمة الـى مجالات اخرى بالطريقة التي عرضنا لها في الفقرة السابقة . وعندما نقدم تفسيرات او حلول لمشكلة معينة ، فيجب أن نوضح لهم بان هناك امكانيـات لا نهائية لحل المشكلات . واذا كانت المشكلات من النوع المنطقي أو الرياضي الذي لا يوجد له حل واحد فانه يجب أن نشجع على طرق السبل المختلفة الموصلة للحل بدلا من الاقتصار على طريقة واحدة وباقل قدر من التخيل والحرية .

نمـــط العلاقـــات الاجتماعيـــة :

غير أن الاعتماد على اعطاء برامج مستقلة لتدريس الابداع أو الاعتماد على صياغة برامج الدراسة صياغة ابداعية كلاهما لا يكفي لخلق مناخ يساعد على اثارة الابداع وتنشيطه . فالابداع في النهاية ليس فعلا مستقلا عن بقية جوانب الشخصية الاخرى . وقد تساعد التنمية المباشرة والتدريب على خلق حافز للابداع لكن هذا الحافز قد يموت اذا لم تكن هناك عوامل اخرى تسنـده وتشجع عليه في الجو الدراسي . وبدون وجود شخصية تستطيع أن تتبنى هذا الحافز وتنميه ، فان كل المعلومات التي يحصلها الشخص ــ حتى ولو كانت مصاغة وفق اخر قوانين الابداع ــ قد تتحـول عنـد شخصية غـير آمنة ومتصلبة الى مجموعة من القواعد الملقنة . لهذا فان المناخ الاجتماعي ونمط العلاقات الاجتماعية بين الطالب والاستاذ في داخل المدرسة او المؤسسات التعليمية يبرز كعامل هام من العوامل المشجعة على خلق مناخ اجتماعـي متسامح . ومن شأن هذا المناخ ان لا يساهم في تشجيع القدرات الابتكاريـة فحسب ، بل يشجع على نمو سمات من الشخصية تساعد على تنمية هـذا الحافز (٤) . فان نمط العلاقات التي تخلق تهديدا مباشرا للتلميذ ، والتي تدفعه للمحاكاة والمجاراة ستولد لديه دون شك احساسا اساسيا بعدم الامان ، والخوف من المغامرة ، وتجنب الاختلاف العقلي والتميز الذهني . وهي جميعها خصائص معارضة لنمو أي تفكير ابداعي أو أصيل . ولن اتعرض هنا للجوانب التي تهدد الاحساس بالامان لدى الشخص مثل نظـام الامتحانات وطرق التصحيح ، ومحكات النجاح في الدراسة ، وغيرها من العوامل التي يتعذر مواجهتها من خلال المشورة السيكلوجية وحدها . لكنني سأتعرض لما يمس نمو الشخصية الابداعية في اطار انماط العلاقات الاجتماعية في الجو الدراسي خاصة تلك التي تتعلق بانماط العلاقات بالاساتذة .

فلقد اجريت دراسات متعددة قام الباحثون من خلالها بسؤال اعداد كبيرة من المدرسين في مدارس مختلفة وفي بلدان مختلفة عن نوع الطلاب الذي يفضل هؤلاء المدرسون القيام بالتدريس له ويستمتعون بذلك . فتبين انه لا توجـد علاقة بين هذا التفضيل والنجاح او التفوق الذي يحرزه التلميذ . واسوأ من هذا انه تبين أن اقل الانواع ارضاء للاساتذة هم من بين الاشخاص اصحاب الراي المستقل ، والقيم الخاصة ، والتفكير المتميز ، اي الاشخاص المبدعون بشكل عام (١٦) . وتفسير هذا واضح ، فان الطريقة غير المتوقعة التي ينظر بها المبدعون للاشياء ، وادراكهم للمشكلات المختلفة في موضوع أو تجربة ، تجعلهم قـد يستفسرون عـن الاشياء الغامضة ، أو يستكشفون الثغرات ، ونواحي النقص وكل هذه الاشياء قد تضع المدرس في مـوقف من مواقف

التهديد . ويزداد هذا الشعور بالتهديد اذا كان القائم بالتدريس لا يشعر بالامان ، أو الثقة في نفسه أو افكاره فيتلمس اسباب ذلك في سلوك التلاميذ ذاتهم .

لهذا فان الطلاب المبدعين قد يجدون انفسهم في مواقف من سوء التوافق غير المقصودة في علاقتهم باساتذتهم . وتزداد مظاهر سوء التوافق لدى المبدعين اذا نظرنا اليهم في علاقاتهم باقرانهم . فمن النادر أن نطلع على سيرة شخصية لاي مفكر ابداعي دون ان نجد ما يدل على الصراع والمشاحنات في علاقته بزملائه . وقد ايد علماء النفس التجريبي في بحوثهم على الاطفال المبدعين في الجو المدرسي هذه الحقيقة . وعلى سبيل المثال لاحظ « تورانس » ان الاطفال ينظرون الى الطفل المبدع نظرة حذر ورفض ، ويصفونه بالجنون والحماقة (انظر المرجع رقم ١٦) .

ان من أخطر النتائج التي يمكن أن تؤدي اليها تلك الضغوط الاجتماعية الحادة انه بانتهاء فترة الدراسة يكون الاطفال المبدعون قد أرغموا على تعلم قواعد التوافق ، والانصياع الاجتماعي بحيث تموت فيهم شرارة العبقرية مبكرا . ومن المؤسف أن تكون تلك الضغوط شائعة في جميع المؤسسات التعليمية في بلداننا العربية بداية من الدراسة الابتدائية حتى الجامعة . وبهذا قد تكون المراحل الدراسية المختلفة مصفاة لكل ذي موهبة أو قدرة . بل وحتى الاعداد الضئيلة التي قد تنجح في الافلات محتفظة بقدر ما من الطاقة قد تنجح في ذلك ولكن باقل قدر من الصحة النفسية الملائمة ، وباقل قدر من الدافعية ، والاستمرار .

فهل يمكن مواجهة تلك النتائج السيئة ؟ وهل يمكن تكوين نمط من العلاقات يساعد على احتضان المبدعين مبكرا ؟ **يقترح « تورانس » (١٥)** المبادىء التالية اذا شئنا تشكيل مناخ تربوي مقبول لنمو القدرات الابداعية وتقبلها . من هذه المبادىء :

١ ــ احترام الاسئلة غير العادية أو الافكار مهما بدت شاذة .

٢ ــ ربط الافكار باطار له معنى . وهذا يساعد التلميذ على أن يدرك قيمة افكاره ويعتز بها .

٣ ــ تشجيع فرص التعلم الذاتي والمباداة .

٤ ــ اتاحة جلسات تعلم ومناقشات حرة .

ويتحدث السيكولوجيون عن انماط من العلاقات الاجتماعية بين الاساتذة والطلاب المبدعين ذات تأثير قوي على نمو التعبير الابداعي . فهناك مثلا

علاقة سلبية قوية بين التعبير عن الابداع ، وسلوك المدرس الذي يتميـــز بايقاع العقاب ، او اشعار التلميذ بالخجل والحياء (٩) . بينما تبين في دراسة اخرى بان هناك على العكس علاقات ايجابية بين التعبير عن الابداع ، وسلوك المدرس الذي يميل للتشجيع ويظهر اهتمامه الشخصي بافكار تلاميذه دون نقدها (المرجع السابق) . اما لماذا تؤدي العلاقة الاخيرة الى زيادة في الابداع فهنا يمكن أن نستعين بالتفسير الذي يسوقه « ليتون » Lytton
. يقول « ليتون » :

« أن هذه العلاقة تمنح الشخص نموذجا لما يجب أن يكون عليه التعلم في ضوء المبادأة ، والتعلم الذاتي . فضلا عن هذا ، فان الجهود تزداد للتعبير الابداعي بسبب الثقة التي يبديها المدرس في قدرة تلاميذه على التفكير المغامر ، وتنوع الاتجاهات ويخلق هـــذا بدوره لدى التلميذ احساسا بقيمة نفسه وقدراته على حد سواء . »

لكننا يجب مع هذا الا ننسى أن المناخ التربوي ما هو الا جـــزء من عوامل اجتماعية اشمل . وان المدرسة لا يمكن أن تقف بمعزل عما يشيع في داخل المجتمع من قيم تفرض سلطانها على اذهان القائمين بعملية التغير . وهـــذا ما يجعل الشخصية الابداعية وليدا شرعيا لتفاعل طويل الامد بين امكانيـــات او استعدادات شخصية ومحفزات اجتماعية . وهذا ما يدعونا الى مناقشـــة الابداع بالرجوع به الى نمط العلاقات الاجتماعية العامة ، اي المناخ الاجتماعي الذي يحكم العلاقات في المجتمع الكبير .

لكن السؤال الان لماذا نريـــد أن نخلق اتجاها ابداعيا ؟

الاتجـــاه الابداعـــي .. لمـــاذا ؟

تتزايد الحاجة لتكوين الاتجاه الابداعي لـــدى اساتذتنـــا ، وطلابنـــا والمشرفين على اجهزتنا الادارية والتجارية ، والسياسية . ونعني بهذا الاتجاه خلق تقبل عام للمبدعين ، وتحمل للاختلاف ، وتقدير للموهبة الابداعية حتى دون أن يكون الشخص القائم بهذا التقبل صاحب موهبة ابداعية واضحة . فان كثيرا من الاشخاص استمدوا قيمتهم من خلال تبنيهم وتشجيعهم لبعض الموهوبين دون ان يكونوا هم اصحاب موهبة . وتوجد ايضا مجتمعات كثيرة اكتسبت اهميتها من خلال قدرتها على خلق مناخ يجذب المبدعين ، ويوفر لهم جوا من التقبل والتسامح . ويحتاج النظام التربوي التعليمي بشكل خاص لهذا الاتجاه . نقول بشكل خاص لاسباب عدة : فالمدرسة تعتبر اولا هي المؤسسة الاولى ـــ بعد الاسرة ـــ يتلقى من خلالها الطفل نظـــم التفكير والتعـــامل والمعرفة . ولما كان الابداع يظهر مبكرا في العمر ـــ ولو انه قد يأخذ اشكالا

مختلفة غير ناضجة فان النظام التربوي قد يكون المسئول الفعلي عن قتل تلك الموهبة مبكرا ربما ابتداء من الاعوام العشرة الاولى من العمر . ومن ناحية اخرى فان التلميذ يعتبر النواة الضرورية لاي تغير اجتماعي تال ، فهو الذي سيدخل الجامعة ، أو يتحول لبناء اسرة ، او تولي وظيفة قيادية ، أو ادارية ، وسيكون يوما صاحب سلطان في تنشئة الاجيال القادمة . فخلق اتجاه ابداعي مبكر هو الذي سيمكن ابناءنا من تجاوز الاحترام المتصلب للعادة والخضوع ، الى احترام وتشجيع حب الاستطلاع ، والانطلاق ، وحرية التعبير .

وتزداد حاجتنا لتكوين اتجاه ابداعي في ميدان التربية اذا ما حصرنا النتائج المأساوية — التي ما زلنا نعاني بعضها حتى الان والتي قد ادى اليها نظام متخلف من التعليم يركز على التلقين ، وقمع التلقائية . وهي نتائج لا نحتاج لحصرها لاستحالة ذلك في هذا الاطار .

لكننا نجد من الضروري هنا أن نلفت النظر الى مطلبين اساسيين يفرضهما التفكير في تكوين نظام تعليمي يتجه نحو اثارة الطاقات الابداعية وتشجيعها .

يتعلق المطلب الاول بما تفرضه الحاجة للتغير الاجتماعي والحضاري ، فنحن نعيش في فترة يتلاحق فيها النمو ويسرع . فترة يرتبط فيها التغير بالتقدم النووي وغزو الفضاء جنبا الى جنب مع النداءات بضرورة ضبط هذا التغير بتوازن مع تحقيق العدالة الاجتماعية ، والرخاء والتغلب على شتى انواع القهر (٤) . وسواء كنا نهدف الى النمو في هذا الجانب أو ذاك أو في كليهما فان المطلب الاساسي هو أن تشتعل شرارة التطور في كل فرد . بحيث أن لا تقتصر مطالب التغير التكنولوجي ، أو التطور الاجتماعي والانساني على ما توحى به المنظمات السياسية ، أو ما تبثه اجهزة الاعلام ببرامجها التافهة .

فضلا عن هذا فان جوانب المعرفة التي تتطلبها ضرورات التغير في السنوات المقبلة ، لا تعتمد فقط على ما هو قائم من قوانين أو معرفة علمية ، أو ابتكارات مادية . أن المستقبل في الحقيقة قائم فيما يمكن أن تتشعب اليه المعرفة ، وفيما يتراكم من معرفة جديدة . ويفرض هذا مسلمة اساسية : ان متطلباتنا من التطور في الحاضر او المستقبل لا ترقد بتمامها وكمالها في الدول المتقدمة ، وما فيها من معرفة . أن متطلبات التقدم هي هذا بالاضافة الى ما يرتهن منها بنمو وتراكم في المعرفة مستقبلا . ان استيراد اجهزة تكنولوجية ، أو مصانع كاملة ، واحدث أنواع الاسلحة ، والعقاقير والادوات الكهربائية وربما الكتب كلها اشياء ضرورية . لكنها لن تؤدي الا الى نقلنا الى موضع معقول — أو قريب من المعقول — من التطور الراهن للحضارة المعاصرة .

اما ضمان هذا الموقع ، والقدرة على تمثل المغـــزى العميق من الحضارة المعاصرة ، والمساهمة في بنائها ، والاعداد للمستقبل باحتمالاته اللامتناهية ، كلها تحتاج اساسا لتخطيط ذكي لاعداد الانسان : خالــــق التكنولوجيا ، وصاحب الفضل الاساسي في تحقيق التطور .

لا جدال اذن في ان ضمان المستقبل يكمن في القدرة على ضبط الحاضر والاستفادة بمتغيراته المتعددة ، ولا جدال في أن أهم هذه المتغيرات : تلك التي تتعلق بالعامل الانساني . ولا شك في أن اطلاق الطاقة الانسانية بكل قوتهــا نحو الابداع البناء يعتبر مـــــن أهم متغيرات العامل الانســــــاني ارتباطــا بالتطور . لكن من العسير على اية حال تحقيق ذلك في ظل نظام تربوي يتجه لكف الطاقة الابداعية ، واحتقار العقل ، ومجابهته بالعقبات .

اما المطلب الاخر من تكوين اتجاه ابداعي فيتعلق بالصحة النفسية لابنائنا فالابداع والتلقائية وحرية التعبير من الحاجات الاساسية للانسان . والشخص الذي لا تشبع حاجاته الاساسية يتحول الى انسان مريض . ولعل من أهــم الحاجات التي يشبعها التعبير الابداعي تلك الحاجات المتعلقة بالتعبير عــن النفس ، وتحقيق الذات ، والتلقائية ، وهذا هو التفسير الوحيد في نظرنا لبعض النتائج التي عرضنا لها وبرهنت على أن ٧٥ ٪ من الطلاب قد فضلوا جـــو الدراسة الذي يستثير فيهم الابداع ، وينمي حاجتهم للمساهمة الخلاقة في نمو العلم . وتفسير ذلك واضح فوجود مناخ ابداعي يفتح سبلا متعددة لتحقيق الذات . وفي هذا المناخ يجد كل فرد الوسائل الملائمة التي تساعده على التعبير عن نفسه ، وامكانياته على النمو .

صحيح أن المدارس والجامعات مؤسسات ابتكرها المجتمع ليصوغ من خلالها رغباته في نقل خبراته ، وحضارته ، وقواعده ، ومنجزاته العقليـــة والعلمية ، لكنها يجب أن تحقق في نفس الوقت هدفا اخــر هو تنمية الفرد ، وامداده بالامان ، والحرية السيكلوجية في التعبير عن النفس .

انما ينبغي ان نشير الى ان هذين الهدفين على بساطتهما قد اثارا كثيرا من الجدل والتطرفات في الراي . فهناك من يندفع نحو تأييد هذا الهدف على حساب ذاك . فهناك مثلا من يصوغ آماله في تطـــور التربية صياغة تقليدية يكون هدفها التحصيل وامتلاء العقل بالمعلومات والمعرفة امتلاء مجردا ، اي بالتاكيد على المجاراة والتقبل . وفي مقابل ذلك يوجد فريق اخر يرى أن النظام التربوي ينبغـــي أن يتجه الى الحركة المطلقة ، وان يكون الجو الدراسي جوا متسامحا ، لا يتدخل في نمو الفرد ، ولا في ضبط سلوكه ، بل وقد ادى ذلك القول بان على المدرس أن لا يقود وان لا يوجه مطلقا .

غير أن الحقيقة تتطلب هنا أن نشير الى أن كلا التصورين قد تكون لـه نتائج خطيرة ، لا على النظام التربوي والاقتناع به فحسب ، بل وعلى نمـو الابداع ذاته . فالخامة الاولى للابداع هي المعرفة والتحصيـل ـ والابداع الناجح هو الذي يتجاوز صاحبه بمقتضاه المعرفة الراهنة لكي يقدم معرفة أبعد وأكثر كفاءة . فكيف يمكن اذن تجاوز المعرفة دون المام بقواعدها ، ودون ضبط لاساليب التأمل والتفكير فيها ؟ ان الشخص الناشيء ، حتى ولو كان موهوبا غالبا ما يبدأ حياته بالمجاراة ، فيحاكي نموذجا معينا قد يكون واقعيا أو خيـاليا ، وقد يكون هذا النموذج مدرسا أو استـاذا ، أو موضوعا ، أو مثالا . وهذا بالطبع شكل من اشكال المجاراة ، يستطيع الشخص من خلاله ان يكتسب القدرة على تحمل المصاعب ، ومعالجة جوانب التحدي ، والتحفيز العقلي الضروري للنمو الذاتي التالي . ولا يبدأ تحرير النفس من المجاراة الا بعد ذلك وبالتدريج .

لا شك اذن في أن الاتجاه الابداعي يحتاج لنظام يتحقق فيه التوازن بـين حرية التعبير ، واحترام الخبرة . ولكي يكون هـذا التوازن فعالا ينبغي أن نفصل في اذهاننا بين حرية التعبير ، وبـين انطـلاق السلوك في عشوائية وفوضى . كما ينبغي أن نميز ـ وبنفس القدر ـ بين احترام الخبرة ، وبين سيطرة التقاليد أو التعسف في فرض رؤيا ضيقة للعـالم . وانها لاختيارات وتوازنات دقيقة غير ان الحكمة القديمة تقول :

« امنحني الشجاعة لاغير الاشياء التي يمكن أو يجب ان تتغير . وامنحني القوة كي أكون قادرا على احتمال ما لا يتغير . وامنحني الحكمة لاكـون قادرا على أن اوازن بين ما يقبل التغير ، ومالا يقبل . »

اجـل الشجاعة ، وقوة التحمل ، وحكمة التوازن !

تذييل

تعتبر مقاييس الابداع في الوقت الراهن من اهم الانجازات التي تقف كشاهد على مقدار تقدم البحث العلمي في هذا الموضوع . فبفضلها امكن التحول الى الوصف الكمي الدقيق للفروق بين الافراد في مجموعة الوظائف التي تتضمنها القدرة الابداعية العامة . ويمكن بفضل هذا التقدير الكمي قياس الفروق التي تنتج عن استخدام وسائل تربوية ، أو توجيهية معينة للقدرة ، وذلك بمقارنة اداء الافراد قبل استخدام تلك الوسائل وبعدها . ويعتبر الفرق دالة على فاعليـة الاساليب المستخدمة . ومقاييس الابداع قد تتكون من مادة لفظية ، أو مادة شكلية . وفيما يلي بعض النماذج للمقاييس المشهورة في هذا الميدان :

١ ــ **عناوين القصص** : في هذا القياس تقدم للشخص قصة قصيرة ، ويطلب منه في فترة زمنية محدودة أن يذكر أكبر قدر ممكن من العناوين الطريفة الملائمة لهذه القصة . وعند تصحيح الاداء على هذا المقياس نولي اهتمامنا لما في هذه العناوين من مهارة .. أو قدرة على الالمام بالمغزى العميق للقصة .. الـخ .

٢ ــ **استنتاج الاشياء** : ويتكون من عدد من البنود .. كل بند يحتوي على ثلاثة استعمالات مختلفة . ويطلب من الشخص أن يخمن اسم شيء واحد يمكن أن يستخدم في الاستعمالات الثلاثة مجتمعة يحتاج لامثال . والدرجة على هذا المقياس تعكس القدرة على تكوين ترابطات سريعة ومناسبة وماهرة . وهي العناصر التي يجب أن تتوافر في أي تعريف للابداع في مجالات العلم والفــــن .

٣ ــ وهناك ايضا اختبارات شكلية ومادتها اشكال ولكنها تتفق مـــع الاختبارات اللفظية الشبيهة بالاختبارين السابقين في انها تقيس نفس الوظيفة ولكن بوسيلة الشكل وليس الكلمة . ومن الامثلة على الاختبارات الشكلية اختبار **تكميل الاشكال** . وتقوم فكرته على أساس تقديـــم مجموعة خطوط ، أو دوائر ، أو أشكال ناقصة ومعالمها غير محددة . ويطلب من الشخص أن يرسم اكبر قدر ممكن من الرسوم التي لها معنى باستخدام هــذه الاشكال الغامضة الناقصـــة التكوين ، كل شكل على حده أو مع آخرين . ذلك بأضافة بعض التفاصيل الملائمة ، أو ربطها بغيرها .

٤ ــ ومن الامثلة على الاختبارات الشكلية أيضا اختبار **تصميم الشكل** . وفيه تقـــدم للشخص قطعة من الورق الملون على شكل نصف دائرة ، وملصقة على صحيفة بيضاء . ونطلب من الشخص أن يقوم باضافة تفاصيل مناسبة لتحويل هذا الشكل الى جزء من رسم له معنى .

ويستطيع القارىء أن يستنتج بوضوح أن الوظيفة العقلية التي تقيسها تلك الاختبارات هي بالفعل واحدة ولو أن مادتها **ومنبهاتها** مختلفة . فجميعها تقريبا تضع الاشخاص في مواقف مبهمة تستثير الخيال ، أو الابتكار ، أو القدرة على وضع ترابطات ملائمة بين منبهات متنافرة ، وغيرها من العناصر التي يتطلبها التفكير الابداعـــي .

مراجـــع المقـــال

للمزيد عن معرفة العوامل الانفعالية والشخصية التي تعوق القدرات الابتكارية وتلك التـــي تيسرها انظر المراجع الثلاثة الاولى الاتية : ــ

(١) ابراهيم ، عبد الستار : **الاصالة وعلاقتها باسلوب الشخصية** ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الاداب ــ جامعة القاهرة ، ١٩٧٢ .

(٢) ابراهيم ، عبد الستار : الدوافع الشخصية للابداع ، في : **السلوك الانساني بنظرة علمية** ، الطبعة الاولى ، تأليف عبد الستار ابراهيم ، محمد فرغلي فراج وسلوى الملا ، القاهرة : دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٢ .

(٣) ابراهيم ، عبد الستار : الاصالة وعلاقتها بأساليب الاستجابة ، بين المجاراة والمخالفة بشكل خاص ، **المجلة الاجتماعية القومية** ، المجلد ١١ ، عدد ٢ ، ١٩٧٤ .

(٤) أرجايل ، ميشيل : **علم النفس ومشكلات الحياة الاجتماعية** ، ترجمة عبد الستار ابراهيم ، القاهرة : دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٣ .

(٥) — Freeman, J., Butcher, H.J., & Christie, T. Creativity : a Selective review of research, London : SRHE, 1971.

(انظر بخاصة الفصل الخامس بعنوان العوامل التربوية في الابداع)

(٦) — Haddon, F.A., & Lytton, H. Teaching approach and divergent, thinking abilities. In P. Vernon (ed.) Creativity, London : Penguin Modern Psychology Readings, 1970.

(في المقال السابق يثبت المؤلفون أن مؤسسات التعليم التي تنمي وتتبنى اتجاهات تربوية متحررة ، وغير رسمية تساعد أكثر من غيرها على تنمية التفكير الابداعي ، وسمات الشخصية التي من شأنها أن تؤدي الى زيادة غير مباشرة في تلك القدرات) .

(٧) — Harding, H. F., The need for a more creative Trend in American Education. In Sidney Parnes et. al. (eds.) A source book for creative thinking, New York : Scribner, 1962.

(٨) — Kneller, G. F. The art and science of creativity, New York : Holt, 1965.

(أنظر بشكل خاص الفصل الخامس عن دور التربية في اثارة القدرات الابداعية ، وتدعيمها ، واستمرار هذا التدعيم .)

(٩) — Lytton, H., Creativity and education, London : Routledge & Kegan Paul, 1971.

في هذا الكتاب يخصص المؤلف فصلا كبيرا عن دور المدرسة في حياة الطفل المبدع ، يولى فيه اهتمامه للاتجاهات السائدة بين المدرسين والاطفال ، ومدى تحيز النظام التعليمي ضد الابداع ، كما يعرض فيه لخصائص الجو الدراسي الابداعي ، وكيفية تعليم الابداع ، وامكانيات هذا التعليم .

(١٠) — Osborn, A. F. Developments in creative education. In Parnes, et. al. (eds.) A source book for creative thinking, New York : Scribner, 1962.

(مقال القاه مؤلفه (مؤسس جمعية التربية الابداعية) ، أمام مؤتمر عن حل المشكلات الفعلية ، وفيه يعرض المؤلف لاساليب اجتماعية وتربوية مختلفة من شأنها تيسير التفكير الابداعي ، ولعل أهم اسلوبين يعرضهما في هذا المثال : أسلوب العصف الذهني brainstorming وأسلوب تأجيل الحكم Deferment of judgment

(١١) — Parnes, S. J. Education and creativity. In P Vernon (ed.) Creativity, London : Penguin Modern Psychology. Readings, 1970.

(مقال قيم يعرض فيه مؤلفه بحوثه عن تدريب القدرات الابداعية في جامعة بافالو Buffalo بولاية نيويورك .)

— Parnes, S. J. et. al (eds.) A source book for creative thinking, New York : Scriber, 1962. (١٢)

(يضم هذا الكتاب مجموعة قراءات قيمة في سيكولوجية الابداع : تنميته ، وتطبيقاته في في الميـــادين المختلفة بتركيز خـــاص على مجال الصناعة والادارة . يضـــم الكتـــاب ما يقرب من ٢٩ مقالا فيما يقرب من ٣٨٠ صفحة من القطع الكبير ، مع تذييلات مختلفة . ويمكن للقارىء أن يرجع فيه بشكل خاص لمقال Parnes عن :

Can creativity be increased ? (pp. 185 — 193.)

— Torrance, P. Conditions for creative growth, Bureau of Educational Research, University of Minnesotta, 1960

— Torrance, P. Developing creative thinking through School experience. In S. Parnes et. al. (eds.) A Source book for creative thinking, New York : Scriber, 1962. (١٤)

— Torrance, E. P. Education and the creative potential, Minneapolis : University of Minnesotta Press, 1962. (١٥)

(كتاب مطول وموثق عن الجوانب التربوية في الابداع)

— Torrance, E. P. Guiding creative talent, Englewood Cliffs, New Jersey : Prentice — Hall, 1962. (١٦)

(كتاب ذو قدر مرتفع من الاصـالة يقدم فيه المؤلف مقترحـات موثقة عـن تعليم الابداع وترشيد وتوجيه الاطفال المبدعين . الفصلان الاول والثاني تقديم عام ، والفصلان الثالث والرابع عن الكشف عن المبدعين ، والفصل الخامس يلخص القدرات الابداعية بجوانبها المختلفة . أما الفصل السادس فيعرض للمشكلات التي يواجهها المبدعون ، ويكشف الفصل السابع عن المشكلات المرتبطة بكف التعبير عـن الامكانيات الابداعيـة . ويبين الفصلان الثامن والتاسع شروط التعامل مع الاطفال المبدعين وترشيدهم . أما الفصل العاشر فيتعلق بتدريب العاملين مع الاطفال .)

— Whitehouse, J. H. Creative education at an English School. Cambridge : Cambridge U. Press (no publishing date). (١٧)

● ● ● ● ●

شؤون فلسطينية

مجلة شهرية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

يكتب فيها مجموعة من كبار الكتاب والمتخصصين في القضية الفلسطينية

صدر العدد الاول في مارس ١٩٧١

٢٤٠ صفحة من القطع الكبير تقدم مقالات ودراسات وبحوثا في الشؤون السياسية والثقافية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية للقضية الفلسطينية وللشعب الفلسطيني وللصهيونية واسرائيل ، الى جانب الابواب الشهرية الثابتة التي تسجل الاحداث والنشاطات الفلسطينية المختلفة .

ثمن العدد : ٣ ½ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٤ ½ ل.ل. في سائر الاقطار العربية . الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٤٠ ل.ل. في لبنان ، ٥٠ ل.س. في سوريا ، ٥٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ٩٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا . الاشتراك السنوى (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات)، رأس بيروت، بيروت — لبنان . ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٢٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا : مرابحات ، بيروت .

المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي

: دراسة في سيولوجيا المعرفة

د. عاطف احمد فؤاد *

مقدمـــــة :

من المتفق عليه أن المتتبع لتاريخ المجتمع المصري في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر يستطيع أن يستقرأ عدة حقائق لعل من اهمها أن هذه الحقبة قد شهدت عدة ظواهر من ابرزها ذلك الوهن الذي اصاب الحكم العثماني وضعف سيطرته على المجتمع المصري ، ثم محاولة المماليك الاستقلال بمصر وهو الامر الذي اصابوا فيه نجاحا لا ينكر . الا أن هذه النجاح لم يكتب له الاستمرار نظرا لطبيعة العلاقة القائمة بين جماعات المماليك ، تلك العلاقة التي اتسمت بالصراع ومحاولة استئثار كل فريق بالسلطة . ولم يكن صراع جماعات المماليك هذا الا نذيرا بتدخل القوى الاجنبية . ولعل في الحملتين الفرنسية والانجليزية خير شاهد على ما نذهب اليه .

وتعد تلك الحقبة التي تجلى فيها حكم محمد على من اخصب الحقب التي زخرت بالحوادث وشهدت عدة وقائع كان لها تأثير كبير في تسيير مجريات الامور في المجتمع المصري فيما بعد .

ولم يكن الانسان المصري وسط هذه الحوادث الا ضحية تلك الصراعات ، فهو حائر بين جماعات كثيرة تحاول الاستئثار بالسلطة وشرائم لم يكن همها الا السيطرة على الحكم ، وهو بين هذه وتلك لا يملك الا السخرية من الحاكم، والتهكم عليه ، وهي سخرية الخائف وتهكم المظلوم .

وبين الخوف والظلم يظهر مؤرخنا المصري عبد الرحمن الجبرتي ذلك المؤرخ الذي تعود قيمته الى كونه اول من عمل على احياء حركة التأليف التاريخي في مصر بعد ابن اياس (١) مسجلا وقائع تلك الحقب ، معلنا عن موقف واضح من السلطة ، متخذا من احداث العصر ، مواقف وان اتسقت في عمومها ، الا انها قد يبدو عليها التناقض أحيانا ، ويتجلى هذا التناقض في تلك المواقف التي اتخذها من الانسان المصري ، فهو متعاطف معه ، أشد ما يكون التعاطف ، ساخر منه أشد ما تكون السخرية .

---

* استاذ الاجتماع بكلية النبات في جامعة الازهر

ولعل في تارجح الجبرتي في موقفه من الانسان المصـــري بين التعاطف والسخرية ما يبرر لنا الكشف عن موقف الجبرتي من بعض قضايا عصره والتي سوف تكشف بدورها عن رؤيـــاه الاجتماعية والسياسية مـــن القضيتين الاتيتين :

اولا : الجبرتي والسلطة الحاكمة .

ثانيـــا : الجبرتي والثورة .

واعتمادا على ما تقدمه لنا مناهج البحث في علم اجتماع المعرفة مـــن مناهج وطرائق ، لعل في مقدمتها طريقة الغرو او رد الشيء الى اصوله ثم فكرة العوامل الاجتماعية الوجودية ، واخيرا الطريقة الخاصة باقتفاء الاثر مـــن الزاوية السيوتاريخية ، فانه ينبغي اولا ان نشير الى طبيعة البناء الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع المصري في الفترة التي عايشها عبد الرحمن الجبرتي ، ثم يشير الى تلك الظروف الخاصة التي صاحبت نشأته من الصغر وحتـــى مرحلة النمو ثم تلك المرحلة التي بدأ يمارس فيها حياته العامة حتى يكـــون حكمنا على تصوراته ورؤاه حكما موضوعيا في اطار ظروفه الخاصة وظروف مجتمعه الذي نشأ في احضانه .

فالملاحظ المدقق لفترة ما قبل الحملة الفرنسية او للعصر التركي المملوكي يرى أن المجتمع المصري منذ غزاه العثمانيون يسير من سيء الى اسوأ ، فالارض ملك للسلطان يوزعها كما شاء على حظوته ومريديه . كما أن المجتمع يتميز بوجه عام بالطبقية الصارخة ، فهو يتكون من قوى فوقية واخرى تحتية « .... أو بعبارة اخرى اقلية ارستقراطية واكثرية من العاملين في الارض في القرى أو من المشتغلين بالحرف الصناعية في المدن . وكانت الاقلية او القوى الفوقية تتألف من الاتراك ، العثمانيين وبكوات المماليك ، في حين كانت تتألف القوى التحتية من الفلاحين والصناع من ابناء العرب من المغلوبين علـــى امرهم والمحرومين من كل شيء والذين وقعت عليهم مغارم الحكم ، في الوقت الذي استحوذت عليه الاقلية صاحبة الامتيازات على مغانمه (٦).

ولم يكن العثمانيون والمماليك الا « ... سادة فاتحين ، لهم حق الاستغلال ولهم حق الانتفاع ، وعلى المحكومين من أهل البلاد ان يشقوا ويكدوا ليقدموا ثمرة كدهم صاغرين لاولئك السادة المستبدين ، ثم ان العثمانيين حكمـــوا مصر بوصفهم أرستقراطية حاكمة ، لا يعنيهم أن يتدخلوا في شئون البلاد الا بالقدر الذي يحقق لهم اكبر قسط من استغلال مواردها ، ولذلك ظلوا بعيديـــن عن

الاختلاط بالمصريين ، اذا نظروا اليهم فانما ينظرون شذرا ، واذا خاطبوهم او عاملوهم ، فانما يخاطبونهم لجمع المال ويعاملونهم لامتصاص اقصى ما يمكن امتصاصه من ثرواتهم وخيرات بلادهم » (٣)

ولعل العلاقة الوحيدة التي كانت قائمة بين الحاكم والمحكوم او بين الشعب المصري آنذاك وحكامه علاقة تنهض في واقع الامر على جمع الضرائب من جهة ، وعلى الحذر وعدم الثقة والاحتقار المتبادل من جهة اخرى ، الامر الذي انعكس على الوضع الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع المصري آنذاك . ومما يؤكد هذا ما يشير اليه عبد الرحمن الجبرتي حيث يروي لنا سنة اثنتين ومائتين والف ، وفي الخامس منه « .... طلب اسماعيل بك دراهم فرضه مبلغا كبيرا فوزعوا منها جانبا على تجار البن والبهار وجانبا على الذين يقرضون البن بالمرابحة للمضطربين ، وجانبا على نصارى القبط والاروام والشوام وعلى طوائف المغاربة بطولون والغورية وعلى المتسببين في الغلال بالسواحل والرقع، وكذلك بياعو القطن والبطانة والقماش والمنجدون واليهود وغيرهم ، فانزعج الناس واغلقوا وكائل البن والغورية ودكاكين الميداني (٤)

نلاحظ من ذلك أن الضرائب كانت تفرض جزافا وفي اي وقت ولأي سبب ، وان هناك طوائف معينة كانت تتحمل عبء هذه الضرائب وحدها دون غيرها وهي الطبقات الفقيرة في المجتمع كالفلاحين وصغار التجار والحرفيين وغيرهم.

واذا كانت الحملة الفرنسية تعد أول اطلالة حقيقية على الثقافة الغربية باعتبارها أول احتكاك مباشر بين المجتمع المصري وبين الحضارة الاوروبية الغربية الحديثة ، الا أنها لم تحدث تغييرات جذرية للبناء الاجتماعي الاقتصادي للمجتمع المصري رغم تلك المشروعات التي اضطلع بها الفرنسيون أيام نابليون ومن خلفه في مصر كمشروع **كفاريللي** للاصلاح الزراعي ومشروع **مينو** لاصلاح نظام ملكية الارض .

والواقع أن معظم هذه المشروعات لم تنفذ بل ان حال الفلاحين في القرى والحرفيين وصغار التجار في المدن ازدادت سوءا نظرا للضرائب الباهظة التي كان يفرضها الفرنسيون بشكل لافت دون تمييز ، ودون الاخذ في الاعتبار الظروف الاقتصادية التي كان يحياها فقراء الشعب المصري .

أما عن عصر محمد علي فهو من العصور التي كانت ولا تزال تثير كثيرا من الجدل واختلاف وجهات النظر ، ولا سيما عند المقابلة بين المنجزات المادية التي حققتها هذا العصر ، وبين انعكاس هذه المنجزات على طبقات الشعب وفئاته وخاصة في احساس هذا الشعب بالعدالة والحرية .

الغى محمــــد علي نظام الالتزام وهو مـــن اسوأ الانظمة الزراعية التي عرفتها مصر ، ودمر بذلك هذه الطبقة القديمة التي كانت تسيطر على الاراضي وتستغلها في ظل هذا النظام ، « ...... ومهد الطريق لظهور طبقة جديدة من الملاك . ولكي يوفر التوازن لحكمه اخذ يجرب اشكالا عديدة من حيازة الارض الغرض منها جميعا زيادة دخله . وقد نشأت الضياع الخاصة الكبيرة ونمت ، وهي احدى السمات المميزة لمصر الحديثة في عصره » . (٥)

ومن ناحية اخرى ، يحمل البعض لمحمد علي انه وزع بعض الاراضي على الفلاحين . الا ان هذا التوزيع لم يكن يعني في واقع الامر تمليكا ، حيث لم يتمتع مالكو الارض الا بحق الانتفاع بها فلم يكن لهم حق بيعها او التصـــرف فيها . والحقيقة أن ما وزعه محمد علي من أراض على الفلاحين وهب في مقابله آلاف الافدنة الى اقاربه واتباعه على نحو ما يذهب شارل عيسوي (٦) . ولقد خلق محمد علي بذلك طبقة مالكة من عائلته ومحاسبيه ومعاونيه « .... الذيـــن يهللون لكل ما يقوم به الباشا ، وفي احيان كثيرة كانوا مغامرين يلتمســـون تحقيق مصالحهم الخاصة وزيادة مكاسبهم الشخصية بمداهنته وتغذية أوهام القوة التي تجول بخاطره ويشجعونه على القيام بأعمال جديدة لا تحتملها طاقته ولا تعود على البلاد بأي نفع . » (٧)

معنى ذلك انه تربع على قمة البناء الطبقي للمجتمع المصري آنذاك كل من محمد علي واسرته وكبار معاونيه من الاتراك وغيرهم ، فضلا عن كبار الاعيان والضباط . وفي قاع هذا البناء نجد الفلاحين والحرفيين وصغار التجار الذين عانوا الامرين . ولنا في حال الفلاحين خير شاهد على ما نذهب اليه ، اذ انه على الرغم من تخلص الفلاح من المماليك والملتزمين ، الا انه لم يجر اي تحسين في حياته فهو « ...... مرتبط بقطعة ارضه كما كان في عهد المماليك ، وكان يوجب عليه ان يعمل ٦٠ يوما من كل عام سخرة في اراضي محمد علي وأتباعه . أما ما كان يدفعه من ضرائب للملتزمين ، فصار يقوم بجبايتها ، جباة الدولة ، ولكن بنسب أعلى ، وكان قد أعفي الفلاح من الخدمة العسكرية ، في عهد المماليك اما الان فقد اصبح الفلاح معرضا للتجنيد العسكري ومهـــددا بالخدمة لسنوات طويلة في الجيش الاقطاعي في ظل التدريب تحت الســـياط وأخيرا لم يكن في سعته التصرف بحرية بمنتجاته ، اذ كان ملزما بتسليم القسم الاكبر منها الى محتكري الحكومة ، وذلك بأسعار منخفضة . » (٨)

ويشير الجبرتي ، مؤكدا تلك الحال التي آل اليها فلاحو مصر ايام حكم محمد علي ، الى انه في اكتوبر ١٨٠٧ م (٩) قرر الباشا ومعاونوه « .... فردة غلال وسمن وشعير وفول على البلاد والقرى . وان لم يجد المعينون للطلب

شيئـــا من الدراهم عند الفلاحين اخذوا مواشيهم وابقارهم ليأتـــي أربابها ويدفعوا ما تقرر عليهم ويأخذوها ، ويتركونها بالجوع والعطش . فعند ذلك يبيعونها على الجزارين ويرمونها عليهم قهرا بأقصى القيمة ، ويلزمونهـــم باحضـــار الثمن .. فان تراخـــوا وعجـــزوا ، شـــددوا عليهم بالحبس والضرب . » (١٠) .

ولقد كانت الطبقية والتحيز وعدم المساواة سمة تميز عصر محمد علي . ويضرب لنا مؤرخنا الجبرتي مثلا في الطبقية والمحاباة حيث يشير الى عملية فرض ضرائب المكوس (الجمرك) فيقول : « ومنها أن ديوان المكس ببولاق ــ الذي يعبرون عنه بالكمرك ــ لم يزل يتزايد فيه المتزايدون حتى أوصلوه الى الف وخمسمائة كيس في السنة . وكان في زمن المصريين يؤدي من يلتزمه ثلاثين كيسا ، مع محاباة الكثير من الناس ، والعفو عن كثير من البضائع لمن ينسب الى الامراء واصحاب الوجاهة من اهل العلم وغيرهم . فلا يتعرضون له ، ولو تحامى في بعض اتباعهم ولو بالكذب ، ويعاملون غيرهم بالرفق ، مع التجاوز الكثير ، ولا يفتشون المتاع ولا رباط الشيء المحزوم ... بل على الصندوق أو المحزوم قد يسير معلوم . » (١١)

وتحتم علينا الرواية الموضوعية والدراسة الجادة لفكـــر عبد الرحمن الجبرتي ورؤاه ، الاجتماعية والسياسية الا نغفل تلك الظروف الخاصة التي صاحبت نشأة الرجل ، ذلك المؤرخ المصري الذي استطاع أن يقدم لنا صـــورة كاملة للمجتمع المصري خلال العصر العثماني بما فيه حكم المماليك والحكـــم الفرنسي فضلا عن حكم محمد علي . والحق أن الجبرتي يعتـــبر أحد كـــبار المؤرخين في العالم الاسلامي في جميع أزمنته ، وبالتأكيد هو أعظم المؤرخين العرب في الازمنة الحديثة . (١٢)

ولد الجبرتي لاب ثري خلف له ميراثا ضخما ماديا وادبيا ، حيث كان والده من أغنياء عصره فضلا عن كونه عالما من علماء الازهر ذوي الشـــهرة والصيت . وقد كان منزله محرابا للباحثين والعلماء . ولقد ورث الشـــيخ عبد الرحمن هذا التراث برمته الامر الذي أضفى عليه مكانة بارزة في المجتمـــع القاهري ولا سيما من حيث صلاته الواسعة بأصحاب السلطان من الامراء والاجناد والتجار . وفي هذه البيئة العلمية ــ المترفة نوعا ما ــ نشأ عبدالرحمن الجبرتي ، وتقدم الصفوف الاولى من علماء زمانه . (١٣)

ولا شك اننا في ضوء طبيعة البناء الاجتماعي والاقتصادي للمجتمـــع المصري آنذاك ، ومن خلال ما تكشف لنا عنه السيرة الذاتيـــة لعبد الرحمن

الجبرتي من ظروف خاصة صاحبت نشأة الرجل وانعكست آثارها على حياته فيما بعد لا سيما في تلك المكانة الاجتماعية والعلمية التي اكسبته وضعا خاصا بين أقرانه من أعضاء الهيئة العلمية ، نستطيع أن نكشف عن طبيعة الفكرين الاجتماعي والسياسي للجبرتي بشكل موضوعي وذلك من خـــلال قضيتي الدراسة المشار اليهما آنفا .

اولا : الجبرتي والسلطة الحاكمـــة

يعد الجبرتي من ذلك الطراز من المؤرخين الذين يعتبرون ظاهرة متميزة في وقت كانت فيه كتابة التاريخ كما يذهب الجبرتي نفسه من « شغل البطالين وأساطير الاولين » .

ولقد خلف لنا الجبرتي تراثا عظيما سجل فيه احداث حقبة من اخصب حقب المجتمع المصري واغزرها من حيث تشابك الاحداث وتعقد الحوادث .

ولا شك أنه رغم تميز الجبرتي وتفرده واتسامه بالموضوعية ، فان نظرته للأمور كانت احيانا تتلون بميوله الخاصة ، وما كانت تلك الميول الا نتاجـــا للظروف الموضوعية لمؤرخنا الكبير . ولعل من أهم تلك القضايا التي اختلطت فيها لدى الجبرتي الرؤية الذاتية بالرؤية الموضوعية هي تلك القضية الخاصة بموقفه من السلطة الحاكمة وتصوره عن طبيعة الحاكم العادل .

وموقف الجبرتي من السلطة الحاكمة في عصره ، موقف متأرجح بـــين تأييد ورفض . ولعل هذا التأرجح يرجع الى طبيعة السلطة في كل مرحلة من المراحل التي عاشها مؤرخنا الشيخ . الا أن هذا الموقف ـــ أي موقفه من السلطة ـــ تبدو عليه بعض السمات العامة لعل من اهمها رفضه للظلم وحبه وولعه الشديد بالعدالة وهو الامر الذي سيتضح جليا عندما نكشف عن موقف الجبرتي من محمد علي .

ولعل ولعه وحبه الشديد للعدالة هو الذي جعله يتخذ من المماليك موقفا متشددا ينم عن احتقار واستهجان لتصرفاتهم في الحكم والادارة ولا سيما فيما كانوا يمارسونه من ظلم وتعنت على افراد الشعب . ويسرد لنا الجبرتي تلك القصة التي تبين مدى ظلم المماليك ومجملها « أن الشيخ الشرقاوي كانت له حصة في قرية بشرقية ببلبيس ، حضر اليها أهلها وشكوا من محمد بك الالفي ، وذكروا ان اتباعه حضروا اليهم وظلموهم وطلبوا اليهم ما لا قدرة لهم عليه ، واستغاثوا بالشيخ فاغتاظ وحضر الى الازهر وجمع المشايخ وقفلوا أبواب الجامع وذلك بعدما خاطب مراد بك وأمروا الناس بغلق الاسواق والحوانيت

ثم ركبوا في ثاني يوم واجتمع عليهم خلق كثير من العامة وتبعوهم وذهبوا الى بيت الشيخ السادات وازدحم الناس على بيت الشيخ من جهة الباب والبركة بحيث يراهم ابراهيم بك .. فحضر اليهم وسلم عليهم ووقف بين يديهم وسألهم عن مراد بك ، فقالوا له **نريد العدل ورفع الظلم والجور واقامة الشرع وابطال الحوادث والمكوسات التي ابتدعتموها واحدثتموها ....** » . (١٤)

نستشف من ذلك النص مدى الظلم اللاحق بفئات الشعب من قبل المماليك وعدم خنوع الشعب أو خضوعه لهذا الظلم ، بل قاومه ولم يهدأ الا بعد توقيع أول ميثاق يحدد علاقة الحاكم بالمحكوم وهو « .... الامر الذي دفع بعض المهتمين بالتاريخ ان يشبهوا هذه الحجة التي فرض عليها الباشا ووقع عليها ابراهيم ومراد بالماجناكارتا . » (١٥)

ولعل موقف الجبرتي من هذه الحادثة هو موقف المعارض للسلطة المملوكية والمؤيدة للشعب ، وهو الامر الذي تأكد أيضا من تعاطفه الشديد مع (ثورة) ... أهالي الحسينية ضد ظلم أحد سناجق مراد بك في أواخر عام ١٧٨٥ . » (١٦) . فالظلم عنده أمر مستهجن لان « عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة ، قيام ليلها ، وصيام نهارها » . (١٧) ، فاقامة الشريعة والرفق بالرعية هما من أهم الصفات التي يرى الجبرتي ضرورة توفرها لدى الحاكم العادل . (١٨) ، لذلك لا نجد غرابة في حملته الشديدة على المماليك . ورغم اتهام البعض له بأنه كان يحارب المماليك ولكن من بين صفوفهم ، حيث كان مملوكي الروح (١٩) ، فان موقفه بوجه عام من المماليك هو موقف المعارض المستهجن لتصرفاتهم وسوء ادارتهم وظلم حكمهم .

الا ان موقف الجبرتي من الحملة الفرنسية ومن السلطة الفرنسية الحاكمة موقف يتسم بالاعجاب الشديد والانبهار بمنجزاتهم وحبهم الشديد للعلم فضلا عن اعجابه بنظم الحكم التي ارسوها وفي اسلوب محاكماتهم الذي اتسم بالعدل لا سيما في محاكمة سليمان الحلبي قاتل كليبر والتي يصفها الجبرتي وهو مأخوذ بنظامها واسلوب سير الاجراءات فيها .

الا ان الجبرتي رغم اعجابه هذا رأى في غزوهم لمصر اعتداء صارخا وتمنى انتهاء حكمهم ولكنه — كما يذهب الدكتور أحمد عزت عبد الكريم — « ... لم يشارك في مقاومتهم أو الثورة عليهم ، بل لا نرى له — وهو من بين المتصدرين من علماء تلك الايام موقفا يتسم بالمعارضة للفرنسيين كما نرى من الشرقاوي او السادات مثلا . ولكن لا نذهب الى حد اتهام الجبرتي بالتعاون مع الفرنسيين . » (٢٠) .

ولكن في حقيقة الامر اذا كان الشيخ الجبرتي لم يشارك مشاركة ايجابية في مقاومة الفرنسيين أو الثورة عليهم ، الا انه ظل دائما يندد ببعض مواقفهم التي اتسمت بالظلم وخاصة فيما كانوا يفرضونه من ضرائب باهظة وفي أوقات متقاربة بالقوة والقهر . وكان نصيب الحرفيين وصغار التجار والفلاحين من هذه الضرائب كبيرا ، بل أن هذه الطبقات بالذات كانت المنهل الذي كان ينهل منه الفرنسيون . ويروي لنا الجبرتي مؤكدا ما نذهب اليه انه « ... في يوم السبت سادس عشر ، أرسلوا تنابية الى ارباب الحرف والصنائع يطلب دراهم وزعت عليهم مجموعها خمسمائة كيس ، فضج الناس وتكدروا ، ومع ما هم فيه من وقف الحال وغلاء الاسعار في كل شيء ، واصبحوا على ذلك يوم الاحد، فلم يفتحوا الحوانيت ، وانتظروا ما يفعل بهم ، وحضر منهم طائفة الى الجامع الازهر ، ومر الاغا والوالي ينادون بالأمان ، وفتح الدكاكين فلم يفتح منهم الا القليل .... وفيه وقعت معركة بسوق الصاغة بين بعض العسكر الذين ينحشرون في أيام الاسواق في الدلالين والباعة ويعطلون عليهم دلاتهم وصناعتهم ومعايشهم ، وضربوا على بعضها بالرصاص ، ففزع الناس وحصلت كوشة وظن من لا يعلم الحقيقة من العسكر انها قومة ، فهربوا يمينا وشمالا وطلبوا النجاة والتواري . » (٢١) .

ويدلل الجبرتي في الرواية الآتية على بعض مواقف الفرنسيين التي اتسمت بالظلم والتعنت فيقول « فيه اشتد أمر المطالبة بالمال ، وعين لذلك رجل نصراني قبطي سمي شكر الله ، فنزل بالناس ما لا يوصف ، فكان يدخل الى دار أي شخص كان لطلب المال وصحبته العسكر من الفرنساوية والفعلة وبأيديهم **القزم** ، فيأمرهم بهدم الدار ان لم يدفعوا المقرر وقت تاريخه من غير تأخير الى غير ذلك ، وخصوصا ما فعله ببولاق ، فانه كان يحبس الرجال مع الناس ويدخن عليهم بالقطن والمشاق ، ينوع عليهم العذاب ، ثم رجع الى مصر يفعل كذلك (وفيه) اغلقوا جميع الوكائل والخاناتِ على حين غفلة في يوم واحد وختموا على جميعها ثم كانوا يفتحونها وينهبون ما فيها من جميع البضائع والاقمشة والعطر والدخان خانا بعد خان » . (٢٢)

ويؤكد الجبرتي ايضا على ظلم الفرنسيين وعدم امتثالهم للعدل فيما يروي انه حدث في شهر جمادي الثانية ١٢١٥ ان « حضر رجل الى الديوان مستغيثا بأهله وان فلق الفرنسيين قبض على ولده وحبسه عند قائمقام وهو رجل زيات وسبب ذلك ان امرأة جاءت اليه ، لتشتري سمنا فقال لها لم يكن عندي سمن ، فكررت عليه حتى ضج منها ، فقالت له كأنك تدخره حتى تبيعه على العثملي ، تريد بذلك السخرية ، فقال لها نعم رغما عن أنفك وانف الفرنسيين ، فنقل عنه

مقالته غلام كان معها حتى انهوه الى قائمقام ، فأحضره وحبسه ويقول أبوه أخاف أن يقتلوه ، فقال الوكيل لا لا يقتل بمجرد هذا القول وكن مطمئنا فان الفرنساوية لا يظلمون كل هذا الظلم ، فلما كان اليوم الثاني قتل ذلك ومعه اربعة لا يدرى ذنبهم وذهبوا ليوم مضى . » (٢٣) .

ولعل هذه الحوادث وغيرها هي التي دفعت الجبرتي ، رغم اعجابه ببعض منجزات الفرنسيين ، الى أن يتهمهم بالظلم (٢٤) ، وأن اعجابه بهم لم يتجاوز حد الاشادة بهذه المنجزات فضلا عن اعجابه ببعض المواقف التي يرى انها تتسم بالعدالة على نحو ما سوف نعرضه بعد ذلك . ويتضح موقفه هذا في تعليقه على ذلك البيان أو المنشور الاول لنابليون الذي قال فيه (انني ما قدمت لكم الا لكيما اخلص حقكم من يد الظالمين) . ويعلق الجبرتي على هذه العبارة بقوله « هذه أول كذبة ابتدرها وفريه ابتكرها » . (٢٥) .

وما زال الجبرتي يروي لنا مظالم الفرنسيين فيذهب الى انه بعد ثورة القاهرة الاولى قرر الفرنسيون فرضة وغرامة على العلماء والاهالي وقال العلماء « فاذا كان الأمر كما ذكرتم ولا يخرج من يدكم كسكين الفتنة ولا غير ذلك ، فما فائدة رئاستكم ، وايش يكون نفعكم ؟ وحينئذ لا يأتينا منكم الا الضرر، لانكم اذا حضر اخصامنا تمتم معهم وكنتم واياهم علينا . . . . فكان جزاؤكم أن نفعل معكم كما فعلنا مع اهل بولاق من قتلكم عن آخركم وحرق بلدكم وسبي حريمكم واولادكم ، ولكن حيث اعطيناكم الامان فلا ننقض أماننا ولا نقتلكم وانما نأخذ منكم الاموال . فالمطلوب منكم عشرة آلاف الف الف فرنك ، عن كل فرنك ثمانية وعشرون فضة يكون فيها الف الف فرانه عنها خمس عشرة خزنة رومي بثلاث عشرة خزنة مصري ، منها خمسمائة على مائتين على الشيخ السادات خاصة من ذلك خمسمائة وخمسة وثلاثون أيضا ، والشيخ محمد بن الجوهري خمسون الفا ، واخيه الشيخ فتوح خمسون الفا ، والشيخ مصطفى الصاوي خمسون الفا والشيخ العناني مائتان وخمسون الفا ، من ذلك نظير نهب دور الفارين مع العثملي ، مثل المحروقي والشيخ عمر مكرم وحسين أغاشنن . وما بقي تدبرون رايكم فيه وتوزعونه على اهل البلد وتتركون ، عندنا منكم خمسة عشر شخصا . انظروا من يكون فيكم رهينة عندنا حتى تغلقوا ذلك المبلغ . » (٢٦)

ولم يسلم من هذه الغرامة فرد أو طبقة أو طائفة حيث وزعت على « . . . الملتزمين واصحاب الحرف ، وحتى على الحواة والقرداتية ، والمحبطين والتجار واهل الغورية وخان الخليلي والصاغة والنحاسين والدلالين والقبانية وقضاة المحاكم وغيرهم وكل طائفة مبلغ له صورة مثل ثلاثين الف فرانة واربعين

الف . كذلك بياعو االتنباك والدخان والصابون ، والخردجيـة والعطـارون والزياتون والشواؤن والجزارون والمزينون وجميع الصنائع والحرف . » (٢٧)

الا أن مؤرخنا الشيخ رغم سخطه الشديد على تلك المظالم التي ارتكبهـا الفرنسيون تجاه فئات الشعب المصري ، يحمد لهم بعض المواقف . ففضلا عن الموقف الخاص بمحاكمة سليمان الحلبي وانبهاره بسير المحاكمة ونظامها ، فانه يذكر لنا حادثة أخرى تشير الى امتثال الفرنسيين في بعض المواقف الى العدل وتدلل من جهة أخرى على الموضوعية النسبية التي اتسمت بها روايات الجبرتي ، فيقول الجبرتي انه في ٣٠ يونيو سنة ١٨٠١ (٢٨) ، حـدث أن « .... شنق الفرنساوية شخصا منهم على شجرة ببركة الازبكية قيل انه سـرق . » (٢٩)

فالجبرتي اذن لم يكن يملك الا القلم لكنه يعبر بـه عن سـخطه وعدم رضائه عن الحكم الفرنسي بوجه عام . وقد يرجع السبب في هذا الى تخوفه مما قد يسببه له هذا السلوك الايجابي ضد الفرنسيين من بعض الاضرار الخاصة ، فآثر السلامة نظرا لما يتمتع به من مكانة خاصة في المجتمع أورثه اياه والده . هذا فضلا عما آل اليه مصير غيره من العلماء الذين عارضوا الحكم الفرنسي علنا كالشيخ السادات مثلا الذي سجن كرهينة لدى الفرنسيين حتى يدفع المشايخ قدرا معينا من المال كعقاب لهم وللمصريين على ما صدر منهم اثناء ثورة القاهرة الاولى .

ولعل هذا السلوك المحافظ من قبل الجبرتي تجاه الحكم الفرنسي ، الذي يضمر في طياته اعجابا بمنجزاتهم المادية والعلمية ونفورا من سلوكهم تجـاه الشعب وظلمهم اياه ، كان نتاجا لتلك الثقافة التي عاش في ظلها الرجـل ، « ... سواء تلك التي جناها على يد والده أو من خلال دراسته او اشتغاله بالتاريخ الى جانب الخبرة والتجربة اللتين كسبهما من حياته العامة والخاصـة أن صارت للشيخ فكرة محددة في أصول الدولة والسياسة شكلت موقفه من الحوادث التي شهدها وتأثرت بها الاحكام التي أصدرها على المسئولين في عهـده . » (٣٠)

الا انه مما يحير بالنسبة للجبرتي انه لميذكر اسمه منبين تلك الاسماءالتي تكون منها أول ديوان أنشأه نابليون في مصر وهو أمر أكده كثير من الباحثين والمؤرخين (٣١) . فيشير الجبرتي الى انه لما اجتمع نابليون مع مندوبين من العلماء والمشايخ قال لهم « .... أننا ما حضرنا الا بقصد ازالة المماليك الذين يستعملون الفرنساوية بالذل والاحتقار ، واخذوا مال التجار ومال السلطان

.... واما المشايخ والعلماء واصحاب المرتبات والرعية ، فيكونوا مطمئنين ، وفي مساكنهم متاجرين ومرتاحين » الى آخر ما ذكرناه . ثم قال نابليون لهم :

« لازم ان المشايخ والشرباجية يأتون الينا لنرتب معهم ديوانا ننتخبه من سبعة اشخاص عقلاء يدبرون الامر » .

ثم يشير عبد الرحمن الجبرتي الى تلك العناصر التي تكون منها هذا الديوان والتي انحصرت في العلماء والمشايخ : « وفي يوم الخميس ثالث عشر من صفر طلبوا المشايخ والوجاقلية عند بعض رؤسائهم وعينوا عشرة من انفار المشاريخ للديوان وهم الشيخ عبد الله الشرقاوي ، والشيخ خليل البكري والشيخ مصطفى الصاوي ، والشيخ سليمان الفيومي ، والشيخ محمد المهدي، والشيخ موسى السرسي ، والسيد مصطفى الدمنهوري ، والشيخ احمد العريشي ، والشيخ يوسف بك كتخدا الباشا والقاضي وعملوا محمد اغا المسلماني اغاة مستحفظان ، وعلي اغا الشعراوي زعيم مصر ، وحسن اغا محرم أمين احتساب ، وذلك باشارة أرباب الديوان ، فانهم كانوا من تقليد المناصب لجنس المماليك ، فعرفوهم ان سوقة مصر لا يخافون الا الاتراك ولا يحكمهم سواهم ، وهؤلاء الجماعة من أرباب البيوت القديمة . » (٣٢)

ولسنا ندري السبب في تجاهل الجبرتي لاسمه حين ذكر اسماء اعضاء الديوان ، هل هو خوف من حكم التاريخ عليه باعتباره متعاونا مع الفرنسيين ، أم هو دليل على عدم رضاه عن الديوان أو عن فكرة التعاون مع الفرنسيين على الاطلاق أيا كان مستوى التعاون معهم ، رغم ان هذا الديوان كان يعد نواة لنظام شوري « ... لم تكن تعرفه البلاد من قبل ولا سيما اذا لاحظنا انه وضع سنة ١٧٩٨ في أواخر القرن الثامن عشر ، ففي ذلك الحين لم يكن النظام الدستوري مألوفا في الشرق . بل كان الحكم المطلق القائم على الظلم والاستبداد واهواء لحكام هو السائد في بلاد الشرق قاطبة . » (٣٣)

ثم كان موقفه من محمد علي ،وهوموقف يتسم في عمومه بالمعارضة الشديدة ، الا انه مع ذلك لم يستطع الا أن يشيد بمحمد علي وخاصة فيما اتصف به من ذكاء ودهاء لدرجة انه قد اشار بأن لمحمد علي مندوحة لم تكن لغيره من ملوك هذا الزمان . ولكن مفتاح فهم علاقة الجبرتي بمحمد علي يكمن في تصوري فيما اشار اليه الجبرتي من أن محمد علي لو « وفقه الله لشيء من العدالة ، على ما فيه من العزم والرياسة والشهامة والتدبير والمطاولة لكان اعجوبة زمانه وفريد أوانه » .

فالظلم اذن وفقدان العدالة كانا سببا في ذلك الموقف المتشدد الذي وقفه الجبرتي من حكم محمد علي ، رغم ما قدمه الاخير لمصر من افضال لم يستطع انكارها عبد الرحمن الجبرتي نفسه ويتضح ذلك حين « .... بنى محمد علي حائطين في رشيد على يمين البوغاز وشماله ينحصر بينهما الماء فلا تطغى الرمال وقت ضعف النيل بحيث تعطب المراكب وتتلف أموال المسافرين اكبره الجبرتي ووصف ما قام به بأنه (من أعظم الهمم الملوكية التي لم يسبق لمثاها) » (٣٤) .

واذا كان الجبرتي ينتمي الى فئة متميزة في المجتمع ، هي فئة العلماء ، الى جانب غناه وتميزه الاجتماعي والاقتصادي ، وهو الامر الذي جعل البعض يعزو السبب في موقف الجبرتي المتشدد من محمد علي الى أن الاجراءات التي اتخذها سواء اكانت اقتصادية او اجتماعية قد مسته شخصيا ومست الطبقة التي ينتمي اليها ، الا أنه مع ذلك لم يقف هذا الموقف المعارض من محمد علي كنتيجة لما أصاب طبقته أو هو شخصيا من اجراءات محمد علي ، أو ضيقه بأسلوب محمد علي في التفريق بين العلماء وفتكه بالمماليك عام ١٨١١ فحسب وانما أيضا لما أصاب الطبقات الاخرى في المجتمع لا سيما الطبقات الكادحة كالفلاحين والحرفيين وصغار التجار . فهو يسوق لنا مثلا على مدى الظلم والقهر الذي عاش في ظله الفلاح المصري ابان حكم محمد علي ، فيقول « ... وفي اثناء ذلك : قرروا ايضا فردة غلال وسمن وشعير وفول على البلاد والقرى . وان لم يجد المعينون للطلب شيئا من الدراهم عند الفلاحين أخذوا مواشيهم باحضار الثمن .... فان تراخوا أو عجزوا ، شددوا عليهم بالحبس والضرب » . (٢٥)

ويدلل الجبرتي على مدى تعنت جند محمد علي وظلمهم فيقول انهم « ... زادوا في الطنبور نغمات ، وهو انهم صاروا يتتبعون أولاد البلد ، وارباب الصنائع الذين لهم نسبة قديمة بالقرى ، وذلك باغراء اتباعهم وأعوانهم ، فيكون الشخص جالسا في حانوته وصناعته فما يشعر الا والاعوان محيطون به ويطلبونه الى مخدومهم . فان امتنع أو التكأ ، سحبوه بالقهر وادخلوه الى الحبس ، وهو لا يعرف له دينا . فيقول « وما ذنبي » ؟ ، فيقال له : « عليك مال الطين » ، فيقول : « واي شيء يكون الطين ؟ » ، فيقولون له « طين فلاحتك .... من مدة سنين لم تدفعه ، وقدره كذا وكذا ، فيقال له : السث فلانا .... الشبراوي أو المنياوي مثلا » ، فيقول لهم « هذه نسبة قديمة سرت الي من عمي أو خالي أو جدي ..... »

فلا يقبل منه ، ويحبس ويضرب حتى يدفع ما الزموه به ، او يحدد شانعا يصالح عليه . وقد وقع ذلك لكثير من المتسببين والتجار وصناع الحرير وغيرهم » . (٣٦)

ونحن بذلك لا نجد ذلك التعالي الفكري أو الطبقي لدى الجبرتي ، أو لا نجد فيه تلك البورجوازية الفكرية أو الاقتصادية (٣٧) ، التي جعلته يقف من احداث عصره موقفا تمليه عليه هذه الانتماءات الفكرية والاقتصادية فهو في الوقت الذي يعيب فيه محمد علي ومعاونيه اجراءاتهم التي أصابت فئة العلماء والملتزمين ينعي عليه أيضا اجراءاته التعسفية ضد الفلاحين والحرفيين وصغار التجار . ولعل ما ساقه لنا الجبرتي وما سوف يسوقه لنا ويضربه لنا من أمثال يجعلنا لا نتفق كثيرا مع ما ذكره محمود متولي من ان قارىء الجبرتي يستطيع أن يستخلص « ..... انه كان بورجوازي التفكير حيث تظهر اهتماماته بالكتابة عن الطبقة الراقية والاعيان أكثر من الاهتمام بالعامة والذين لم يغفل في ذكر احداثهم » (٣٨) ، الا ان متولي يذهب في نص آخر الى أن الجبرتي رغم كونه بورجوازيا الا انه كان « .... غير مستغل ومتعاطف وان كان يستنكف بعض تصرفات الرعاع الا ان ذلك لم يمنعه من الدفاع عنهم أمام ظلم الحاكم وجبروته في كتاباته . » (٣٩) ،فمتولي هنا رغم تقريره بأن الجبرتي قد اهتم بالطبقة الراقية (٤٠) ، من حيث الكتابة والتاريخ الا انــه لم يستطع انكار تعاطفه مع العامة ووقوفه منهم ضد الحكام .

ولم يكن الجبرتي بظالم لمحمد علي فهو يقرر ما هو واقع من حوادث ووقائع تشهد جلها بظلم الحاكم ومعاونيه ، فيذهب الى أن تخدا الباشا كـان « ... يتنوع في استجلاب الاموال ويتحايل في استخراجها بأنواع من الحيل فمنها : « أنه يرسل الى اهل حرفة من الحرف ، ويأمرهم ببيع بضاعتهم بنصف ثمنها ، ويظهر أنه يريد الشفقة والرأفة بالناس ، ويرخص لهم في أسعار المبيعات ، وأن ارباب الحرف تعدوا الحدود في غلاء الاسعار . فيجتمع أهل الحرفة ويضجون ، ويأتون بدفاترهم وبيان رأس مالهم ، وما ينضاف اليه من غلو الأجر في البحر والبر .... فلا يسمع لقولهم ، ولا يقبل لهم عذرا ، ويأمر بهم الى الحبس . فعند ذلك يطلبون الخلاص ويصلحون على أنفسهم بقدر من المال يدفعونه ويوزعون ذلك على أفرادهم فيما بينهم . ثم يزيدون في سعر تلك البضاعة ليعوضوا غرامتهم من الناس ... معتذرين بتلك الغرامة وما حل بهم من الخسارة ، ثم تستمر الزيادة على الدوام » . (٤) .

فالحرفيون وصغار التجار والفلاحون كانوا من اكثر طبقات المجتمع تعرضا للظلم والاضطهاد ، ولنا في حال الفلاح خير مثل على ما نذهب اليه .

فالسخرة والتجنيد بالقهر فضلا عن الفرض الجزافي للضرائب كلها امور جعلت من الفلاح المصري آنذاك ضحية لظلم الحاكم وتعنته .

ويدلل لنا اليوزباشي نورمان في كتاب له طبع في آذار / مارس ١٩٠٢ عن نظام الجندية واسلوب التجنيد ايام حكم محمد علي : « وكنت ارى جماعاتهم تمر بي كل يوم ، وانا جالسا الى قهوة تحت داري بحي الازبكية ، في رتل طويل يسوقه الباشا بوزوف الى القشلاقات سوق السائمة ، منظرهم يفتت الاكباد ، فقد انتزعوا عنوة من بين أهليهم ، ومن بين احضان الحرية ، يسيرون مثنى ، مثنى ، مربوطين برقابهم الى حبل من مسلة ، يمتد على طول الرتل ، فتية ترتسم على وجوههم وفي أجسامهم العجاف آثار التعب والجوع لا تكاد تستر عورتهم أسمال قذرة كانت فيما مضى هدوما زرقا » . (٤٢) .

فلم يكن الجبرتي في هذا متجنيا على محمد علي فها هو اليوزباشي نورمان يؤكد تلك الحال التي آل اليها الفلاح المصري ، وها هو ادوارد لين الذي عاصر عهد محمد علي يحكي لنا قصة الفلاح الذي قابل الباشا وهو في طريق عودته من الاسكندرية الى القاهرة فشكا له فقره وسوء حاله فأصدر محمد علي أمره بأن على اغنى رجل في القرية ان يعطيه بقرة يعيش منها . فيتهكم لين على محمد علي ويقول ها هي العدالة كما يفهمها الباشا ، يحسن الى فقيره ليس من ماله الخاص وانما من مال غيره . (٤٣) ، ويشير لنا لين ايضا الى ما كان يتمتع به محمد علي من سلطة مطلقة ، حيث كان من حقه أن يقتل من يشاء من رعيته دون محاكمة ودون ابداء السبب ، « واذا أشار بيده بحركة أفقية أطاح السيف براس من يريد » . (٤٤)

فاذا كانت نشأة الجبرتي وانتماءاته الفكرية والطبقية قد انعكست آثارها على موقفه من محمد علي نظرا لما اصابه واصاب طبقته من ضرر سببته لهم اجراءاته الاقتصادية ، فهل كان لادوارد لين واليوزباشي نورمان وغيرهما مصلحة في اتخاذ هذا الموقف من محمد علي وطبيعة نظام الحكم الذي كان سائدا آنذاك ؟ .

ويعزو البعض السبب في ذلك الموقف الذي اتخذه الجبرتي من محمد علي الى انه لم يدرك طبيعة التغير الذي أحدثه ، وانه راح « .... يقيس الامور بمقياس الاخلاق وحدها ، دون أن يقدر كنه التغيير أو دواعيه وبواعثه .... والحق ان الجبرتي عاش من حكم محمد علي سنواته العشرين الاولى ، وهي السنوات التي شغل فيها محمد علي بتحطيم مقومات البناء القديم ليبني بناءه الجديد . وسنوات الهدم دائما يشوبها العنف والقسوة والمصادرة .

وهذه كلها امور سجلها الجبرتي ناقدا ساخطا وان لم يسع لما وراءها من قصـــد » . (٤٥)

والحقيقة ان هذه القضية ــ قضية عدم ادراك الجبرتي لطبيعة التغير الذي احدثه محمد علي ــ بحاجة الى مناقشة . فالواقع انه ليس دفاعا عن الجبرتي ان نقول ان فهم طبيعة علاقته بمحمد علي يكمن في معنى العدالـــة كما يفهمه الجبرتي وهو عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة ، قيام ليلها وصيام نهارها . وهنا تلعب نشأته الدينية دورا في تحديد هذا المعنى ، كذلك تأكيده على أن سبب هلاك الحاكم هو (اطراح ذوي الفضائل ، واصطناع ذوي الرذائل والاستخفاف بعظة الناصح ، والاغترار بتزكية المادح) ، فاذا كـــان هذا هو تصور الجبرتي للعدالة وللحاكم العادل فلا غرابة اذن اذا اتخذ الجبرتي هذا الموقف المتشدد من محمد علي . ثم من قال ان الجبرتي لم يدرك طبيعـــة التغير الذي احدثه محمد علي . لقد شعر الجبرتي ان لهذا الحاكم ــ وهذا حق ــ ملكات وخصائص لم تتوفر لغيره من الحكام ، وانه كثيرا ما كان يشيد به ــ كما اشرنا ــ فلقد وصف أحد الاعمال التي قام بها بأنها من اعظم الهمم الملوكية لم يسبق لمثلها وبأن له مندوحة لم تكن لغيره من ملوك هذا الزمان .

ولم يكن الجبرتي منافقا حين قال عن محمد علي انه لو وفقه الله لشيء من العدالة ، على ما فيه من الحزم والرياسة والشهامة والتدبير والمطاولة لكان اعجوبة زمانه وفريد اوانه .

ولكن على اية حال فانه رغم الموضوعية النسبية التي تميزت بها كتابات الجبرتي الا أننا لا نستطيع وفقا لما تتيحه لنا مناهج البحث في سسيولوجيـــا المعرفة ان نسلخ مواقف الجبرتي ، وآرائه وتصوراته المختلفة لعلاقته بالسلطة الحاكمة في ايامه عن طبيعة الثقافة التي عاش في ظلها وطبيعة العصر الذي ينتمي اليه حيث عاش الجبرتي فترة قلقة من تاريخ مصر منذ أواخر القرن الثامن عشر حتى العشرينات من القرن التاسع عشر .

فاختلاط النظرة الموضوعية بالنظرة الذاتية في حكمه على الامور أمر غير منكور وان كنا لا نستطيع تحميل ميوله واتجاهاته ونظرته الذاتية بوجه عام أكثر مما تحتمل نظرا لما يؤكده لنا التاريخ ومن مصادر اخرى غير الجبرتي من ان حكم الجبرتي على طبيعة السلطة في عصره لم يبعد كثيرا عن الموضوعية .

ثانيا : الجبرتـــــي والثـــورة

اذا كان لعبد الرحمن الجبرتي ذلك الشيخ صاحب تلك المكانة الاجتماعية

المرموقة ، وذلك الوضع العلمي المتميز ، موقف خاص من فكرة الثورة ، فان هذا الموقف لم يتسم بالثبات ، فهو تارة مؤيد اشد ما يكون التأييد ، وتارة أخرى متحفظ الى حد الاستنكار . والثورة كما نعنيها هنا هي تلك الانتفاضات التي تقوم بها غالبية فئات الشعب تعبيرا عن السخط وعدم الرضا عن ظلم الحاكم وتعنته . ولا شك أن تعدد مواقف الجبرتي من الثورة والثوار يرجع في حقيقة الامر الى طبيعة كل ثورة واسبابها ، فضلا عما تميز به الجبرتي من محافظة شـــديدة وكراهية للعنف .

والحقيقة أن الجبرتي قد ايد بشكل لافت ثورة اهالي الحسينية (١٧٨٥) وتلك الثورة (١٧٩٥) التي ارغمت الوالي والمماليك على كتابة وثيقة أو حجة تبين الحقوق والواجبات بين الحاكم والرعية . وفيها ذهبوا الى بيت الشـــيخ السادات « .... وازدحم الناس على بيت الشيخ من جهة الباب والبركة بحيث يراهم ابراهيم بك ... فحضر اليهم وسلم عليهم ووقف بين يديهم وسألهم عن مرادهم ، فقالوا له نريد العدل ورفع الظلم والجور واقامة الشرع وابطال الحوادث ، والمكوسات التي ابتدعتموها واحدثتموها والامر يكون بالاعطاء لا بالأخذ ... وانفض المجلس وركب المشايخ الى الجامع الازهر واجتمع أهل الاطراف من العامة والرعية وباتوا بالمسجد .... » (٤٦)

فالملاحظ ان الجبرتي وان لم يشترك فعليا في هذه الثورة ، الا انه لـــم يستنكرها ، بل نلاحظ تعاطفه معها ومع الاهالي أو العامة أو الرعية كمـــا يسميهم . الا أننا نجد بعد ذلك موقفا يتسم بالمحافظة ان لم يكن الاستنكار وهو الخاص بثورتي القاهرة الاولى والثانية . ويشير الجبرتي الى حوادث ثـــوره القاهرة الاولى تلك التي اندلعت لاسباب اقتصادية في المحل الاول وهي فرض الضرائب الجزافية على فقراء الشعب وطبقاته الدنيا فيقول :

« وفي يوم السبت عاشر جمادي الاولى عملوا الديوان وأحضروا قائمة مقررات الاملاك والعقار ، فجعلوا الاعلى ثمانية فرانة والاوسط ستة ، والادنى ثلاثة ، ومن كان أجرته أقل من ريال في الشهر فهو معاف . وأما الوكايـــل والخانات والجماعات والمعاصر والسراج والحوانيت فمنها وجعلوا عليه ثلاثين واربعين ، وكل شيء بحسابه . وكتبوا بذلك مناشير على عادتهم ولصتوهـــا بالمفارق وارسلوا منها نسخا للاعيان ... ولما اشيع ذلك في الناس كثر لغطهم واستعظموا ذلك والبعض استسلم للقضاء ، فانتبذ جماعة من العامة وتناجوا في ذلك ووافقهم في ذلك بعض المتعممين الذي لم ينظر في عواقب الامور ، ولم

يتفكر انه في القبض مأسور ، وان الملاعين الكفار ، مالكون القلاع والاسوار ، ويحصنون الجميع بآلات الحرب المنيع ، فتجمع الكثير الغوغاء من غير رئيس يسوسهم ولا قائد يقودهم » . (٤٧)

ثم يسرد لنا الجبرتي حوادث الثورة بعد ذلك قائلا : « واصبحوا يوم الاحد متحزبين وعلى الجهاد عازمين ، وابرزوا ما كانوا اخفوه من السلاح وآلات الحرب والكفاح . وحضر السيد بدره وصحبته حشرات الحسينية ، وزعر الحارات البرانية ، ولها هياج عظيم وهول جسيم . ويقولون بصياح الكلام . نصر الله دين الاسلام . فذهبوا الى بيت قاضي عسكر وبه من سبقهم عمن على شاكلتهم نحو الالف واكثر ، فخاف القاضي العاقبة واغلق ابوابه واوقف حجابه ، فرجموه بالحجارة والطوب . وطلب الهرب فلم يمكنه الهروب. وكذلك اجتمع بالجامع الازهر ــ العالم الاكبر ــ وفي ذلك الوقت حضر اللعين « دبوي » بطائفة من فرسانه وعساكره وشجعانه فمر بشارع الغورية ، وعطف على خط الصنادقية ، وذهب الى بيت الشرقاوي فلم يجده ، فذهب الى بيت القاضي فوجد ذلك الزحام ، فخاف وخرج من بين القصرين وباب الزهومة وتلك الاخطاط بالخلائق مزحومة ، فبادروا اليه وضربوه واثخنوا جراحاته وقتلوه وقتلوا الكثير من الفرنسيين ، وابطاله وشجعانه ، وذهبوا الى السعير وبئس المصير » . (٤٨)

فالملاحظ ان موقف الجبرتي من ثورات ما قبل الحملة الفرنسية وتلك التي حدثت اثناءها ، موقف يتسم بتأييد الأولى والتحفظ في الثانية . والدليل على ذلك تسميته لثوار ما قبل الحملة الفرنسية بالعامة أو الرعية وهي تسمية طيبة اذا قارناها بتسميته لثوار فترة الحملة الفرنسية بالحشرات والزعر .

ولكننا في الواقع اذا ما تساءلنا عن السبب في اختلاف موقف الجبرتي من الثورة والثوار ، فانه الى جانب النشأة المحافظة للجبرتي ، فقد رأى في هذه الثورة مخاطرة شديدة نظرا لما يملكه الفرنسيون من عداد القهر والحرب ومقاومة أي تمرد وهو الامر الذي يتيحه لهم تفوقهم العلمي وينبغي الا ننسى انبهار الجبرتي بتفوقهم هذا . فالاستنكار هنا ليس استنكار الرافض للتمرد على الظلم وانما هو استنكار الخائف على العامة والدليل على ذلك قوله على احد المتعممين الذين ايدوا الثورة والثوار انه « .... لم ينظر في عواقب الامور ، ولم يتفكر انه في القبض مأسور ، وان الملاعين الكفار ، مالكون القلاع والاسوار ، ويحصنون الجميع بآلات الحرب المنيع » . (٤٩)

فالنزعة المحافظة لدى الجبرتي ، وانبهاره بعلم الفرنسيين وخوفه على العامة من استخدام الفرنسيين لعلمهم هذا في مقاومتهم وهو الامر الذي حدث

بالفعل : كانت من بين الدوافع التي جعلت مؤرخنا يقف هذا الموقف من ثورات فترة الحملة الفرنسية .

واخيرا : اذا كان الجبرتي ذلك المؤرخ الذي انفرد بالكتابة عن تاريخ مصر خلال هذه الحقبة الزمنية الحية التي حفلت بأحداث متميزة عملت على تغيير مجريات الامور في مصر قد أراد أن يكون موضوعيا ، فأن موضوعيته هذه قد تلونت الى حد ما بنظرته الذاتية للامور ، تلك النظرة التي تعد نتاجا لطبيعة ثقافته ونوعية البيئة الاجتماعية والعلمية التي كان ينتمي اليها ، فضلا عن طبيعة البناء الاجتماعي والاقتصادي الذي عاش في ظله الرجل . الا انه من العسير علينا أن نذهب الى حد تأكيد غلبة هذه النظرة الذاتية في كل ما كتب .

والنظرة الذاتية — وفقا لما يتيحه لنا علم اجتماع المعرفة — أمر ليس من السهل تجنبه . فالباحث — اي باحث — لا يستطيع أن يسلخ نفسه عن الظاهرة التي يعني بدراستها ، فما بالنا بمؤرخ عاش أحداثا معينة ، وله ميول خاصة وثقافة متميزة ليس من السهل عليه ان يصدر احكامه او يصف ما يشاهد ويقرر ما هو كائن دون أن يكون لنظرته الذاتية نصيب في هذا . والسؤال هنا هو : الى اي حد تستطيع الرؤية الموضوعية ان تكبح جماح النظرة الذاتية للامور بحيث لا تترك لها السيادة والغلبة ؟

واعتقد ان هذا ما استطاع أن ينجح فيه بمهارة مؤرخنا عبد الرحمن الجبرتي .

الهوامش

(١) انظر : محمد محمود السروجي ، « عجائب الاثار ومظهر التقديس ، دراسة مقارنة » ، **مجلة الكاتب** ، السنة الرابعة عشرة ، العدد ١٥٨ ، ايار/مايو ١٩٧٤ ، ص ٢ .

(٢) السيد رجب حراز ، **المدخل الى تاريخ الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال البريطاني — ١٥١٧ — ١٨٨٢** ، ص ٣٠ .

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور ، **ثورة شعب ، عرض للحركة الوطنية في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين مع دراسة تفصيلية لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢** ،

(٤) عبد الرحمن الجبرتي ، **تاريخ عجائب الاثار في التراجم والاخبار** ، الجزء الاول ، طبعة بيروت ، ص ص ٤٠—٤١ .

(٥) احمد عبد الرحيم مصطفى ، **الارض والفلاح في عصر محمد علي** ، الجمعية المصرية .

(٦) Issawi, Charles, Egypt : An Economic And Social Analysis, Oxford Univ. Press, London, 1947.

(٧) هيلين آن ريفلين ، **الاقتصاد والادارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر** ، ص ١٥٠ .

(٨) لوتسكي ، **تاريخ الاقطار العربية الحديث** ، ص ٧٠ .

(٩) لم يستخدم الجبرتي التقويم الميلادي .

(١٠) عبد الرحمن الجبرتي ، **تاريخ الجبرتي** ، كتاب الشعب رقم ٤٠ ، الجزء السابع ، ص ٧٤٣ .

(١١) عبد الرحمن الجبرتي ، **المصدر نفسه** ، ص ٧٧ .

(١٢) انظر : محمد انيس ، « الجبرتي ومكانته في مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني في الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، **ندوة عبد الرحمن الجبرتي وعصره** : بمناسبة انقضاء ١٥٠ عاما على وفاته (١٦—٢٢ ابريل ١٩٧٤) ص ١٥ .

(١٣) انظر : احمد عزت عبد الكريم ، الجبرتي مؤرخ مصري على مفرق الطرق ، في الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، **ندوة عبد الرحمن الجبرتي وعصره** : بمناسبة انقضاء ١٥٠ عاما على وفاته (١٦—٢٢ ابريل ١٩٧٤) ، ص ٤ .

(١٤) عبد الرحمن الجبرتي ، **عجائب الاثار** ، الجزء الثالث ، ص ٢٥٨.

(١٥) لويس عوض ، **تاريخ الفكري المصري الحديث ، الخلفية التاريخية** ، ص ٦٣ .

(١٦) عبد الخالق محمد لاشين ، الفكر السياسي عند الجبرتي ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، **ندوة عبد الرحمن الجبرتي وعصره** ، بمناسبة انقضاء ١٥٠ عاما على وفاته ، ص ٤ .

(١٧) ذكر الجبرتي هذا الحديث الذي رواه ابو هريرة في مقدمة عجائب الاثار حين بدأ في ذكر صفات الحاكم العادل .

(١٨) انظر : احمد عبد الرحيم مصطفى ، الجبرتي مؤرخا ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، **ندوة عبد الرحمن الجبرتي وعصره** ، بمناسبة انقضاء ١٥٠ عاما على وفاته (١٦—٢٢ ابريل ١٩٧٤) ، ص ٧ .

(١٩) صلاح عيسى ، عبد الرحمن الجبرتي ، مؤرخ في ميزان المؤرخين ، **مجلة الكاتب** ، السنة الرابعة عشرة ، مايو ١٩٧٤ ، العدد ١٥٨ ، ص ٣٥ .

(٢٠) احمد عزت عبد الكريم ، **الجبرتي مؤرخ مصري على مفرق الطرق** ، مرجع سابق ، ص ٨ .

(٢١) عبد الرحمن الجبرتي ، **تاريخ عجائب الاثار في التراجم والاخبار** ، الجزء الثاني ، طبعة بيروت ، ص ص ٦—٧ .

(٢٢) عبد الرحمن الجبرتي ، **الجزء الثالث من التاريخ المسمى عجائب الاثار في التراجم والاخبار** ، طبعة قديمة ، لم يذكر اسم الناشر ، ص ص ١٣٥—١٣٦ .

(٢٣) عبد الرحمن الجبرتي ، **نفس المرجع** ، ص ١٣٦ .

(٢٤) ما عدا اعجاب الجبرتي بطريقة محاكمة سليمان الحلبي قاتل كليبر .

(٢٥) عبد الرحمن الجبرتي ، **مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس** ، ص ٦١ .

(٢٦) عبد الرحمن الجبرتي **عجائب الآثار (المختار من تاريخ الجبرتي)** ، كتاب الشعب ، ص ص ٢٦٥ — ٢٣٦ .

(٢٧) عبد الرحمن الجبرتي ، **نفس المرجع** ، ص ٢٦٧ .

(٢٨) لم يستخدم الجبرتي التقويم الميلادي .

(٢٩) عبد الرحمن الجبرتي ، **نفس المرجع** ، ص ٤٤١ .

(٣٠) عبد الخالق محمد لاشين ، الفكر السياسي عند الجبرتي ، **مرجع سابق** ، ص ٢ .

(٣١) انظر مجموعة الدراسات الخاصة **بندوة عبد الرحمن الجبرتي وعصره** ، بمناسبة انقضاء ١٥٠ عاما على وفاته ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .

(٣٢) عبد الرحمن الجبرتي ، **مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس** ، ص ٧٢ .

(٣٣) عبد الرحمن الرافعي ، **تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر** ، ص ١٥١ .

(٣٤) احمد عبد الرحيم مصطفى ، **الجبرتي مؤرخا** ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

(٣٥) عبد الرحمن الجبرتي ، **تاريخ الجبرتي** ، كتاب الشعب رقم ٤٠ ، الجزء السابع ، ص ٧٤٣ .

(٣٦) عبد الرحمن الجبرتي ، **المصدر نفسه**

(٣٧) انظر محمود متولي ، « الجبرتي والبرجوازية الصغيرة » ، **مجلة الكاتب** ، السنة الرابعة عشرة ، مايو ١٩٧٤ ، العدد ١٥٨ ، ص ٣٧ .

(٣٨) محمود متولي ، **المرجع نفسه** ، ص ٤٧ .

(٣٩) محمود متولي ، **المرجع نفسه** ، ص ٣٧ .

(٤٠) الواقع ان هذا الامر اختلف بشأنه الباحثون . ففي الوقت الذي يؤكد فيه الدكتور محمود متولي اهتمام الجبرتي بالكتابة عن الطبقة الراقية التي كان ينتمي اليها ، يؤكد الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى من جانب آخر على أن الجبرتي لم يقصر اهتمامه على علية القوم والاحداث الهامة فقد عنى بالامور الجليلة والحقيرة . (انظر احمد عبد الرحيم مصطفى ، **الجبرتي مؤرخا** ، مرجع سابق) .

(٤١) عبد الرحمن الجبرتي ، **تاريخ الجبرتي** ، كتاب الشعب رقم ٤٠ ، الجزء السابع ، ص ٨١٦

(٤٢) نقلا عن حسين فوزي ، **سندباد مصري : جولات في رحاب التاريخ** ، ص ٩٥ .

(٤٣) انظر ادوارد وليام لين ، انجليزي يتحدث عن مصر ، من كتاب **المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم** ، ترجمة فاطمة محجوب ، ص ٧٧ .

(٤٤) ادوار لين ، **المرجع نفسه** ، ص ١٢ .

(٤٥) أحمد عزت عبد الكريم ، الجبرتي مؤرخ مصر على مفرق الطرق ، **مرجع سابق** ، ص ص ١١ — ١٢ .

(٤٦) عبد الرحمن الجبرتي ، **عجائب الآثار** — الجزء الثالث ، ص ص ٢٥٨ — ٢٥٩ .

(٤٧) عبد الرحمن الجبرتي ، مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس ، الجزء الاول ، ص ص ١٢٤ — ١٢٥ .

(٤٨) عبد الرحمن الجبرتي ، نفس المرجع ، ص ١٢٥ .

(٤٩) عبد الرحمن الجبرتي ، **مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس** ، الجزء الاول ، ص ص ١٢٤ — ١٢٥ .

التخطيط التربوي والتنمية

د. سامي خصاونه *

يقول الدكتور محمد احمد الغنام : « التخطيط هو عدد من الانماط والمذاهب بل الاجيال ، ويتأثر بعاملين رئيسيين هما / أولا الواقع الذي تحدث فيه عملية التخطيط بما في ذلك من حقائق موضوعية مادية واجتماعية واقتصادية وسياسية وسكانية وغيرها ، وثانيا المجال الفكري الذي قد يكون بمفاهيمه وتصوراته متميزا او متخلفا عن الواقع » (١) .

وفي تقديرنا انه من غير الممكن أن نتحدث عن التخطيط التربوي بدون الحديث عن التربية وذلك لان التخطيط التربوي يؤثر ويتأثر بالتربية ، فلسفة ومفهوما وتنظيما وتنفيذا وتقييما . فالتخطيط التربوي يتأثر اساسا بمفهوم التربية ، ويحدث التخطيط فكرا وعملا ضمن اطار هذا المفهوم التربوي او ذاك . لكننا لا نقصد ان نقول ان التخطيط التربوي لا يؤثر في المفهوم التربوي ، فيغير في طبيعته او اتجاهه . على العكس من ذلك ، اننا نشارك الدكتور الغنام الاعتقاد ان العلاقة بين التخطيط التربوي والتربية هي علاقة جدلية : الاول (التخطيط التربوي) كمنهج واسلوب يؤثر في الثانية (التربية) ، والثانية ، كتصور وصفي يعكس الواقع كما هو وكما ينبغي ان يكون ويؤثر على الاول .

والسؤال المنطقي الذي يفرض ذاته هنا بالحاح هو كيف يتأثر التخطيط التربوي بالتربية ؟ اننا مع الكثيرين من الذين يعتقدون أن المجتمعات البشرية ، على مدى تاريخها المعروف والمعلوم قد عرفت اربعة مفاهيم عامة رئيسية للتربية هي :

١ ـ التربية او التعليم النظامي في المدرسة معزولا عن المجتمع .

٢ ـ التربية او التعليم النظامي في المدرسة متصلا نسبيا بالمجتمع .

٣ ـ التربية او التعليم النظامي في المدرسة متصلا نسبيا بالمجتمع ولكن على اساس اقتصادي .

٤ ـ التربية المستديمة او التربية الشاملة مدى الحياة .

---

* استاذ التربية لكلية الآداب في جامعة الكويت .

كيف كان التخطيط التربوي حينما كان التعليم النظامي يتم في المدرسة ومعزولا عن المجتمع ؟ . اقتصر التعليم في هذه المرحلة على فئة محدودة من الافراد في المجتمع كانوا من طبقة اجتماعية معينة وتمتعت بامتيازات خاصة حرمت منها الغالبية الساحقة من الافراد والفئات الاخرى في المجتمع . وكانت الاوضاع الاجتماعية الاقتصادية السياسية السائدة حينذاك تخدم بشكل خاص هذه الفئة ، وتشكل حماية قوية مستمرة لمصالحها وامتيازاتها . ونتيجة لذلك لم يكن منتظرا او متوقعا من التربية ـ متمثلة في المدرسة ـ أن تكون على اتصال بالمجتمع للتعرف على احتياجات افراده وجماعاته وطبقاته المختلفة . وبالتالي ، كان ما يمكن تسميته تجاوزا ، بالتخطيط التربوي ، كان تعبيرا عن هذا الوضع المعين . فاقتصر التخطيط التربوي ، شأنه شأن التخطيط العام في المجتمع ، على بعض العمليات الرقمية والحسابية الاحصائية الطابع والمتعلقة باعداد التلاميذ والمعلمين والمدارس والصفوف . واشتمل هذا التخطيط ايضا على صور واشكال غير منظمة عن تكاليف او نفقات هؤلاء التلاميذ والمعلمين والمدارس والصفوف . وبسبب ذلك لم يكن يأخذ التخطيط طابعا اجتماعيا ، وبالتالي لم يكن جزءا من عملية التخطيط المتعلقة بما يمكن تسميته بالتخطيط من اجل التغير أو التنمية الاجتماعية ـ الاقتصادية في المجتمع .

اما في مرحلة انتشار مفهوم التربية الثاني (التعليم النظامي في المدرسة ضمن اطار اجتماعي) ، فلقد تغيرت الصورة . شهدت المجتمعات البشرية في القرن الماضي تغيرات وتبدلات في البنى الاجتماعية لهذه المجتمعات . ومع اطلالة القرن العشرين ، كانت التغيرات والتحولات الاجتماعية تأخذ طريقا اوسع واعمق كما ونوعا . ولقد عززت الثورات السياسية في بداية هذا القرن تلك التحولات والتبدلات وخلقت اوضاعا اجتماعية اقتصادية تربوية جديدة كانت بحد ذاتها دافعا لطلب المزيد من التغير والتبدل الاجتماعي والاقتصادي والتربوي الى درجة ان الدول والمواطنين ، على حد سواء ، من منطلقات الوعي الجديد بحقوقهم وواجباتهم الاجتماعية والاقتصادية والتربوية ، بدأوا ، بجدية اكبر ، يرفعون شعار التغير كوسيلة الى حياة افضل واغنى واجدى . واصبحت التربية في هذه المرحلة ، بحكم ارتباطها العضوي والنفسي مع المجتمع ، اصبحت تكون جزءا منه تكتسب فكرها واتجاهاتها من حقائقه الموضوعية المادية والنفسية . واخذت كذلك تتغير وتتبدل او تتطور على اساس التفاعلات المادية والنفسية للقوى والعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية الموجودة في المجتمع .

لقد كان بروز هذا المفهوم التربوي انتصارا للحركة التاريخية التقدمية ، فلم يعد التعليم هدفا بحد ذاته ، بل اصبح وسيلة لاهداف اخرى اجل واعظم منها خدمة الانسان والانسانية وتسهيل تحقيق الامال والطموحات والتطلعات للافراد والجماعات . وهكذا بدأ التصور الجديد للتربية يفرض تصورا جديدا للتخطيط التربوي وللتنمية الاجتماعية . ولم يعد التخطيط مجرد عمليات رقمية او حسابية احصائية الطابع تتعلق بأعداد التلاميذ والمعلمين والمدارس والصفوف ، بل اصبح يتجاوز ذلك الى الاهتمام بدراسة القوى والعوامل المادية والثقافية المتفاعلة في المجتمع والتي تلعب ادوارا اساسية في عمليات التغير والتحول والتبدل في مجالات المجتمع المختلفة كالتعليمية والاقتصادية والسكانية وغيرها . وبالاضافة الى ذلك بدأ يتكون علم جديد يعرف بعلم التخطيط اخذ يشق طريقه على اسس وقواعد علمية ويأخذ في اعتباره الاستنتاجات والاستكشافات التي تتوصل اليها الدراسات والبحوث في الميادين النظرية والتطبيقية في كل شأن من شؤون الحياة والمجتمع . لكن ينبغي ان نشير الى ان العلم الجديد لم تتكامل صورته في هذه المرحلة ، بل ظل يتأثر بالمفهوم التقليدي للتربية والتخطيط التربوي التقليدي . ولذلك كان يعاني من كثير من الثغرات والنواقص التي قصر عن تجاوزها . لقد اعطى اهتماما اساسيا خاصا للعامل السكاني وكان ذلك على حساب اهتمامه بقوى وعوامل التغير والتبدل الاجتماعي الاكثر اساسية في المجتمع . وهكذا ، كان التخطيط في حقيقته كميا ، وبالتالي ، عانت المؤسسات التربوية من عجز بسبب تخلف التخطيط فيها عن استيعاب طبيعة التغير والتبدل في المجتمع واتجاهات هذا التغير .

كيف كان التخطيط التربوي حينما كانت التربية تتم في المدرسة ومتصلة نسبيا بالمجتمع على اساس اقتصادي ؟ . لقد كان ظهور هذا المفهوم الجديد للتربية وللتخطيط التربوي بشكل واضح بعد الحرب العالمية الثانية بسبب عجز المفهوم السابق عن معالجة الكثير من الاوضاع والمشكلات التي استدعت التفكير بوسائل اخرى اكثر قدرة على حلها ومعالجتها . فكان ظهور المفهوم الجديد انبثاقا او انبعاثا من المفهوم السابق . ويتلخص المفهوم الجديد للتربية في انه تصور متكامل لكل المجتمع بكل ابعاده وجوانبه على أساس اقتصادي مع ما يتصل بذلك من انتاج واستهلاك ووظائف واعمال وغير ذلك . واصبحت التربية والتخطيط التربوي شأنها شأن غيرها من جوانب المجتمع ، اصبحت اقتصادية في اساسها . وتركزت بالضرورة على التطوير الكمي والكيفي بهدف تحقيق الكفاية الكاملة للمجتمع داخليا وخارجيا . ومع ما يتصف به هذا النظام التخطيطي من فوائد او ميزات الا انه فشل في تحقيق الكفاية المطلوبة وبخاصة في الدول الجديدة او الدول النامية التي كانت ــ ولا تزال ــ

تعاني بشكل مرير من النقص في امكاناتها ومواردها الاقتصادية . وبالتالي لم تستطع هذه الدول الانتفاع بهذا الاسلوب بالشكل المناسب رغم ما يوصف به من موضوعية وعلمية .

كيف يكون التخطيط التربوي في مرحلة التربية المستديمة او التربية مدى الحياة ؟ . لقد تكاملت خلال السنوات العشرين الاخيرة نتائج الثورات المختلفة التي شهدها عصرنا . فبالاضافة الى ثورات التحرر الوطني والاستقلال السياسي وثورات الحرية والديمقراطية هناك ثورات الانتاج والمعرفة والعلم والسكان والاتصال والتكنولوجيا التي احدثت تغيرات جذرية مادية وثقافية عميقة الاثر في مواطني هذا العالم وفي طبيعة تفكيره وسلوكه .

ففي مجال الثورة العلمية ، لربما تكفي الاشارة الى التقدير الاحصائي المعروف وهو ان (٩٠ ٪) من العلماء الذين عاشوا منذ بداية الحضارة هم احياء اليوم . ويشير روجيه غاروري في كتابه « البديل » الى احد الاختصاصيين العالميين في البرامج المدرسية الذي يقول « قياسا الى الوتيرة التي تتطور بها المعرفة ، فان جملة معارف البشرية اكبر بأربع مرات حين يتخرج من الجامعة الطفل الذي يولد اليوم ، وحين سيناهز الخمسين من العمر سيكون ٩٧ ٪ مما سيعرفه قد تم اكتشافه منذ ولادته » .

وفيما يتعلق بثورة الانتاج ، يشير روجيه غارودي « الى ان الانتاج الاجمالي للسلع والخدمات لم يتبدل طوال الوف السنين الا بنسبة ٣٪ أو ٤ ٪ في القرن الواحد أو حتى بنسبة ٢٠ ٪ الى ٣٠ ٪ بعيد الثورة الصناعية الاولى ، فانه يتضاعف الان في الاقطارالمتطورة مرة كل ١٥ عاما بحيث ان المجتمع بات ينتج بزيادة ٣٢ ضعفا عند بلوغ المرء سن الشيخوخة قياسا الى حجم الانتاج في عام ميلاده » .

اما بالنسبة للثورة السكانية ، فيكفي ان نشير الى أن سكان العالم يزيدون عن ٤٠٠٠ مليون انسان ، ويأتي الى العالم او الحياة يوميا اكثر من ١٥٠ الف انسان جديد . كما ان اكثر مننصف سكان العالم شباب تقل اعمارهم عن ٢٥ عاما .

هذه الارقام ليست الا مجرد امثلة عن الحقائق الموضوعية الجديدة التي تفرض على الحياة او على مواطن هذا العصر .

ولقد جاءت هذه الثورات على اختلافها وتعددها وكذلك نتائجها ، جاءت معا بروح جديدة يمكن أن توصف بأنها ايجابية ، شعبية ، علمية وشاملة مما استدعى تربية شاملة ، هادفة ، شعبية ، علمية ، ومستمرة مع الانسان الفرد استمرار الحياة فيه وكذلك مع الجماعة البشرية .

لكن هذه الثورات الكثيرة بما فيها من افكار واتجاهات جديدة بدأت ، وبشكل خاص منذ مطلع الستينات ، تحدث صيحات واحتجاجات غاضبة تطالب بتغيرات جذرية حقيقية شمولية في كل جانب من جوانب الحياة . ووجدت الانظمة التربوية والمفاهيم التربوية وانظمة التخطيط التربوي القائمة ، وجدت نفسها في تفص الاتهام ، ووجد القائمون على هذه الانظمة انفسهم يدافعون بلا جدوى عن مفاهيمهم وانظمتهم وممارساتهم وتطبيقاتهم التخطيطية والتنموية . ولقد لعبت صيحات الاحتجاج والغضب دورا رئيسيا في ظهور وبلورة مفهوم جديد للتربية كان قد بدأ يفرض وجوده . هذا المفهوم الجديد هو التربية المستديمة او التربية مدى الحياة . ولقد اخذ المفهوم الجديد يظهر باشكال يعبر عنها احيانا بالتعليم المتكرر والتعليم الذاتي والمجتمع المعلم الى غير ذلك . ولقد برزت اهمية هذا المفهوم في تقرير اللجنة الدولية لتطوير التربية Learning to Be الذي اعدته مجموعة قديرة من علماء ومختصي العالم برئاسة العالم والمربي الفرنسي المعروف « ادجار فور » .

وكما هو متوقع ومنتظر ، فان ظهور مفهوم جديد للتربية يقتضي ظهور مفهوم جديد مصاحب للتخطيط التربوي . فبدأ يظهر تيار تخطيطي جديد يدعو الى ما يسمى بالتخطيط الثقافي او الاجتماعي بدلا من التخطيط التربوي ، او ما يسمى بالتخطيط الشامل الطويل المدى الذي يعطي الاهمية والاولوية الى ما يجب ان يكون . وهذا النمط التخطيطي بطبيعته متعدد البدائل يشرك الغالبية الساحقة من الناس ويبتعد كلية عن التخطيط الذي اعتاد ان يقوم به نفر محدود من الافراد عرفوا بقدراتهم وكفاءاتهم . وبدأنا نشاهد لاول مرة مصطلحات علمية جديدة تشير الى انماط التخطيط الجديد مثل تخطيط الموجهات Vector Planning ، الجيل الثاني في التخطيط التربوي (Second Generation in Educational Planning) ، تخطيط البدائل التربوية المستقبلية (Alternative Educational Futures Approach) التخطيط المفتوح (Open-Ended Planning) ، والتخطيط المعياري (Normative Planning) . (٢) .

يبدأ التخطيط على اساس مفهوم التربية المستديمة من الحقائق الموضوعية القائمة في المجتمعات البشرية . فالكثير من الدراسات ذات الطبيعة التربوية ومنها الدراسة التي قام بها ادجار فور وجماعته تشير الى ان الاوضاع التربوية السائدة في معظم اقطار العالم وخاصة النامي منها ، اوضاع سيئة قائمة على اسس شكلية تقليدية قديمة لا تخدم عملية التعلم والتعليم ولا عملية التنشئة الاجتماعية وانما تعيقها . وتلعب الامتحانات دورا اساسيا في هذه الاوضاع مما يعقد هذه الاوضاع اكثر ويؤدي الى خلق كثير من الصعوبات والمشكلات . اضف الى ذلك ان الفرص التعليمية في ظل الانظمة والاوضاع السائدة غير متكافئة ، فيشير تقرير ادجار فور الى ان

« الدول النامية بحسب تقديرات ١٩٦٨ يبلغ اطفالها ¾ مجموع الاطفال في العالم ، في حين لا تنفق الا ٦ر٨ ٪ من مجموع مخصصات العالم المالية للتعليم ، وكانت هذه النسبة ٩ ٪ سنة ١٩٦٠ » . (٣)

ولا يختلف عالمنا العربي كثيرا عن معظم بلدان العالم النامي . فالاوضاع السائدة فيه سواء الثقافية أو الاجتماعية او التربوية سيئة . فبالاضافة الى ازمات التربية ، والتنشئة الاجتماعيـــة والاسريـــة والتراث والديمقراطية والانفصام الحضاري والولاءات وكذلك أزمـــات السياسة والاقتصاد والانتاج العلمي والتكنولوجي ، بالاضافة الى هذه الازمات يعاني مجتمعنا العربي من ازمة حادة اخرى هي كما يسميها الدكتور منير خوري « ازمة الواقع الريفي والواقع المديني في عالمنا العربي » . ولعل الاختلاف الشاسع بين المجتمعات البدوية والريفية والمدينية يسبب انفصالا شبه كامل بين قطاعات بشريـــة وجغرافية رئيسية في وطننا . يقول الدكتور خوري « ان طغيان العقليـــة القدرية على القطاع الريفي من عالمنا العربي جعل ما يقرب من ٨٠ ٪ من مجموع السكان يعيشون على هامش الحياة المجتمعية الفاعلة . ان انسان هذا القطاع ، عددا ، اكثرية ساحقة ، وفعلا ، اقلية مسحوقة . يتملكه عالمه ومحيطه ولا يملك منهما شيئا . جـذوره الارضية المحلية عميقـــة وقوية ، واغصانه العالمية ضعيفة عارية . اما الانسان المديني فهو يمثل القلة العددية المسيطرة ، انه المتخم الذي لا ينتج ولا يطعم والمتحضر بدون جذور ، ثـروة الدنيا ملك ثانوي له ولذلك هي دائما برسم البيع عنده . جذوره القومية تكاد تكون معدومة ، امـــا اغصانه العالميـــة ولا اقول الانسانية فمترامية الاطراف ، انه ، كما يقول عنه البرت حوراني الانسان الذي يستطيع ان ينتقل من حضارة الى حضارة ويتجلبب ثوب كل منها بنفس السرعة والسهولة التي يستطيعها في تغيير ردائه برداء اخر » (٤) .

ان معالجة المشكلات الناجمة عن اوضاع سيئة كهذه لا يكون من خلال تخطيط جزئي مرحلي سريع ، وانمـــا من خلال تخطيط شامل على النطاق الوطني والقومي والعالمي .

ومن هنا تبدو اهمية وضرورة التخطيط الشامل البعيد المدى ضمـــن استراتيجية عامة تشمل الابعاد الوطنية والقومية والانسانية . وعلى هذا الاساس يصبح التخطيط التربوي جزءا اساسيا من التخطيط العام ، لكنه متكامل معه وضمن الاستراتيجية نفسها ويلعب دورا مهما في عملية التنمية العامة الشاملة . وتصبح ، بالضرورة ، عملية التخطيط جهدا مشتركا متكاملا يساهم فيه المخططون التربويون مع المخططين الاقتصاديين والاجتماعيين والسياسيين والسكانيين وغيرهم .

ويتضح مما سبــق أن عملية التخطيــط العام ومن ضمنها التخطيط التربوي ستنطلق من الاهتمام التفصيلي الشامل بالواقع بما فيه من قيـم واتجاهات اجتماعية واقتصادية وخلقية وغيرها بقصد تحسين هذا الواقع او تبديله بحيث يتحرر الانسان كلية من تبعيته ليصبح سيد نفسه وسيــد الحياة والمجتمع . ان ذلك يعني بالضرورة ان التربية المستديمة وتخطيطاتها المتكاملة سترقى بالمجتمع الانساني الى المستوى الذي يكون فيه قادرا دائما على تجديد ذاته بجد وعزم وفكر مبدع وخلاق . ولما كان التخطيط في مفهوم التربية المستديمة يهتــم بالابعاد المحلية ـــ الوطنيــة والقومية والعالمية ـــ الانسانية ، فان المخطط سوف يعطي اهتماما بالغا لكل خبرة انسانية بغض النظر عن مكانها واتجاهها . فبالاضافة الى اعطائها الدعم والتشجيع ستكون رصيدا له ولغيره من المخططين في كل المجتمعات بغض النظر عن الاختلافات الثقافية القائمة بينها . ولذلك لا داعي للخوف من شمولية وعالمية التخطيط التربوي لانه لن يكون علــى حساب الجماعــات البشرية القليلة العدد او الصغيرة الامكانات . بل على العكس سيعطيها كل عون ممكن وستكون امام قياداتها فرص كبيرة لتلعب ادوارا على نطاقات اوسع قوميا وعالميا .

ويقترح الشيخ بكري ان يكون التخطيط ضمن المراحل التالية : (٥)

أ ـــ المرحلة الاولى ، تقوم على تحديد المعايير التي نستطيع بواسطتها تعيين ما نسميه « بالفئات السكانية المستهدفة » . ونقصد بذلك اولويات العمل بالنسبة الى مختلف المجموعات السكانية ، والتي تستطيع الدولــة استخلاصها تدريجيا . ويمكن تعيــين هذه الفئــات السكانية تبعا لمعايير مختلفة : مثلا ، حسب الفئات العمرية ، او حسب مستوى الدخل ، او تبعا للفئات الاجتماعية ـــ المهنية ، او حسب المستويات التعليمية ، او حسب المواقع الجغرافية او المناطق الاقتصادية ، الخ .

ب ـــ المرحلة الثانية ، وفيها يجري تحديد دقيق للاهداف المرجو بلوغها بالنسبة الى كل من تلك الفئات . وهذه الاهداف تمثل مزيجا من البعدين الاقتصادي والاجتماعي تترجم الى نشاطات عامة في مختلف الميادين : كأن نحدد مثلا المهارات المهنية المطلوبة لدور المنتج ، ولدور المستهلك ، ولتلبية احتياجات الاسرة او المجتمع ، او المؤسسة بوصفها عضوا اجتماعيا الخ .

جـ ـــ المرحلة الثالثة ، وتقوم على تفصيل هذه الاهداف وتجزئتها الى ادوار اكثر دقة والى وظائف خاصة تبرز ضرورة تعديل او تغيير هذه او تلك من المهارات ، او تدعيم وتطورات مهارات اخرى ، كتنمية المعارف مثلا ، والممارسات الحركيــة ، وروح المبادرة ، والمسؤوليــة ، والحس الفني ، الــــخ .

د ــ المرحلة الرابعة ، وتهدف الى تحديد عملية التطوير على مستوى الفرد وطبيعة هذه العملية ، وتعيين الطرائـــق والوسائل القادرة علـــى تحقيقها . وهذه بالطبع من ادق المراحل واصعبها وهي ما نسميه « بالصندوق الاسود » حيث يكمن سر تغير الانســـان .

هـ ــ فاذا سلمنا بامكان بلوغ هذه المرحلة ، يبقى على المخطط ان يجري مسحا بموارد البلد من الوسائل التربويـــة ، اي بمجمل المؤسسات العامة والخاصة ، المدرسية واللامدرسية ، بهدف الافادة المثلى من جميع هذه الموارد . ويذهب المخطط الى ابعد من ذلك فيبحث عن وسائل اخرى لا ترتبط باية مؤسسة تربوية كوسائل الاتصال الجماهيرية التي لا تستخدم في اي بلد بكامل طاقاتها .

وفيما يتعلق بالعالم العربي ، جاء في توصيات الحلقة الدراسية الاقليمية عن السكان والتربية والتنمية في البلاد العربية ان تخطيط التنمية في الدول العربية ينبغي أن يسترشد ايضا بالمبادىء التالية : (٦) .

١ ــ ينبغي أن تتوافق اهداف ووسائل استراتيجية التنمية في الدول العربية مع اوضاعها في الوقت الحاضر ومع بناها الاقتصادية والاجتماعية المخطط لها في المستقبـــل .

٢ ــ ينبغي أن يولى تخطيـــط التنمية مزيدا مـــن الاهتمام لاحتياجات جماعات السكان الهامشية التي تكون غالبا على حافة المجاعـــة . ويمكن ادماج جماعات السكان المحرومة في عملية التنمية اذا ما كانت استراتيجيات التنمية تدعو بشكل متزايد الى الاحتياجات الخاصة لمثل هذه الجماعات ، بدلا من توجيه اهتمامها نحو الاهداف العامة العريضة . ويمكن ايضا معالجة مشكلات السكان على نحو افضل حين تكون استراتيجيات التنمية قائمة على تنمية الموارد البشرية . ويمكن التغلب على المعوقات الاجتماعية والثقافية والسياسة التي تحول دون تنمية مثل هذه الاستراتيجيات اذا ما زادت معرفتنا بالمجتمعات ، واذا ما ترجمت هذه المعرفة الى وضع البرامج وتنفيذها .

٣ ــ ينبغي زيادة التاكيد على مفهوم الاعتماد على النفس عند وضع استراتيجيات التنمية ، ومن ثم ينبغي تحديد اختيار الاهـــداف والوسائـــل والبنى الخاصة بهذه الاستراتيجيات على ضوء المعايير والاحتياجات الوطنية . وفيما يتعلق بمجالات العمل المستهدفة ، قدمت ندوة السكان والتربية والتنمية في البلاد العربية (٦) عددا من التوصيات بقصد توجيه اهتمام الدول الاعضاء والمنظمات الدولية للمجالات ذات الاهميـــة الرئيسيـــة في اقامة صلات بين ديناميات السكان والتعليم والتنمية الشاملة منها :

١ ــ هناك حاجة الى قدر كبير من البحث والبيانات اللازمة لدعم صياغة السياسات الاستراتيجية .

٢ ــ نظرا للنمو السريع في السكان في الدول العربية فانه ينبغي للحكومات ان تنفذ برامج فعالة للتنمية جنبا الى جنب مع جهود التخطيط .

٣ ــ ولكي تتم عملية التنمية المتوازنة ينبغي أن يتمشى معدل النمو السكاني في كل دولة من الدول العربية مع التطور المتوقع من قدراتها الاقتصادية .

٤ ــ ينطوي النمو السكاني في الدول العربية على ضرورة الزيادة السريعة لكافة الانظمة التعليمية (سواء داخل المدرسة ام خارجها) ، ولكن حيث ان الاهمية المتزايدة للمعرفة والمهارات في مجتمع متغير قد جعلت التعليم عنصرا حيويا في التنمية الشاملة ، فان الجهود المبذولة لزيادة طاقة التعليم لن تحقق الثمار المرجوة منها ما لم ترتبط بشكل وثيق بالزيادة في كفاءة النظام التعليمي .

٥ ــ ولكي يشارك النظام التعليمي بكفاءة في التفاعل بين السكان والتنمية الاقتصادية والاجتماعية فانه من المهم ان يتكيف التعليم بشكل اوثق مع مجموعات السكان المختلفة من المجتمع .

٦ ــ وينبغي وضع سياسة قومية لكل دولة عربية جنبا الى جنب مع التوصية السابقة بهدف مكافحة الامية بين كل من الرجال والنساء . وتتطلب مثل هذه السياسة كشرط اساسي وضرورة ان يستوعب التعليم الالزامي جميع الاطفال في سن الالزام في اقرب وقت ممكن .

٧ ــ ومن الامور التي يوصى بها ضرورة أن تشتمل الانظمة التعليمية العربية على تدريس الثقافة السكانية ضمن البرامج الدراسية .

٨ ــ وتبدو الحاجة الى الجهود التعليمية المشتركة والانشطة الاخرى واضحة وينبغي أن توجه العوامل السكانية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تتداخل فيما بينها الى حد كبير لكي تعمل معا في داخل نظام متكامل يمضي في يسر . ويتطلب التخطيط في اي من هذه المجالات توجيه الاهتمام الى المشكلات في المجالات الاخرى المتعلقة بذلك . ومن الواضح في هذا الاطار ان التخطيط التربوي ، وما ينجم عنه من اعمال ، ينبغي أن يعتمد على خطط التنمية الشاملة ونشاطاتها ، وان يسهم فيها .

ومن منطلق شمولية التربية والتخطيط التربوي اخذت منظمة اليونسكو على عاتقها مسؤولية رئيسية لتاكيد اهمية مفهوم التربية المستديمة والتخطيط

العام الشامل . ويبدو ذلك في البرنامج المكون من ٢١ نقطة والذي تدمته اليونسكو للمساعدة في تحقيق اهداف التغير والتحويل الاجتماعي .

– يجب أن يكون التعليم مدى الحياة ركنا اساسيا في جميع السياسات التعليمية في السنوات القادمة سواء في البلاد المتقدمة صناعيا أو في البلاد النامية .

– يقضي التعليم مدى الحياة باجراء تغيير شامل في نظم التعليم . فالتعليم يجب ان لا ينحصر داخل جدران المدرسة ، بل يجب ان تكون جماعيته حقيقية .

– يجب تعليم الافراد بطرق مختلفة . وليست العبرة بالطريقة التي يتعلم بها الفرد ، وانما العبرة بالعلم الحقيقي الذي يحصله .

– يجب الغاء الحواجز المصطنعة والبالية بين مختلف فروع التعليم ومستوياته وبين التعليم الرسمي وغير الرسمي .

– يجب ان يكون تعليم الاطفال الذين لم يبلغوا العمر المدرسي هدفا اساسيا من اهداف السياسة التعليمية .

– لا يزال ملايين الاطفال والشباب محرومين من التعليم . يجب ان يكون التعليم الاساسي العام المناسب لاحتياجاتهم ومواردهم القومية هو الهدف الاول للسياسة التعليمية (التعليم الالزامي) .

– يجب ازالة الفروق الجامدة بين مختلف فروع التعليم . يجب ان يتسم التعليم الابتدائي والثانوي بالطابع النظري والفني والعلمي واليدوي .

– يجب أن لا يهدف التعليم الى تدريب الشباب على اعمال معينة فقط بل يجب ايضا ان يعدهم لانواع مختلفة من الحرف والمهن .

– يجب ان لا تقع مسؤولية التدريب الفني على النظام المدرسي وحده ، بل يجب ان تشارك فيها المدارس والمؤسسات التجارية والصناعية .

– يجب التوسع في التعليم العالي وتنويعه بحيث يفي باحتياجات الفرد والمجتمع . يجب ان تتغير النظرة التقليدية الى الجامعات .

– يجب ان يتوقف التحاق الفرد بمختلف انواع التعليم والوظائف على معلوماته وقدراته وصلاحيته .

– يجب ان يكون النهوض بتعليم الكبار داخل المدرسة وخارجها في مقدمة اهداف السياسة التلعيمية .

ـ كل تعليم يستهدف محو الامية يجـب ان يرتبط باهداف البلاد في التنمية الاجتماعيـة والاقتصاديـة .

ـ يجب ادخال وسائل التعليم الذاتـي ، بما فيها معامل اللغات والمكتبات وبنوك المعلومات والمعدات السمعية والبصرية في جميع النظم التعليمية .

ـ يجب تخطيط النظـم التعليمية في ضـوء الامكانيات التي تتيحها الوسائل الفنية الجديدة في التعليم (المدرسـة في طريقتهـا لتصبح ناديا وورشة ، ومركزا للوثائق ، ومعملا ومكانا للاجتماعات واماكن جلوس التلاميذ .. الـخ) .

ـ يجب الاستعانة الكاملـة في برامج اعـداد المدرسـين باحدث الوسائل والاساليـب التعليميـة .

ـ يجب الغاء كافة الفروق بين المدرسـين في المدارس الابتدائيـة والكليات الفنية والمدارس الثانوية والجامعات .

ـ يجب اعداد المدرسين ليكونوا مربين لا اخصائيين في تلقين المعلومات .

ـ يجب الاستعانـة بالمساعدين المهـرة من رجال الحرف والمهـن كالعمال والفنيـين في التدريس بالمدارس ، ويجـب ان يشارك الطلبة ايضا في التدريس وبذلك يعلمون انفسهم اثناء تعليمهم لغيرهم .

ـ خلافا للتقاليد المتبعة يجب ان يكون التعليم ملائما للمتعلم ويجب ان تتاح للطالب حرية اكبر في ان يقرر بنفسه ما يريد ان يتعلمه وكيف واين يتعلمه .

ـ يجب ان يتاح للطلبة والجمهور بوجه عام ابداء الرأي في القرارات التـي تمس التعليم . (٧)

ولعلنا بذلك القينا ضـوءا على مراحل التخطيط التربوي المختلفة مع تركيز على التخطيط التربوي في ضوء انتشار وسيادة مفهوم التربية الدائمة او الشاملة التي تعني بشمولية الحياة والمجتمع .

الهـوامش

(١) الغنام ، محمد أحمد ، « مذاهب التخطيط التربوي من منظور مفهوم التربية المتطورة » **التربية الجديدة** ، السنة الاولى / العدد الاول ــ كانون أول (بيروت ١٩٧٣) ، ص ٢٩

(٢) المصطلحات العربية هي ترجمة الدكتور محمد أحمد الغنام من مقالته « مذاهب التخطيط التربـوي .. » **مرجع سابق** .

(٣) يلات ، وليم ، « تقرير ادجار فور نقطة تحول في التخطيط التربوي » **المصدر نفسه** ، ص ٦

(٤) خوري ، منير ، ازمة الواقع الريفي والواقع المدني في عالمنا العربي ، ورقة مقدمة الى حلقة تثمير العائدات البترولية في الانماء الاجتماعي العربي في الفترة ما بين ٢٨—٣٠ تشرين ثاني عام ١٩٧٥ ، ص ٩ .

(٥) بكر ، الشيخ ، التخطيط التربوي ، عملية توفيق بين الانسان ومستقبله ، مجلة التربية الجديدة ، السنة الاولى ، العدد الثالث — آب (بيروت ١٩٧٤) .

(٦) مركز سرس الليان ، توصيات الحلقة الدراسية الاقليمية عن السكان والتربية والتنمية في البلاد العربية في الفترة من ٢١—٢٩ شباط عام ١٩٧٦ ، ج٠م٠ع — ص ٩—١١ .

(٧) مكتب اليونسكو بالقاهرة ، برنامج من ٢١ نقطة لسياسة تعليمية تساعد في تحقيق اهداف التغير والتحويل الاجتماعي ، نشرة رسالة اليونسكو ، ديسمبر (القاهرة ١٩٧٢) .



ثلاثون سنة من قيام اسرائيل

١٩٤٨ — ١٩٧٨

د . عمر الخطيب *

اسرائيل : — دولة « العقيدة الرسولية » المزعومة :

لم يشهد تاريخ الافكار السياسية والاجتماعية عبر مراحله المختلفة تعلقا بفكرة — العقيدة الرسولية — مثلما شهده تاريخ الفكر الصهيوني ، فـ — جمهورية افلاطون — و — المدينة الفاضلة — وفكرة — الدولة العالمية — كلها مجهودات فكرية خلاقة لكنها ابتليت بمثالية روادها . ولكن الفكر الصهيوني ربما يكون الوحيد الذي ينفرد بتقديم جملة من — المثل — و — النظم — الاجتماعية — الاخلاقية ليس الى مجتمع اليهود فحسب بل والى العالم بأسره من ورائهم . صحيح اننا سمعنا في العصور الحديثة دعوات مماثلة تبشيرية بهذا المعنى مثل — عبء الرجل الابيض — و — رسالة الامة الجرمانية — و — رسالة الامة السكسونية — ولكن هذه الدعوات كانت نتاج مناخ سياسي — اجتماعي معين نبتت في بيئة الفكر الكولونيالي — العنصري للقرن التاسع عشر ثم انتهت بزوال ذلك المناخ وتغير تلك البيئة . اما الفكر الصهيوني بطابعه — الرسولي — فانه يضع جذوره في اللاهوت اليهودي ، فهو اذن يسبق التاريخ كما انه سرمدي ، لذا فانه يحمل معنى القداسة والخلود . وهكذا فان العقيدة الرسولية في الفكر الصهيوني لا تعترف بالانقطاع بل بالاستمرارية لطالما ان الاحداث والافكار في التاريخ لا تحمل طابع الجدل فهي تسير في خط واحد ومحكومة بالحتميات ، وعندما ظهرت الصهيونية المعاصرة في صورة نقد لحل المسألة اليهودية على اساس التحرر المدني وحده فانها كانت محاولة لمواصلة الفرضيات التقليدية حول طبيعة تاريخ اليهود . ورسالتهم ، الامر الذي رفضه تلامذة التنوير من اليهود (١) . وكان التفاوت في التوجه عاما لم يفلت منه الصهيونيون — الاشتراكيون — ففي حين اعتبر — بورخوف — الصهيونية بمثابة الرد على احتياجات الشعب اليهودي الاقتصادية والثقافية وانها لذلك تمثل بعثا قوميا اجتماعيا معاصرا فان — ليفنبرغ — اثار — الشوق

---

* استاذ العلوم السياسية بالجامعة الاردنية

الى صهيون ــ والعودة الى فلسطين من ايام الانبياء العظام ليبني منه ايديولوجية ــ الاشتراكيين ــ الصهيونية (٢) . وفي كتابه عن ــ تاريخ الصهيونية ــ يقول ــ ناحوم سوكولوف ــ : .... يبدأ تاريخ اسرائيل بالصهيونية ، ويبين هذا التاريخ في الازمنة السحيقة طريق تحقيق الصهيونية .. فالخروج من مصر مثلا كان للجمع بين الهجرة والكولونيالية ... والعودة من بابل كان حدثا صهيونيا عظيما ــ ويقول اميل توما في نقده لفكرة الانبعاث اليهودي كما يطرحها الصهاينة بأن الانبياء مع انهم تحدثوا عن جمع بقايا اليهود من الشتات من اربعة أطراف الارض ــ اشعيا ٢ ــ وعن غربلة بني اسرائيل من بين جميع الامم وانهاء سبي شعب اسرائيل وغرسهم في أرضهم فلا يقلعوا منها ابدا ــ عاموس ٩ ــ الا ان ذلك قد ارتبط عبر الاجيال بقدوم المسيح وحلول الاخرة . ويتابع توما قوله بأن الفرق كبير ، على اية حال ، بين الشوق الى صهيون او فكرة المسيحية التي كانت ولا تزال تؤلف عقيدة من عقائد الايمان الديني في اليهودية مثلما تؤلف فكرة عودة المسيح عقيدة من عقائد الايمان الديني في المسيحية والاسلام وبين الصهيونية بوصفها ايديولوجية سياسية معاصرة نشأت في قرن محدد ونشطت في ظروف تاريخية محددة . ولا يغير في ذلك ان الصهيونية اقتبست هذا الشوق واقامت بناءها الايديولوجي على الدين اليهودي وجعلته جوهر القومية التي ارادت خلقها . هذا ما نراه بالفعل في كتابات اباء الفكر الصهيوني المعاصر المفعمة بالنرجسية والتسامي والمثالية التبشيرية . فيقول هرتزل في كتابه المعروف ــ الدولة اليهودية : ــ سوف يبعث الميكابيون من جديد ... وسوف نحيا اخيرا كرجال أحرار على ترابنا الخاص ونموت بسلام في بيوتنا الخاصة ، سوف يتحرر العالم بحريتنا ويغتني بغنانا ويتعاظم بعظمتنا ، وكل ما نحاول تحقيقه هناك لصالحنا وخيرنا سوف يعود بالنفع الوفير لخير الانسانية جمعاء (٣) .

وهكذا ، عملت قيادة الحركة الصهيونية منذ البداية على اعادة توجيه ما يسميه المؤرخ أرنولد توينبي بـ ــ ملكة المحاكاة ــ صوب الاجداد باعتبارهم تجسيدا للتقليد الاجتماعي غير المتغير ، وصوب الشخصيات المبدعة التي تهوى قيادة رفاقها معها نحو أرض الميعاد . وهذا هو نفس المعنى الذي تتضمنه الميثولوجيا اليهودية في قيادة يشوع بن نون لبني اسرائيل عبر سيناء الى فلسطين ، ولقد ظلت هذه الامثولة حاضرة في اذهان اليهود بعد انهيار مملكتي يهودا والسامرة اثر الأسر البابلي لتتجسد في هذا العصر بعودة جديدة الى ــ المملكة الموحدة ــ لبني اسرائيل . ومن خلال استقرائنا للايديولوجية الصهيونية نستطيع ان نلحظ خطين متناقضين ولكن متوازيين في هذه الامثولة : ــ التضحية ــ و ــ البطولة ــ فالعودة الاولى الى فلسطين كانت بعد معاناة

اليهود اثناء فترة التيه الطويلة في سيناء وما وجودهم في مصر الا وجودا مؤقتا وتجسدت البطولة انذاك في قدرة اليهود على تحقيق شخصيتهم السياسية ـ الدينية باقامة مملكتين لهم في فلسطين ، اما العودة الثانية فقد تمت بعد فترة طويلة من معاناة الدياسبورا من الارهاب النازي وما سبقه طوال حقب عديدة من التمييز والاضطهاد الاوروبي ضدهم ، والبطولة هنا تتمثل في اعادة بناء دولة اسرائيلية موحدة . وهكذا تتبلور البطولة من خلال المعاناة والتضحية في الرؤيا الصهيونية . وهذا الفهم للتاريخ مفعم بالرؤيا الذاتية الموغلة في تصوفها ومثاليتها والتي تغفل عن عمد دور العوامل الموضوعية والمؤثرات الخارجية ، لتقدم نفسها على أنها شيء فريد وريادي ، بل ورباني . وهي بهذا المعنى تسمح لنفسها بأن تسبق التاريخ وتتجاوزه فتصنعه برؤياها قبل أن يصنعها فيكون القصد . وعلى اية حال ، فان العودة الثانية الى فلسطين اختلفت في ظروفها وحيثياتها عن العودة الاولى .

ويقول الان تايلور في كتابه ـ العقل الصهيوني ـ (٤) انه عندما ولدت الصهيونية المعاصرة في القرن التاسع عشر ، فانها كانت تلتقي مع ما يسميه بـ ـ مثل التلاحم القومي والعدالة الاجتماعية ـ في أوروبا ، أي : التطلع نحو العلم والتكنولوجيا ، نحو العمل الصناعي ، نحو المجهود الجسدي في العمل ، نحو نبل المبادرة نحو العمل اليدوي وطهارة العنف الثوري . ولكن العودة هذه المرة مشحونة بالمخاطر ، اذ ان فلسطين ليست ارضا بورا بل هي آهلة بسكانها العرب . ولا يغفل هرتزل عن هذه الحقيقة لانه يفترض ، على اية حال ، أن ـ العدو ـ موجود بصورة دائمة ،هكذا تعلم من تاريخ اليهودية القديم ومن تاريخ الدياسبورا المعاصر . ولذا فانه يقول : ـ ان التآخي العام بين الناس ليس حتى ولا حلم جميل . فالعدو شرط ضروري لارفع مجهودات الانسان واسماها . والخطة التي يعتمدها هرتزل لتوليد ـ الطاقة اليهودية ـ كما يقول ، من زخم القوى المعادية تكون بتحويل اليهود الى مطرقة والابقاء على سندان العالم ، بينما يوضع الاخرون ـ أي العرب ـ بين المطرقة والسندان ـ . ومن الجدير بالذكر أن الصهيوني ـ اسرائيل زانغويل ـ كان قد بادر في مطلع الحركة الصهيونية الى استنباط صيغة يهودية للتشبيه الذي اقتبسه هرتزل عن عبارة الفيلسوف الالماني غوته الشهيرة ـ اما ان نكون مطرقة أو سندانا ـ فأصبحت على لسان زانغويل ـ اما أن نكون مكابيين أو شهداء (٥) .

ويضع هرتزل برنامجا تربويا لتوجيه اليهود ليصبحوا رجالا احرارا واقوياء وعلى استعداد للتطوع في الخدمة وقت الحاجة . ويضع في مقدمة

المنهاج ـــ الاناشيد الوطنية ، الكابيين ، التوراة ، المسرحيات البطولية ـــ (٦).
كل ذلك ، كما يقول الدكتور اسعد رزوق ، من اجل اعداد اليهود الذين يوحد بينهم العداء للسامية عملا بمضمون نظرية ـــ التنكر البيئي ـــ للانتقال الى أرض جديدة والبقاء فيها ريثما تتحول ـــ الزعانف ـــ الظاهرة الى أرجل حقيقية من جديـــد (٧) ..

ولكننا نعتقد ان هرتزل ليس متواضعا الى هذا الحد . فهو في ـــ الدولة اليهودية ـــ يرتاي ما هو ابعد من ذلك باسم العقيدة الرسولية الصهيونية اذ يقول :ـــ سوف نؤلف هناك جزءا من المتراس الاوروبي ضد آسيا ومركزا اماميا للمدنية بوجه البربرية ـــ . وفي روايته ـــ الارض القديمة .. الارض الجديدة ـــ يبشر هرتزل العرب ، مع ذلك ، بأن مجيء اليهود الى فلســـطين سيكون فيه خير للعرب وحياتهم الاجتماعية وتقدمهم . وفي الرواية صورة عرب فلسطين السعداء الباحثين عن ـــ النعمة الجديدة ـــ من اليهود لقاء تنازلهم لهم عن حقوقهـــــم .

وبعد ، فان الكتابات التي تناولت الفكرة الصهيونية واسرائيل ، سواء ما كان منها بالعربية او الاجنبية هي اكثر من ان تحصى . ولكننا بعد مرور ثلاثين سنة على قيـــام اسرائيل أردنا أن نركز على هذه الموضوعية التي تعتبر ابرز ما تتعلق به الفلسفة الصهيونية واسرائيل : موضوعية العقيدة الرسولية، كي نجيز لانفسنا بالتالي أن نطرح السؤال المشروع التالي :

أين هي ـــ النعمة اليهودية ـــ الجديدة التي بشر هرتزل العرب بها في فلسطين ؟ وما هي ثمار هذه العقيدة الرسولية التي تحملها اسرائيل للعالم ؟

اننا لا نجيب على ذلك بأكثر مما يجيب البروفسور الاسرائيلي المعروف ـــ جورج تامارين ـــ الذي اشتهر بعداءه للسياسة العنصـــرية والاستيطانية الاسرائيلية ، وذلك في كتابه عن ـــ المعضلة الاسرائيلية ـــ المنشور عام ١٩٧٣ :

ان هناك تناقضا يدمغ الحقيقة الاجتماعية والروحية لاسرائيل : التناقض بين ـــ العقيدة الاسرائيلية : المثال الديمقراطي ، المساواة ، مجتمع التقدم والاستنارة ، وبين القوانين التيوقراطية العنصرية ، والبيئـــة الشوفـــينية والاجراءات التوتاليتارية . وهذا الصراع معكوس بين التيارات النزاعة نحو ـــ جيتو ـــ جغرافي وروحي ، وبين أولئك الذين يسعون لاقامة مجتمع حر ومفتوح .. ان حل هذه المشكلة سيقرر في نظري ليس فقط الطبيعة الاجتماعية ـــ الثقافية للدولة ، ولكنه أيضا سيقرر مستقبلها السياسي (٨) .

اسرائيل : ثلاثــة قرارات مهلكــة

في تاريخها طوال ثلاثين سنة اتخذت القيادات الاســرائيلية المتعاقبــة سلسلة من اخطر القرارات المهلكة التي ظنت بأن فيها اسباب نجاتها وبقائها ، بمثل ما فيها من اسباب ايذاء العرب والاضرار بمصالحهم . ولكن هذه القرارات وان كانت تغذي بعض المطالب والاطماع الاسرائيلية على المدى المنظور ، فانها ستصيب اساس وجود اسرائيل ذاته في ــ المقتل ــ على المدى الاستراتيجي ــ التاريخي . ويمكن تلخيص قراراتها المهلكة في ثلاث قرارات رئيسية :ــ

الاول : التمييز العنصري ضد العرب

لقد تصادف ظهور عمالقة الحركة الصهيونية على المسرح الاوروبي ظهور ــ الهوة ــ الشهيرة بين انجازات الرجل الابيض والعجز المخيف لبقية البشرية. وادى ذلك لتغذية وهم تفوق الجنس الابيض . وكان ذلك اثر محاولة الباس العنصرية ثوبا علميا في القرن التاسع عشــر بظهور مقولــة ــ الداروينيــة الاجتماعية ــ القائمة على فكرتي ــ الصراع من اجل البقاء ــ و ــ بقــاء الاصلح ــ . وتبعا لذلك ظهر ــ علم الوراثة ــ أو علم الصحة العرقية وذلك بهدف التحري عن ــ نقاء العرق ــ ووحدة السلالة والحيلولة دون تدنسها باختلاطها بدم أو سلالة أخرى . ويحضرنا في هذا الصدد ان نقارن بين كلمات غولدا مائير حول تخوفها من ارتفاع نسبة الولادة بين السكان العرب وخطرها على ــ الطبيعة اليهودية الخالصة ــ لاسرائيل ، مع كلمات الكاتب الانجليزي العنصري ــ غريك ــ آنذاك عن السلتيين المنحلين والويلزين الذين كانوا يتزايدون بسرعة اكثر من تزايد السكسون العظماء ، وبالتالي ، أعطوا الفرصة للعرق الرديء بالغلبة نتيجة صفاته السيئة (٩) .

والحقيقة ان علم الاجناس قد استهوى موسس هس Moses Hess مؤلف كتاب ــ روما والقدس ــ وأحد الرواد البارزين في الفكر الصهيوني . اذ بعد مزاوجة هذا العلم باليهودية ، توصل هس الى نظريتــــه العرقيــة الصهيونية ، فوجد ان الاختلافات بين الشعوب هي فطرية وموروثة وليست مكتسبة ، كما انها أبدية وليست زائلة . وهناك مدرستان عنصريتان دفعتــا الى الامام عملية تبلور العنصرية الصهيونية . الاولى وهي مدرسة المؤرخين البروسيين بزعامة ــ هنريخ فون تريشكه ــ التي تركت اثــرا كبــيرا على الصهيونية من جانب ، وعلى الاشتراكية الوطنية الالمانية من جانب اخــر ، واصبحت كتاباته بمثابة ارشادات سياسية للنازيين ، وحظيت بشعبية كبيرة في الجامعات الالمانية ، حيث كان الشبان اليهود يتلقون تعليمهم . أما الثانية فهي

مدرسة ــ الاصلاح الاستعماري ــ ومن ابرز وجوهها اللورد اشلي المعروف بنشاطه في الحركة الصهيونية . وتقوم على الايمان بقدرة الجنس الابيض ، واعتبار شعوب المستعمرات بمثابة أناس خاملون ومنحطون يقعون في ادنى مرتبات الشــعوب .

وهكذا يذهب الكتاب الصهاينة العنصريون الى اتهام العرب بأنهم شعب رجعي مسؤول عن انحطاط فلسطين والشرق الاوسط برمته (١٠) . ان عقيدة التفوق العنصري لليهود التي تتسلح بالمقولات اللاهوتية مثل ــ شعب اللــه المختار ــ يغلفها ستار كثيف من الوهم بأن العرب يعيشون في ظل انكفــاء حضاري كبير لا نهاية له . وينطوي هذا الموقف على رؤيا خطرة مفادها أنــه لطالما ان للشعب اليهودي في اسرائيل طاقات ابداعية مادية ومعنوية ، تتجاوز حدوده الاقليمية ، فان الارض العربية على اتساعها ، تمثل مجالا رحبا لتفجير تلك الطاقات . وفي هذا يكمن قدر هائل من التجاهل المتعجرف او الجهل بأنــه لا زال امام العرب دور عظيم في دفع مسيرة الحضارة الانسانية الى الامام .

يقول ــ اموري رينكور ــ مؤلــف الكتاب المعــروف ــ القياصــرة القادمون ــ :

ــ زخرت اليونان القديمة واوروبا الحديثة بفائض من الطاقة تعذر معه بقاؤهما منحصرتين داخل حدودهما الجغرافية ، وكان هنــاك حول هذين المجتمعين اليافعين ، رغم العشرين قرنا التي تفصلهما نفس الجهالة البربرية أو نفس الحزن الكئيب المنبعث من حضارات معمرة . ونظــر اليونــان الى البابليين والمصريين نظرة تماثل نظرة الاوروبيين في العصور المتأخــرة ، الى المسلمين والهنود والصينيين : شعوب متدهورة ، بالغة التهذيب ضعيفــة ، مجتمعات تعوزها القوى الخلاقة ، شعوبا همجية عديمة الثقافة تتوسل أن تتحضر . وذهل الرحالة اليونان بأمجاد بابل وضخامتها المحيرة ، وروع هيرودت أمام الاهرامات المهيبة في مصر ، كما راح الاوروبيون يحدقــون النظــر في القسطنطينية ودلهي وبكين ــ .

ترى ، هل يجرؤ قادة اسرائيل على ازالة الغشاوة عن اعينهم كي يحسنوا قراءة التاريخ ويستقرئوه ؟ اننا لا نعتقد ذلك . فعندما قال ديان ، وهو غــير متدين ، ــ أن من يمتلك التوراة وشعب التوراة ينبغي له أن يمتلــك أرض التوراة ــ سارع الحاخام الاسرائيلي نسيم لارسال برقية له ، هناه فيها على ــ فهمه العميق للتوراة ــ .

واذا كان مصدر التفوق اليهودي يختلف من فئة صهيونية لاخرى ، أي اذا كان الهيا بالنسبة للمتدينين ، وذاتي النشأة بالنسبة للعلمانيين ، فان هـذا التفاوت ضمن اطار الالتقاء على نتيجة مشتركة ، هو الذي يفسر لنا الانسجام الحاصل بين الحاخام الاكبر والجنرال الاكبر في اسرائيل .

وهنا ننتقل الى زاوية اخرى من الموضوع ، وهي المتعلقة بمفهوم — اليهودي الخالص — . اذ يرى المنظرون الصهاينة في اندماج اليهـودي أو انصهاره في المجتمع الذي يقيم فيه خارج اسرائيل شكلا من أشكال — الانسلاب — عن هوية يهودية حقيقية خالصة مفترضة . فمثلا ، يرى بريز وكاتزنلسن في اليهودي المندمج شخصا سلبيا غير طبيعي . اما وايزمن فانه يرى بأن الاندماج هو وصمة عار لمن يختاره من اليهود (١١) .

هذا هو الاطار الفكري العام للعنصرية الصهيونية . ولكن ، ماذا عن الممارسات العملية ؟ انها في الحقيقة أكثر من أن تحصى . فهي بعد عام ١٩٤٨ ، تمثلت بجعل العرب يعيشون في ظل القوانين الدفاعية ، وبعد عام ١٩٦٧ ، تمثلت بالاستيلاء الكامل على اراضي فلسطين وانشاء المستوطنات واستغلال العمل الفلسطيني الرخيص ، ومصادرة الاملاك أو اتلافها ، وفرض العقوبات غير القانونية ، وتحويل الضفة والقطاع الى سوق رئيسـي للمنتوجـات ، والحيلولة دون نشوء صناعات وطنية ، بالاضافة الى عمليات تغيير المعـالم والمناهج . ان الكتاب الصادر عن — اسرائيل شاهاك — رئيس عصبة حقوق الانسان الاسرائيلية عام ١٩٧٥ بعنوان — عنصرية دولة اسرائيل — يكفي لان يزودنا بمئات الشواهد والامثلة بهذا الصدد وبأقلام اسرائيلية .

ثانيا : الشوفينية القومية

ان من خصائص كل حركة من الحركات القومية الحديثة ابتكار نظرتها المميزة للتاريخ بصورة عامة ، والى تاريخها بصورة خاصة وذلك بواسـطة تأويلها لاحداث الماضي بشكل يجعلها تصبغ وجود الامة التي تكون اما في طور التكوين أو تكونت حديثا ، بصبغة الوجود المستمر حتى ولو لم يكن لهذا الوجود أي أساس تاريخي سابق . وعليه فقد استخدمت الايديولوجية الصهيونيـة معطيات المراحل السابقة من تاريخ اليهود كبعض انتاجه الفكري والتنظيمـي والادبي والديني الاسطوري ، ودمجها في حينه بالمصالح الحالية ومعطيـات المرحلة التاريخية الراهنة وبتطلعاتها البعيدة وأهدافها المرحلية كي يتبلـور كل ذلك كأداة فعالة في تكوين الدولة القومية اليهودية . وقد اصطبغت هـذه المحاولة بصبغة صوفية غيبية استمدت حيويتها العاطفية من التشديد على — نداء الارض — و — التراث الروحي والاخلاقي — للشعب اليهودي (١٢) .

ومع أن الدلائل التاريخية تثبت أن قيام اسرائيل لم يكن بمثابة حركة تحرير وطنية على غرار حركات التحرر في العالم الثالث ، الا ان الكتاب الصهاينة لا يتواضعون الى حد اعتبار اسرائيل انتصارا لحركة تحرر وطني يهودي ، بل شيئا اسمى من ذلك لانها حركة شعب ــ يكاد يكون فريدا في تاريخ البشرية ــ كما يقول أحدهم . وفي كتابات احاد هاعام نفس الفكرة حين يعتبر أن ــ القومية اليهودية ــ تختلف عن غيرها بانها لا تعبر عن نفسها في السعي نحو السيطرة والتسلط وانما في خدمة مثال اعلى اخلاقي . وهو يعتبر ان الحركات القومية غير اليهودية نابعة من القوة العادية ، بينما لا تحترم القومية اليهودية الا قوة الروح . ليت هاعام عاش اكثر من عمره بسنوات كي يتحقق من صحة اقواله ... ولكن لا بأس . سنلجأ الى مؤرخ يهودي كي يخبرنا فيما اذا كان قيام اسرائيل قد تحقق بفعل القوة المادية أم القوة الروحية التي يحبها هاعام . فيقول ــ هانز كوهن : ان المشكلة اليهودية ليست الا جزءا من المشكلة الانسانية . ان الصهاينة لم يكونوا قادرين على فهم ، ذلك لانهم اعتنقوا مفهوم هرتزل حول وجود عالم اكيد معاد ومضاد للسامية ، بحيث لم يعد بمستطاع اليهود فيه الا ان يلجأوا الى صياغة قومية عدوانية غير مهادنة . وان ذلك هو الذي حال دون قيام اليهود بتطوير علاقات تعاونية انسانية مع العرب الفلسطينيين ــ . ولهذا يعتقد كوهن بأن الصهيونية لم تكن مجرد ابتعاد عن التقليد الليبرالي . ولكنها أيضا تعبير عن نفي اليهود في اطار تاريخ يسعى لطلاق نفسه من النظم الاخلاقية لليهودية (١٣) . ولكن الامر يتعدى ــ العدوانية القومية ــ ليشمل بعدا آخر يتمثل في التنكر للوجود القومي للاخرين ، أي بالتحديد للشعب الفلسطيني . وهو تنكر صريح يعبر عنه القادة الاسرائيليون بين الحين والاخر .

وحول هذا الموضوع يقول الدكتور آرثر هرتزبرغ اليهودي ، منتقدا هؤلاء القادة بشدة : ــ « ان القادة السياسيين لاسرائيل قد اعادوا القول مرارا بأنه لا يوجد ، ولم يكن يوجد أبدا ، شعب عربي فلسطيني ... والعيب في هذه الحجة هي أنها تتجاهل حقائق التاريخ والحاضر معا . فالقادة الاسرائيليون يعرفون أن كل القوميات الحديثة ، بما فيها قوميتهم ، قد ظهرت حديثا نسبيا ، وليس قبل القرن التاسع عشر في أوروبا ،وفيما بعد في اسيا وافريقيا . ان انكار وجود وعي قومي عربي فلسطيني الان ، لانه لم يكن موجودا عام ١٩١٧ هو وهم . ذلك ان خلق دولة اسرائيل ، ومن ثم مشكلة اللاجئين . قد فتح حقبة جديدة من تاريخ عرب فلسطين . فلقد ظهر وعي قومي وقيادة ثورية شابة في الحقب العديدة المنصرمة ، فلماذا اذن يحاول الاسرائيليون انكار الحقيقة الساطعة ؟ » (١٤) .

ليست الاجابة على ذلك بالامر العسير . ايمكن تعليل ذلك بغير القول ان هذا اللباس العرقي الشوفيني لما يسمى بـ ـ القومية اليهودية ـ ينسج خيوطه من ايديولوجية كولونيالية ، سلاحها البطش والارهاب والابادة شبه الجماعية المتدرجة للفلسطينيين ، كي تجيز لنفسها ولشعبها البقاء والتميز والتفوق ؟ الم تكن النازية والفاشية نتيجة منطقية لمناخ الايديولوجيات القومية المتعصبة والمنغلقة في المانيا وايطاليا ؟؟

ثالثا : استعداء العرب ونكران حقوقهم

وهو قرار ناتج بالضرورة عن القرار السابق .ان لا اعترف بوجودك اصلا ، يعني ان لا ارى لك حقوقا . ويعالج الدكتور اسعد رزوق هذه المسألة فيقول بأن الصهاينة يتعاملون مع العرب بـ عقلية المنفى ـ . والخطر الذي تنطوي عليه هذه ، يتجسد من خلال نظرتها الى حقوق الذين يسعون لانتزاع سيادتهم منهم . ويتخيل المنفيون ان استئصال شعورهم بالنفي لا يتم الا بالانتقام له ممن تنحصر صلتهم بالمنفى اليهودي ، في واقع كونهم سكان البلاد التي يطمح اليهود بالاستيلاء عليها واحتلالها . ويضيف رزوق مستطردا ، غير أن محاولة الخروج من وراء جدران ـ الغيتو التقليدي ـ القديم تصبح أسيرة عقلية المنفى فتشيد لنفسها ـ الغيتو الجديد ـ بعد أن تنجح في اغتصاب حقوق اهالي البلاد والاستيلاء على مقدراتها . وهي بذلك تفضح عجزها عن تخطي العقلية التي استحوذت عليها (١٥) .

واذا كان هذا باختصار هو الخط الفكري الذي يحكم نظرة اسرائيل الى الحقوق والمصالح العربية ، والفلسطينية منها بشكل خاص ، فما هو الخط ـ البراغماتي ـ لذلك ؟ يرى قادة اسرائيل ان هناك ثلاث أوضاع رئيسية تسمح لها بالاستمرار الى ما لا نهاية في تجاهل الحقوق والمصالح العربية دون أن يلحقها اي ضرر جدي . (١٦)

أ ـ على المستوى الاسرائيلي :

١ ـ ان اسرائيل مقتنعة بأن العقل العربي معاد جدا لها ولليهود كافة وان الطريق الوحيد للتعامل مع العرب يكون من خلال القوة . وهذا يقود بدوره الى ثلاث نتائج : يجب استخدام القوة على الدوام ، يجب عدم تقديم اية تنازلات ، من غير المجدي التفاوض مع العرب لتحسين صورة اسرائيل أمام العالم ولهذا ، قرر صانعو السياسة الاسرائيلية المحافظة على حالة اللاسلم واللاحرب اعتمادا على هذه الفرضيات. وهي حالة يكفل استمرارها أمران : الاول الردع الاسرائيلي ، والثاني الدعم الامريكي غير المحدود لاسرائيل .

٢ ــ ان اسرائيل مقتنعة بقدرتها على احتواء ابناء الاراضي المحتلة واقتلاع ميولهم الوطنية واضعاف مشاعرهم المعادية لها .

٣ ــ ان اسرائيل مقتنعة بأن لا خطر حقيقي يهددها من جانب الكفاح المسلح الفلسطيني ، لان استراتيجيتها الثورية اصطدمت بالاستراتيجيات الاقليمية لدول المواجهة العربية .

ب ــ على المستوى العربي :

١ ــ ان الانظمة العربية تنظر للقاومة الفلسطينية على انها جسم سياسي حامل للمشاكل والهموم كما انها عنصر غير مرغوب فيه بسبب دورها في دفع حركة اليسار الى الامام ، وبسبب دورها التحريضي بين الشعوب العربية .

٢ ــ ان مصر ، كغيرها من الدول العربية ، تعاني من صراعات داخلية واقليمية ، وهي واقعة في فخ التناقض بين آمال التحرير والمصادر المالية المحدودة .

٣ ــ ان دول النفط العربية غير قادرة على استخدام النفط ضد اسرائيل أو الضغط على الدول المساندة لها .

جـ ــ على المستوى الدولي :

١ ــ ان القوتين الاعظم تفضلان الهدوء والاستقرار في المنطقة .

٢ ــ ان الولايات المتحدة مقتنعة بأن ــ اسرائيل قوية ــ هي الاداة المناسبة لحفظ الاستقرار في منطقة غير مستقرة .

٣ ــ ان الولايات المتحدة تسعى لالغاء الوجود الفلسطيني المسلح بغية اعادة ترتيب أوضاع المنطقة. فهي لا تكره الفلسطينيين لفلسطينيتهم، بل لدورهم المحرض والقادر على توتير المنطقة . واستئصال المقاومة يعني : التوصل الى بحيرة امريكية هادئة في الشرق الاوسط ، التوصل الى حل أمريكي للصراع العربي ــ الاسرائيلي ، وخلق ــ حكومات ثوابت ــ في المنطقة لضمان استتباب الهدوء فيها .

وبعد ، فانه على الرغم مما يتضمنه هذا التصور الاسرائيلي للوهلة الاولى من تماسك وحقائق ، الا انه بامكاننا أن نقدم بعض الاعتراض على صحة فرضياته :

اولا : ان اي فرضية او حقيقة في وقت ما ، قد تنقلب الى عكسـها في وقت آخر من الناحية المبدئيـة الصـرفة .

ثانيا : ان اي فرضية تنشأ على اساس الواقع السكوني المستديم لا تلبث ان تسقط أمام حركة القوى المادية والمعنوية الجدلية ، وهي ان لم تعترف بهذه الحركة فانها تتحول الى حتمية ، الامـر الذي لا يمكن تصوره في الواقع الاجتماعي ــ السياسي المتغير .

ثالثا : ان اسرائيل ، مهما وصلت الى درجة من القوة او التأييد الخارجي ، لن تستطيع أن تعيش الى ما لا نهاية محاطة بهذا الجو المشحون من العداء والكراهية العربية ضدها ، ازاء استمرارها في التنكر للوجود العربي والحقوق والمصالح العربية .

اننا بهذا الصدد ، لا بد أن نثمن مجهودات بعض القوى السياسـية المنظمة الديمقراطية والتقدمية ، الى جانب بعض الرموز الفكرية في اسرائيل ، التي تناوىء السياسة الاسرائيلية في الاتجاهات الثلاثة السابقة ، وتعمل من اجل ايضاح الحق العربي الفلسطيني وذلك على الرغم من اختلافنا مع هؤلاء في التصور الاستراتيجي لحل الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، ولوجود اسرائيل اصلا . ونقتبس في هذا الصدد بعض الأسطر من رسالة مفتوحة وجههـا البروفسور الاسرائيلي ــ جاكوب تالمون ــ الى اسرائيل غاليلي ، حينما صرح بأنه لا يعترف بوجود شيء اسمه الشعب الفلسطيني .

يقول تالمون : ــ .. في نظر العالم ، وفي نظري ايضا ، ان مسـألة الاعتراف بالعرب الفلسطينيين كمجتمع له حق تقرير المصير ، هي المسـألة الجوهرية الان . انها الاختبار الصعب الذي سيحدد فيما اذا كنا مستعدون للتسوية وللتصالح ، أم للتوسع ، وفيما اذا كنا مستعدون لاحترام حقوق الاخرين ، أو تجاهلها . وهذا هو المعيار السليم للحكم على الطبيعة الديمقراطية والصفات الخلقية لدولتنا . (١٧) .

اسرائيل : مجتمع الجنرالات وحلم الاباطرة

من الامور التي تجعل اسرائيل تتميز عن غيرها من المجتمعات الدولية المعاصرة ، هو انها المجتمع الذي يكاد يكون وحيدا الذي قـام على اكتـاف المحاربين ــ المستوطنين فالجيش الاسرائيلي، الذي كان مجموعة من تنظيمات ارهابية يهودية قبل عام ١٩٤٨ ، هو الذي خلق الدولة قبل أن تخلقه . ذلك ان ظاهرة العنف أو القوة التي اصطبغت بها الحركة الصهيونية منذ بدايـة

الاستيطان في فلسطين ، تجد جذورها في تقمصها لنفس الظاهرة التي ارتبطت بها الحركتان القوميتان في كل من المانيا وايطاليا في القرن المنصرم . والتمثل الصهيوني الكامل بهذين الانموذجين في القوة ، كأداة لتحقيق الوحدة القومية في اطار الوطن القومي نجم عن الاعتقاد بأن الصهيونية ، لكي تنجح في خلق الوطن القومي في فلسطين ، فان عليها أن تلجأ للعنف . والحقيقة ان القارىء لكتاب هرتزل يستطيع ان يجد أصداء للروح العسكرية الجرمانية التي عبر عنها الجنرال الالماني ـ فون مولتكه ـ (١٨) بقوله : ـ ان السلام الدائم مجرد حلم ، وحتى انه ليس حلما جميلا ، بينما تؤلف الحرب عنصرا جوهريا في تدبير الله للعالم ـ . أما على الصعيد العملي ، فاننا لسنا نجد أجدر من المدرسة العسكرية الاسرائيلية ، التي يعتبر جابوتنسكي اباها الروحي والعملي ، على استشفاف تلك الروح وترجمتها فعليا . لكن هذه المدرسة تفردت على سابقاتها بأمر متميز وخطير . فاذا كانت العسكرية الجرمانية قد وجدت تبريرها الايديولوجي في السعي نحو تثبيت الهوية القومية للامة الجرمانية ، بعد انحلال الامبراطورية ، فان العسكرية الاسرائيلية لم تكتف بالوصول الى تحقيق الوطن القومي بل تريد ان تتعدى ذلك لتكوين الامبراطورية الاسرائيلية من الفرات الى النيل . ومنذ ان قامت اسرائيل الى الان ، لعب الجنرالات دورا مهيمنا في رسم وتسيير شؤون المؤسسة السياسية ، كيف لا وهم الذين قد اوجدوها اصلا ؟ وصحيح ان دول العالم الثالث شهدت في معظمها نماذج عديدة من جنوح العسكريين للتدخل في الحياة السياسية ولم يكن الامر يتعدى ظاهرة جديدة ، تتمثل في بروز الجيش أحيانا كأداة لمجرد التغيير الاجتماعي في الداخل . ولكن الامر في اسرائيل يختلف عن ذلك جذريا لان التغيير الذي يبتغيه الجنرالات موجه للخارج ، أي للاقاليم المحتلة من ـ اريتز يسرائيل ـ .. ومن الناحية السيكولوجية المحضة فان ـ عسكرة السياسة ـ بالكامل في اسرائيل ، وتوجيهها باستمرار خارج الحدود الاقليمية للدولة ، تعطي للجنرالات ذلك الشعور العظيم بالزهو ، الذي نلمسه كثيرا ، وبشهوة مفرطة للتمثل بأحلام الفاتحين الاباطرة . ولربما يكون ذلك هو الذي يجعل للحياة العسكرية بالنسبة للجنرالات في اسرائيل مذاقا خاصا (٢٠) . كيف لا وهم الذين كانوا أول من يجني ثمار الشهرة في كل الحروب التي قادوها ضد العرب وخرجوا فيها منتصرين ؟ وعندما خيل للبعض ان ـ الروح العسكرية ـ الاسرائيلية قد أصيبت بنكسة موجعة اثر حرب تشرين ، وثارت الزوبعة في اسرائيل حول المطالبة بتحديد المسؤولية عن ـ التقصير ـ فان تلك الروح سرعان ما دبت فيها الحياة لتبعث في شكل جديد أكثر غطرسة . ذلك ان النصر العربي الجزئي اعتبر ثمرة لاخطاء فنية في القيادة الاسرائيلية . أما عن الضجة حول التقصير

فلم تكن أكثر من عملية ــ تصفية حسابات ــ بين الجنرالات ــ ضمن عملية التنافس الحاد للوصول الى المراكز العسكرية الحساسة . ومما قد يكون له مغزى ان نشبه عودة الروح العسكرية لاسرائيل الى أوجها المعتاد بعد نكستها المحدودة عام ١٩٧٣ ، وتوقيع اتفاقيات فك الارتباط ، بنفس عودة الروح العسكرية العدوانية الى المانيا بعد هزيمتها في الحرب الكونية الاولى ، واضطرارها لتوقيع اتفاقيات الصلح مع الحلفاء ١٩١٩ . وكما ترافقت عملية ظهور العسكرية الالمانية من جديد بعد الحرب بعملية انزلاق سياسي خطر الى اليمين انتهى بالنازية ، فان عودة الروح العسكرية من جديد الى اسرائيل بعد حرب تشرين ، قد ترافقت مع انزلاق آخر مشابه الى اليمين ، تمثل في وصول الارهابيين من حيروت الى السلطة .

ولا بد لنا أن ننوه في هذا الصدد ، الى حقيقة ان العالم الغربي أو الامريكي قد يخطىء كثيرا ان هو اعتقد بأن هذا الانتقال في السلطة في اسرائيل الى ــ الاكثر تطرفا ــ هو نتيجة عادية وطبيعية للديمقراطية البرلمانية في المفهوم الليبرالي الغربي . انها في رأينا شيئا يتعدى ذلك ويختلف عنه . ألم يكن وصول النازيين الى السلطة نتيجة لما ظن انه ديمقراطية برلمانية في المانيا ؟؟

يقول البروفسور الاسرائيلي ــ جاكوب تالمان : ــ ان البعد التراجيدي لاسرائيل يكمن في حقيقة انها العقيدة الرسولية المنتصرة التي عليها أن تترجم عمليا في الحرب والقدرة ، وان ترى انجازاتها وانتصاراتها كعلامة بارزة لصلابة وتفوق أفكارها . والمقاومة التي يبديها خصومها تزيد حبها للقوة اشتعالا وتجعل من سعيها نحو القوة في حد ذاتها . (٢١) .

والحقيقة ان ما يسميه تالمان بحق ــ العقيدة الرسولية المنتصرة ــ تجد سندها المادي في ثلاث مصادر رئيسية :

الاول : القوى الذاتية لشعب ودولة اسرائيل ، ولا سيما في مجال الامكانيات والقدرات العسكرية التي أخذت تتنامى تدريجيا مع تطور صناعة الاسلحة المختلفة محليا ، بما في ذلك القدرة على انتاج السلاح النووي (٢٢) . وليس من شك أن تسريع صناعة الاسلحة المختلفة محليا قد ساعد على خلق طبقة رأسمالية صناعية عسكرية تلعب بدورها دورا في دفع الروح العسكرية العدوانية الى الامام ، وكشف أطماع جديدة للقيادة السياسية ــ العسكرية كلما تنامت تلك القدرات (٢٣) ، انها نفس الطبقة التي تشكلت بشكل بارز في الولايات المتحدة أثناء حرب فيتنام ، وكانت عاملا في تصعيد التدخل الامريكي في الهند الصينية قاطبة .

الثاني : ويتمثل في الدعم العسكري الامريكي الكامل لاسرائيل تحت كل الظروف . ولم يحصل في التاريخ المعاصر للعلاقات الدولية أن حظيت دولة حليفة بدعم عسكري مطلق من الدولة الاكبر كما تحظى اسرائيل الان من جانب الولايات المتحدة . بل ان الامر لا يتوقف عند هذا الحد فحسب . ان ما شهدناه من تدخل اسرائيلي مباشر أو غير مباشر ، عن طريق ــ اللوبي ــ الصهيوني في الكونغرس ، لمنع عقد صفقة الطائرات من طراز ــ اف ١٥ ــ الى دولة عربية هي السعودية ليمثل نموذجا فريدا على قدرة دولة صغرى لا لمجرد تأمين كافة طلباتها من الاسلحة من جانب الدولة العظمى ، بل لمنعها ايضا من بيع اسلحة لطرف ثالث . وقد تزول دهشتنا لو لم تكن السعودية تعتبر من جانب الولايات المتحدة حليفا لا يمكن الاستغناء عنه .

الثالث : ويتمثل بالامكانات المالية الوفيرة لليهودية العالمية ، والتي تمكن اسرائيل من تغطية تكاليف مشترياتها من الاسلحة . واذا كانت تلك هي الدرجة التي وصلت اليها تلك ــ الروح ــ وتلك ــ الطاقات ــ فلا بد أن تجد متنفسا لتفجيرها خارج الحدود الاقليمية لاسرائيل . فلعبة الحرب ليست تسلية غير مكلفة يتلهى بها العسكريون ، ان لم تكن مرتبطة بأطماع ومصالح بعيدة .

ان الفكر السياسي الاستراتيجي الاسرائيلي ، وعبر التجارب القاسية السابقة ، يعطينا الدليل العملي على توجه حقيقي نحو خلق ــ امبراطورية اسرائيلية ــ فعلية ، وهو توجه ناجم عن القناعة بانه لا يمكن القبول بواقع جغرافي ــ ديموغرافي ثابت لاسرائيل ، التي تعتبر نفسها التجسيد الحقيقي والكامل للامة اليهودية ، أي انها تعتبر نفسها ــ المركز ــ الروحي والثقافي والسياسي لهذه ــ الامة ــ . وينجم عن ذلك ثلاث نتائج هامة :ــ

الاول : ان اسرائيل هي ــ الوطن الام ــ لمجموع اليهود . ولذا فان يهود الدياسبورا هم مواطنين غير اصليين في البلاد التي يعيشون فيها ، من زاوية ان بقائهم خارج اسرائيل ، ليس لانهم يرغبون العيش فيها بل لان بقائهم في الخارج هو بسبب المولد والنشأة وارتباطات العمل . ولكن هذا لن يشغل الحكومات الاسرائيلية عن مواصلة الهدفالتاريخي لجمع شتات يهود العالم في دولة كبرى واحدة بقدر المستطاع وبهذا المعنى ، فان الفواصل بين يهود اسرائيل ويهود العالم ، سواء كانت سياسية أو اقليمية ، هي وهمية ، وعلى كل حال ، فان الجسور بين يهود ــ الداخل ــ ويهود ــ الخارج ــ ،

ان جاز التعبير تكون عبر تنمية الثقافة اليهودية المشتركة بينهم كما يقول ناحوم غولدمان . وهكذا فان حرب ١٩٦٧ مثلا ، لم تكن في حقيقتها لذرائع امنية فحسب ، بل ومن أجل زيادة تلاحم الدياسبورا بـ ــ الوطن الام ــ وتكثيف دعمها له . ولاجل زيادة الهجـرة والدعم المالي لاسرائيل فانه اعيد تأسيس ــ الوكالة اليهودية ــ في حزيران عام ١٩٧١ . وعندما عقد المؤتمر الصهيوني الثامـن والعشرين في كانون ثاني ١٩٧٢ ، فان الوفد الاسرائيلي للمؤتمر تقدم بمشروع قرار يدعو لطرد زعماء المنظمة الصهيونيـة الذيـن لا يهاجرون الى اسرائيل في غضون سنتين من تاريخ عقد المؤتمر (١) ومع أن مشروع القرار لم يوافق عليه بسبب احتجاج وفد يهـود امريكيا ــ هداسا ــ عليه ، وخروجهم من قاعة المؤتمر الا أنه يعطينا مؤشرا على توجهات قادة اسرائيل في هذا الشأن .

الثاني : ان اسرائيل لا بد وان تتوسع جغرافيا بضرورة اذا ما أريد لها ان تستوعب عددا كبيرا من يهود العالم . وهذا التوسع يحدث عـلى مراحل ،لان عملية تجميع اليهود هي ــ عملية تاريخية طويلة كما يقول بن غوريون . وهذا التوسع على اية حال ، ليس عملية غير شرعية تتم على حساب الآخرين ، طالما انها ليست اكثر من مجرد ــ استرجاع ــ لارض ايتز يسرائيل المغتصبة كما يردد بيغن وزمرته باستمرار ويحاولوا اقناع العالم به . ومهما تكن الحقيقة مرة ، فانه لا بد من الاعتراف بأن الحلم الصهيوني الهرتزلي بدأ يتحقق : ها هي فلسطين بالكامل ، والجولان وسيناء وجنوب لبنان تصبح تقريبا مزروعة بالمهاجرين والمستوطنات في كل مكان .

الثالث : ان ــ أورشليم هي ، بهذا المعنى ، العاصمة الامبراطورية ليهـود اسرائيل والدياسبورا معا ، وهي المركز الذي تتخذ منه القرارات في كل ما يتعلق بحاضر ومستقبل اليهود ــ اينما ــ كانوا . وبما أن اسرائيل هي التجسيد الكامل للمثال الصهيوني ، فانه لا يسمح ولا يعترف بوجود أي مدارس او اتجاهات فكرية او سياسية داخل الحركة الصهيونية ، بخلاف ما تقرره ــ الحكومة الامبراطورية ــ . وبهذا المعنى ايضا ، فان حكومة اسرائيل تتميز وتتفرد على غيرها من حكومات العالم بكونها الحكومة الوحيدة التي تشكل مؤسسة ايديولوجية ــ سياسية ــ عسكرية محكمة الاتساق ، التي لهـا سلطة فرض قوانينها على مواطنين خارج الحدود الاقليمية للدولة ، أي لتشمل بشكل او بآخر يهود العالم قاطبـة .

وبعد ، اذا كانت هذه هي النوايا وهذه التوجهات والحقائق أو ما يقترب منها على الاقل ، فان التساؤل الهام الذي يجب أن يطرح بالضرورة هو : اين هذه ــ الحركة الاسرائيلية ــ من ــ حركة التاريخ ــ والى اي درجة يمكن ان يحصل التماثل بين الرؤيا والقصد ؟ هذا ما سنعالجه في العنوان التالي .

اسرائيل : اسطورة العظمة المحالة

عند الحديث عن مستقبل اسرائيل ووجودها في المنطقة . يبرز عادة في العالم العربي اتجاهان : الاتجاه الاول يمكن تسميته بـــ ــ الواقعي ــ الذي يعبر عن نفسه في الاعتقاد بأن ثمة واقعا سياسيا ــ اجتماعيا لا بد من الاعتراف به ، بل والتعامل معه ، ويتمثل في قيام اسرائيل منذ ثلاثين سنة بالتحديد . ويجد هذا الاتجاه تبريره البراغماتي ــ الذرائعي في القول بأنه ، شئنا أم ابينا ، فان العالم أجمع ، قد اقر بوجود هذا الواقع ، وهو ليس مستعدا ، من الناحية الادبية ، على الاقل ، للقبول بازالته . زد على ذلك ، ان تجارب الحــروب الاربعة الماضية ، اثبتت عمليا ان ليس بوسع العالم العربي أن يغير عسكريا من هذا الواقع ، او يحدث شرخا جديا فيه . وأخيرا فان اسرائيل بقيامها في خلق ــ الحقائق الجديدة ــ في الاراضي التي احتلتها منذ حرب حزيران ١٩٦٧ ، تزيد من صحة الاعتقاد بأن كيانا من هذا النوع لا يمكن أن يسمح ، الا بمعجزة ، عملية تدميرية . والنتيجة المنطقية لهذه الحقائق ، هو أن يعترف العالم العربي بوجود اسرائيل ، شريطة ان تتخلى عن مطالبها التوسعية . ذلك ان استمرار الرفض السلبي العربي لهذا الكيان سيكون نتيجة معروفة سلفا : مزيدا من التوسع والاستيطان اليهودي في الاراضي العربية . وربما يكــون العــرب الواقعين تحت الاحتلال مباشرة هم الاكثر تأثرا بهذا الاتجاه .

الاتجاه الثاني ، ويمكن تسميته بـــ ــ التاريخي ــ الذي يعبر عن نفسه في الاعتقاد بأنه من الانهزامية والاستسلام للواقع ان نحاكم مستقبل اسرائيل بغير رؤية تاريخية عميقة وشاملة ، تتجاوز المرحلة التاريخية الواحدة .

انني أميل للاخذ بالاتجاه الثاني ، وذلك على الرغم من اعترافي بأن القبول بأحد الاتجاهين هو مر . فالقبول بالاتجاه الاول يعني القضاء على كل طموحاتنا ومطالبنا القومية المشروعة في أراضينا العربية ، ونكران تضحيات اجيالنا ، واحناء هاماتنا أمام خوذات الفاتحين . والقبول بالاتجاه الثاني يعني التعامي عن جملة المعاناة اليومية لاولئك الذين يعانون الاحتلال أو ــ ظل ــ الاحتلال ، والقفز فوق الواقع المعاش . ولكن ما يخفف أكثر من مرارة الموقف الثاني جملة حقائق لا يمكن نكرانها :

أولا : ان القبول بوجود اسرائيل والتعامل معها بأي شكل ، لا يعني أبدا نهاية المطامع الاسرائيلية والمعاناة العربية . انهما ينتقلان من مجرد شكل لاخر ، ومن مرحلة لاخرى . ومهما تلبست اسرائيل لبوس السلام ، فلسوف يبقى ان السلام الذي تبتغيه هو — السلم الروماني — كما يسميه ارنولد توينبي ، أي ذلك السلام الذي يعني بسط سيطرتها الكاملة على المنطقة وعدم القبول بأي أطراف أقوى فيها .

ثانيا : ان التحولات الاجتماعية الكبرى التي عرفتها البشرية ودفعتها للامام ، كانت تتم عبر صيرورة تاريخية طويلة ، لا تخلو من الشظف والمعاناة . واذا كنا نعترف بأن ازالة الكيان الصهيوني — الاستيطاني — العنصري من فلسطين يحتاج لطاقات وجهود اكثر من جيل ، يمكن بعدها القول بأن هذا الكيان محكوم بالفناء لانه متطفل على المنطقة . وهذا بنفس الوقت ، لا يجب أن يدفعنا للركون ابدا لمقولات تبشيرية ، أو الاستسلام الكسول لرؤى حتمية ، دون التأكيد على دور العوامل الذاتية الفاعلة ، والتي بدونها يكون اللجوء الى الرؤى التاريخية المجردة ليس الا محاولة للهروب .

ثالثا : ان حركة التاريخ المعاصرة تسير ، ومنذ انتصار حركات التقدم الاجتماعي وحركات التحرر الوطني في العالم ، باتجاه تقدمي . ان عصرنا هو عصر انهيار الاستعمار ، والاستعمار الجديد والعنصرية . ومن هنا فان اسرائيل لا يمكن أن تنجو ، على المدى البعيد ، من حركة التاريخ هذه .

رابعا : ان التاريخ القديم والحديث يقدمان لنا عدة نماذج من الدول التي اتسمت بنزعة عسكريتارية صرفة ، وبنماذج امبراطورية متعددة ، وكلنا يعلم أن كل هذه النماذج قد انهارت . لم تكن الدولة الاسبرطية هي أولها ، ولن تكون الامبراطورية القيصرية هي آخرها . قد يكون الابداع والمحاكاة أمران ملائمان أحيانا ، لكن عملية التمثل الالي لهما من قبل اسرائيل ، في عصر يختلف جذريا عن العصور التي انجبت — سبارطة — أو — روما — أمر محكوم بالسقوط لا محالة .

في نيسان عام ١٩٧٠ ، وفي ظل عمليات — الانتقام الشامل — التي كانت تشنها القوات والطائرات الاسرائيلية ضد الاهداف المدنية والعسكرية المصرية، ابان حرب الاستنزاف ، ظهرت مقالة للزعيم الصهيوني ناحوم غولدمان قال فيها :—

— انه بعد خمسين سنة من النشاط الصهيوني ، بدات تتولد لديه شكوك حول ما اذا كان اقامة دولة اسرائيل ، كما هي عليه اليوم ، يعتبر الانجاز الكامل للفكرة الصهيونية . واضاف غولدمان — ان اسرائيل قد فشلت على الاخص في الاعتراف بخطورة واهمية المشكلة العربية ، وان نزعتها العسكرية قد زادت من خطورة مستقبل العلاقات الاسرائيلية — اليهودية . ويؤكد غولدمان في نفس المقالة على — ان الانتصارات التي حققتها اسرائيل للان ، لم تنجح في تقريب اي حل للصراع العربي — الاسرائيلي ، والانتصارات وحدها يكون لها معنى فقط ، اذا ادت الى الاستقرار والسلام — . وفي تحليل نقدي عميق للاتجاهات العدوانية في اسرائيل ، يضيف غولدمان قائلا بأنه : — مع أن النجاح في ارض المعارك قد حظي باعجاب العالم ، فان هذا ليس أمرا فريدا ، ولا مقصورا على الشعب اليهودي . كما ان شعوبا أخرى وحضارات لم تحظ بالاعجاب ولا بالتذكر في التاريخ نظرا لانجازاتها العسكرية (٢٤) .

والحقيقة ان صلافة المؤسسة السياسية — العسكرية الاسرائيلية ، وطموحها المكشوف لبناء — اسطورة عظمة — عصرية ، لم تسترع انتباه زعيم صهيوني بارز مثل غولدمان فحسب ، بل ان رموزا عديدة في الاوساط المثقفة والجامعية في اسرائيل ، قد حذرت من خطورة هذا الاتجاه ، ليس على الشعوب العربية فحسب ، بل وعلى شعب اسرائيل ودولته ايضا . ها هو المؤرخ الاسرائيلي المعروف جاكوب تالمون يحذر من — اسطورة العظمة — تلك بعبارات ، تدل على استقراء حقيقي وموضوعي للتاريخ . يقول تالمون في مقالة كتبها عام ١٩٦٩ : — ان أولئك الذين يعتقدون بأن القوة هي الرد على كل مشكلة ، يعيشون ليومهم فقط ويتجاهلون المستقبل . فبالنسبة لهم ، فان النجاح الكاسح للقوة هو الكلمة الاخيرة في التاريخ . . انهم يتصفون بـ انا — تمنعهم من فهم عقلية خصومهم ، أو تحسس ما يجول في خاطرهم . . . وهكذا فان القومية المتطرفة تتشكل وهي مشبعة باحتقار عميق للشعوب الاخرى ، وروادها مدفوعون بالاعتقاد بأن القوة ستحل كل مشكلة ، وانهم عقدوا ميثاقا مع القدرة العلية موجه نحو جعلهم لا يقهرون أبدا وأقوياء بلا حدود — (٢٥) .

وفي تحليل مسهب للمشاكل الاخلاقية لاسرائيل يقول تالمون :— انه رغم حاجة اسرائيل للامن العسكري ، فانه من الخطأ الاعتقاد بأن استمرار الحرب، هو وسيلة لتحقيق المصالح القومية والتوسع الاقليمي والانقياد في اتجاه أحادي نحو القوة ونحو نزعة المغامرة العسكرية ، التي تهدف للحصول على الحد الاقصى — ، ولا ينسى تالمون في هذا الصدد ، ان يذكر المسؤولين الاسرائيليين بـ — ان الذي يعيش بالسيف سيموت به في النهاية — (٢٦) .

وبالفعل فان ـ التطور الحاسم ـ منذ عام ١٩٧٢ في المنطقة ، كما يقول جون كمشة ، ان اسرائيل قد اصبحت هي العامل العسكري الرئيسي في الشرق الاوسط ، وانه باستطاعتها ان تضرب وقتما تشاء ، ولا تحتاج في ذلك لاكثر من التأييد الاميركي الضمني ، وان اسرائيل قادرة على السيطرة على المنطقة للثلاثين او الاربعين سنة المقبلة . وعن هذه الوضعية من القوة المطلقة ، يقول الجنرال الاحتياطي الاسرائيلي ـ ماتيتياهو بيليد ـ المعروف باتجاهه المهادن نحو العرب ، ان الاساطير الثلاثة التي قادت اسرائيل الى شبه كارثة يوم الغفران عام ١٩٧٣ ، هي اسطورة ان العرب جبناء وضعفاء ، ولن يكون باستطاعتهم ابدا القيام بهجوم ، واسطورة أنه في حال قيام العرب بهجوم ، وهو احتمال ضعيف ، فان التفوق الجوي الاسرائيلي سيضمن لها تحقيق النصر الاكيد . أما الاسطورة الاخيرة ولعلها الاخطر ، فقد كانت تقوم على اعتقاد ممزوج بقدر كبير من الغطرسة التي تبدت في كل المجالات ، بأننا نستطيع أن نفرض على الفلسطينيين وعلى العالم أجمع الوضع القائم الاقليمي الى ما لا نهاية . ولكن ، الم يضطر الجنرال حاييم بارليف الى الاعتراف بفشل هذه السياسة ، حينما قال في مقابلة مع الراديو الاسرائيلي ، ردا على سؤال حول أسباب نشوب الحرب بأن المصريين لم يعد بامكانهم أن يتحملوا الوضع القائم ؟ وها هي الغطرسة العسكرية تبعث من جديد في جنوب لبنان . ذلك ان الاحداث ـ الصغيرة ـ كحرب تشرين ، لا يمكن أن تحدث اي شرخ في بناء الاسطورة ولا اي تحويل هام في المسار التاريخي المقدر لها .

وبعد ، فاننا نعترف في هذا الصدد ايضا ، بأن أصواتا جريئة قد ارتفعت في اسرائيل وفي الدياسبورا تحذر من مغبة التفاؤل في حلم العظمة هذا ، تماما كما كان الامر في بداية الاستيطان الصهيوني في فلسطين ، سواء كانت هذه الاصوات امتدادا روحيا لحركة الاستنارة اليهودية ، أو صرخة تحذير مبكرة للقادة الاسرائيليين قبل فوات الاوان . ولكن هذه الاصوات ، بما لها من قيمة لا زالت قليلة خافتة ، ولا بد لكافة الرموز والقوى الديمقراطية والتقدمية اليهودية ، في داخل اسرائيل وخارجها ، من أن تضاعف من جهودها لكشف الحقيقة ، والتقدم بأفكار جديدة تصبو لايجاد حل ديمقراطي حقيقي للصراع العربي ـ الاسرائيلي ، ينبذ الوضع القائم كليا في اسرائيل ، بكل ابعاده العدوانية ، التوسعية العنصرية وبناء عالم جديد يخلو من أساطير العظمة المحالة .

الهوامش

(١) اميل توما : جذور القضية الفلسطينية نقلا عن « بن هلبرن » اليهودي في كتابه فكرة الدولة اليهوديـــة ص ١٨

(٢) المصـــدر السابـــق

(٣) ثيودور هرتزل « الدولة اليهودية » ص ٧٩

(٤) Alan Taylor : Zionist Mind. P. L. O. Center of Palestine Studies, Beirut 1977. P. 47.

(٥) اميل توما : المصدر السابق ص ٧٦

(٦) ثيودور هرتزل : اليوميات ، الجزء الاول ص ٣٨

(٧) الدكتور اسعد رزوق : اسرائيل وحقوق الانسان العربي ص ٧٨ مركز الابحاث الفلسطيني ، بيروت ١٩٦٨ .

(٨) Georges Tamarin : The Israeli Dilemma, Essays on a Warfare State. Roterdam University Press, P. 9. 1973.

(٩) خالد تشطيني : المصدر السابق . ص ١٦ وما بعدها .

(١٠) الدكتور فيصل السامر . مسألة الجنس اليهودي — مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ص ١١٩ بغـــداد .

(١١) الدكتور فيصل السامر المصدر السابق

(١٢) صادق جلال العظم ، المصدر السابق ص ١١٨

(١٣) Hans Kohn : Zion and Jewish National Idea. London, P. 53

(١٤) Arthur Hertzberg : "Palestine, the Logic Partition Today" Columbia Forum. Fall 1970. P. 17.

(١٥) الدكتور اسعد رزوق . اسرائيل وحقوق الشعب الفلسطيني — مركز الابحاث —منظمـــة التحرير الفلسطينية — بيروت ١٩٦٨ ص ١٠٣

(١٦) طارق عبد الحكيم : استراتيجية التسوية الامريكية ، بيروت . ١٩٧٦

(١٧) Jacob Talmono : Jewish Liberation Journal, New York, November December 1969, P. 4.

(١٨) فون مولتكه ، هو قائد الجيوش الالمانية ضد فرنسا اثناء حروب ابراهيم باشا في الاناضول ، ١٨٧٠ — ١٨٧١ .

(١٩) Alan Taylor. Zionist Mind. Op. Cit.,

(٢٠) عن دور المؤسسة العسكرية في توجيه السياسات الاسرائيلية انظر :
Amos Per Imutter : Military and Politics in Israel Nation -Building and Role Expansion. France Cass and Co. LTD. London 1969 and, Amos Perlmutter; Politics and the Military in Israel 1977 France Cass Co. LTD., London, 1978.

(٢١) Jacob Talmon : "Is Force Indeed an Answer of Everything?" Dispersion and Unity Jerusalem, No. 17, 18, 1973 P. 15.

(٢٢) من هذا الموضوع انظر نشرة مركز الدراسات الفلسطينية العدد أيار ١٩٧٨

(٢٣) عن صناعة الاسلحة في اسرائيل انظر المصدر السابق ذاته من ص ٢٦٤ الى ص ٢٧٢ .

(٢٤) Nahom Goldman : "The Future of Israel" Foreign Affairs, April, 1970, P. 443.

(٢٥) Jacob Talmon : "Is Force an Answer of Everything?" Op. cit.

(٢٦) Jacob Talmon : "Is Force Indeed an Answer of Everything?"

■ ■ ■

اذ تطمح هذه المجلة في أن تكون منبرا بارزا من منابر طلبة وأساتذة العلوم الاجتماعية ، ترحّب بكل ما يردها من دراسات وملاحظات واقتراحات عملية . انها تفتح صفحاتها للانتقاد الهادف وتقدّمه على الاطراء غير الهادف ، وتدعو قرّائها في الوقت ذاته الى مناقشة ما تتضمنه من أبحاث ومواضيع ومراجعات وتقارير خاصة بحيث يكون في مقدورها افراد باب جديد خاص بذلك في الأعداد القادمة .


مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

ندوة العدد

ندوة العدد

في مطلع العام ١٩٧٥ اختطت مجلة العلوم الاجتماعية سياسة ترمي الى تطوير مضمون القضايا التي تطرح على صفحاتها ، وتغيير الاطار العام للمجلة ، بهدف تنمية حقول العلوم الاجتماعية في الوطن العربي .

وتمشيا مع ذلك تلتقي في كل عدد في حوار مفتوح مع عدد من المفكرين لطرح قضية هامة على الصعيد العلمي .

وتتناول ندوتنا في هذا العدد موضوع **التغير الاجتماعي في الوطن العربي** ، ويشارك في الندوة كل من : **د. سعيد التل** عميد كلية التربية ، **د. سري ناصر** رئيس قسم الاجتماع والدكتور **ربحي الحسن** مدرس الادارة العامة في كلية الاقتصاد والتجارة ، وجميعهم من الجامعة الاردنية . وقد نظم الندوة وادارها الدكتور **كامل ابو جابر** عميد كلية الاقتصاد والتجارة في الجامعة الاردنية .

التغير الاجتماعي في الوطن العربي

تنظيم وتحرير د. كامل ابو جابر *

د. كامل : ارحب بكم ايها الاخوة اجمل ترحيب في هـذه الندوة حـول مفهوم التغير الاجتماعي بشكل عام والتغيـر الاجتماعي في الوطن العربـي بشكل خاص ـ اهلا وسهلا بكم ايها الاخوة . السؤال الاول الذي ارغب في طرحه على الاخوان هو مفهوم التغيير * والتطور الاجتماعي ـ ماذا نقصد بذلك ؟ ارجو ان نتعرض لمفهوم التغير الاجتماعي بشكل عام ثم نتطرق لهذا الموضوع بالنسبة للعالم العربي .

د. سعيد : اعتقد ان نقاشنا عن التغير والتطور الاجتماعي يجب الا يتركز على مفهوم التغيير واسسه واهدافه ونظرياته بصورة عامة ذلك ان مثل هذا الامر عالجته وتعالجه كتب ودراسات ومقالات متخصصة ، الذي اعتقده ان نقاشنا يجب ان يتركز حول مفهوم التغيير واسسه واهدافه ونظرياته بالنسبة لمجتمعنا العربي .

د. سري : اود ان ابدأ بمحاولة لتعريف التغيير في رايي ، فان اي انحراف عن الماضي يعتبر تغيرا . يتوقف اتجاه التغير هذا على مفهومنا للتقدم الاجتماعي والتأخر الاجتماعي . فالتقدم الاجتماعي هو تغير او انحراف عن الماضي ولكن تجاه اهداف محبذة . اما التاخر فهو تغير ولكن تجاه اهداف غير محبذة .

د. ربحي : ان الصعوبة في اعطاء تعريف دقيق تكمن في تحديد المعيار او المقياس الذي سنستخدمه في تقييم الانحراف عن الماضي . اذ ان بعض التغير (الانحراف عن الماضي) يعتبر بالنسبة للبعض تقدما وبالنسبة للبعض

---

* عميد كلية الاقتصاد والتجارة بالجامعة الاردنية .

* روعي في تحرير هذه الندوة النص الاصلي ، بحيث جاءت وقائعها المنشورة هنا مطابقةللنص الاصلي كما ورد في شريط التسجيل المحفوظ في ارشيف المجلة ، وكان ذلك احيانا على حساب انسياب اللغة وسلاستها .

* استعمل « تغير » و « تغيير » في هذه الندوة ليعطينا مدلولا واحدا على الرغم من التغير اعم ، فهو يشير الى اي انحراف عن الماضي ، اما التغيير فهو عملية موجهة ومقصودة .

الاخر تاخرا . فما هو هذا المعيار الذي يمكننا استخدامه في تقييم التغيير ومعرفة اتجاهه ؟ .

دكتور كامل : نرجو من الدكتور سري ان يوضح لنا هذا المعيار ضمن التعريف الذي قدمه مسبقا .

د. سري : لكل مجتمع اهداف معينة ، وبالتالي فان مفهوم التقدم والتاخر يختلف من مجتمع الى اخر ، لكن هناك اتفاق على بعض الخطوط العريضة في كل المجتمعات ، فالتطور يعتبر تقدم ، بمعنى ان يطور الانسان حياته ويستعمل اساليب جديدة في حل مشاكله . ولكنني اعتقد ان التغيير المخطط المنظم هو جزء من العملية الديموقراطية بحيث يكون هناك اتفاق بين افراد المجتمع حول « ماذا نريد » .

د. ربحي : هنالك جانبان للتغير : احدهما يتعلق بالاهداف والاخر يتعلق بالوسائل . والجانب الاعمق والاهم هو جانب الاهداف والغايات لانه يتعلق بفلسفة المجتمع وطريقته في الحياة ، اذ ليس من السهل تغيير نظرة المجتمع للامور واهدافه وتقاليده بينما يسهل نسبيا تغيير الوسائل والاساليب التي تستخدم في تحقيق الاهداف .

د. كامل : ما هو راي الدكتور سعيد ؟

د. سعيد : التغيير ، كما اوضح الدكتور سري ناصر باختصار ، هو انحراف عن الماضي ، ويعتبر هذا التغيير الاجتماعي تقدما اجتماعيا حقيقيا وليس ظاهريا اذ قام على اسس ومبادىء مدروسة وسعى لتحقيق اهداف محددة . اما التغيير الذي لا يقوم على اسس ومبادىء مدروسة ولا يسعى ، بناء على هذه الاسس والمبادىء ، لتحقيق اهداف محددة فلا يعتبر تقدما اجتماعيا حقيقيا لا بل يمكن اعتباره تشويها لواقع المجتمع . ان قطاعات كبيرة من مجتمعنا العربي قد اصابها مثل هذا التشويه الذي يعتقده البعض انه تقدما اجتماعيا .

د. سري : نحن نتكلم هنا عن مصادر التغير . منها مصدر طبيعي ، اي ان التغير حاصل تلقائيا سواء اردنا او لم نرد . ولكن المهم ان نقود هذا التغير ونوجهه . وهناك مصادر اخرى كالتعليم مثلا فالذي يتعلم يحاول احداث تغيير في مجتمعه . وكذلك هناك مصدر اخر وهو الاختراع . والاختراع نوعان مادي وفكري ، فالشيوعية مثلا اختراع فكري ، اما الطائرة فهي اختراع مادي .

د. كامل : اريد ان اضيف مصدرا اخرا هاما للتغيير وهو الاحتكاك مع مجتمعات او قوى خارجية والذي يؤدي احيانا الى التقليد .

د. ربحي : قد يكون من المفيد هنا أن نميز بين نمطين من التغير وهما التغير الطبيعي التلقائي الذي يحدث بطبيعته سواء رغبنا أم لم نرغب ويطلق عليه احيانا اسم تغير . أما التغيير فهو التغيير المخطط المنظم الذي نستطيع ان نضبطه ونوجهه ــ اي انه تغيير مقصود . وهذا هو التغير الذي نحن بصدده في هذه الندوة .

د. كامل : نعم ، فهناك تغيير عفوي وتغيير مقصود ومدروس .

د. سري : عندما نفهم الاسس والطرق التي يقوم عليها التغير وعندما نقوده فانه يصبح تقدم .

د. سعيد : ارغب أن أعقب على ملاحظة الدكتور ربحي الحسن حول التغيير الاجتماعي المقصود وأقول أن التغيير الاجتماعي المقصود هو التغيير الذي يقوم على اسس ومبادىء ويسعى بناء على هذه الاسس والمبادىء لتحقيق اهداف معينة . ان الاسس والمبادىء والاهداف هي التي بالتالي تحدد الوسائل والاساليب ، ان بعض الاساليب والوسائل التي يعتقد البعض أنها تحقق الاهداف بكفاية وسرعة مرفوضة لانها قد لا تتفق مع مبادىء التغيير . فعلى سبيل المثال ، ان استخدام القسر في احداث التغيير الاجتماعي مرفوض لانه يقوم على اساس غير ديمقراطي ومع أنه يحقق التغيير المقصود بسرعة الا ان نتائجه الاجتماعية غير مرغوب فيها وغير محمودة العواقب .

د. كامل : في اطار المبادىء والاسس والاهداف التي تكلم عنها الدكتور سعيد ، ما هو دور التربية في احداث التغيير في المجتمع العربي ؟ .

د. سعيد : هنالك وجهتا نظر بالنسبة لدور التربية في التغيير الاجتماعي . وجهة النظر الاولى تعتقد ان التربية تساهم مساهمة رئيسية مع المؤسسات الاجتماعية الاخرى في وضع أسس ومبادىء التغيير وأهدافه كما تلعب بالاضافة الى ذلك دورا رئيسيا في تحقيق التغيير من خلال وظيفتها التعليمية التعلمية . أما وجهة النظر الاخرى فتعتقد أن دور التربية مقتصر على أنها احدى الوسائل الرئيسية التي تلعب دورا أساسيا في تحقيق التغيير . فاذا ما تحددت أسس التغيير ومبادئه وأهدافه فتقوم المؤسسة التربوية بتطوير مناهجها وفقا لابعاد التغيير المرغوبة ومن خلال تفاعل المتعلمين مع هذه المناهج ــ وهو ما يصطلح عليه بالعملية التعليمية التعلمية ــ تلعب المؤسسة التربوية دورها في عملية التغير الاجتماعي .

هنا يجب أن اشير الى الدور التربوي الذي يمكن أن تلعبه وسائل الاتصال كالصحافة والاذاعة والتلفزيون في التغيير الاجتماعي فهذه الوسائل

يمكن ان تكون اداة دعم للمدرسة في تحقيق التغيير الاجتماعي المرغوب اذا ما جمعتها خطة عمل واحدة ، ومن جهة اخرى يمكن لهذه الوسائل أن تكون اداة هدم وتشويه لما تقوم به المدرسة اذا لم تجمعها مع المدرسة خطة واحدة . ان اغلب قطاعات مجتمعنا العربي لا يفتقر فقط الى اسس ومبادىء واهداف للتغيير الاجتماعي الذي تنشده فحسب بل يفتقر ايضا الى سياسة التنسيق بين مؤسساته العاملة للتغيير وفي اغلب الاحيان تهدم بعض المؤسسات ما تبنيه المؤسسات الاخرى .

د. ربحي : ان التركيز على الجوع والفقر والمرض لا يشكل الا جانبا واحدا فقط من الحاجات الانسانية ، وهي في الواقع أدنى مستوى من الحاجات ولكن هناك حاجات اخرى اسمى واكثر اهمية كالحاجة الى اعطاء الفرد فرصة ليعبر عن نفسه ويحقق ذاته .

د. كامل : لا بد ان نتطرق هنا الى فلسفة نظام التعليم وفلسفة النظام السياسي كذلك . وبالتالي لا بد ان نتطرق ايضا الى حدة التغير اي سرعته واتجاهه .

د. سري : يجب أن لا ننسى عندما نتكلم عن التغير المخطط ان التغير هو سنة الحياة ، وان جانبا كبيرا من التغير في الوطن العربي هو نتيجة التغير الطبيعي ، لذلك فانني أقترح أن نركز على فهم طبيعة عملية التغير ، وعندها تكون في موقف أفضل لضبطها وتوجيهها نحو اهداف معينة . اذا كنا نريد أن نغير الانسان العربي ، فيجب ان نسأل أولا ماذا نريد في انساننا العربي ، ما هو نوع الانسان العربي الذي نريده ؟ ثم بعد ذلك كيف نتوصل الى هذا الهدف .

في رايي فان الانسان العربي حاليا فاشل ، اي ان صناعة الانسانالعربي في القرن العشرين بتحدياته الموجودة صناعة فاشلة وبالتالي يجب ان نعرف أولا ما هو نوع الانسان الذي نريد صناعته ثم نركز على المؤسسات التي تصنع الانسان كالاسرة والمؤسسة التعليمية وغيرها . يجب أن نبدأ أولا بالانسان وحاجات الانسان وكيف كانت تشبع حاجات الانسان .

د. كامل : أود أن اجيب على الشق الاول من سؤالك ، وهو ماذا نريد من انساننا العربي . نريد أولا ان نعتقه من الجوع والفقر والمرض وهي الحاجات الاساسية ، ثم نريد ان نحقق له كرامة شخصية ، ومن ثم كرامة وطنية .

د. ربحي : يجب أن ننظر الى التعليم نظرة اوسع تتجاوز تزويد الفرد بالمعلومات وتكسبه خبرات وتجارب تؤدي الى تغيير سلوكه ، وبالتالي تزيد

من قدرته على التأقلم والتكيف وعلى مواجهة متطلبات الحياة والسيطرة على بيئته .

د. سري : انا لا اريد ان أعطي الانسان العربي سمكة ليأكلها هذه الليلة بل اريد ان اعلمه الصيد حتى يأكل طول حياته وليس ليلة واحدة فقط . انا ارى ان الانسان العربي اتكالي ، فهو يتكل ـ دون ان يبذل جهدا ـ على الله وعلى ابناء عائلته وعلى الدول في حل مشاكله . وبالتالي يجب ان نستنبط الوسائل التي تساعد على القضاء على الاتكالية وغرس قيم جديدة بعيدة عن الاتكالية .

د. كامل : يجب ان نفسح المجال للانسان العربي حتى يحقق انسانيته ويشارك في كافة مؤسسات المجتمع من الاسرة الى المؤسسة التعليمية الى المؤسسات السياسية .

د. سعيد : عند الحديث عن تحقيق التغيير في المجتمع العربي من خلال خطة تغيير ذات اسس ومبادىء واهداف محددة يجب ان نؤكد مرة اخرى ان هذه الاسس والمبادىء والاهداف يجب ان تنبعث جذورها من ثقافتنا العربية الاصيلة . بالطبع هذا لا يعني بأية حال من الاحوال عدم استفادتنا من التجربة الانسانية بجميع ابعادها . ان الحضارة العربية الاسلامية التي كانت حضارة العصر في القرون الوسطى تميزت بشخصيتها العربية الاسلامية المتميزة من جهة وباستفادتنا من تجارب الامم المعاصرة لها آنذاك . في الوقت الحاضر نحن نتطلع الى ان نعيش في مجتمع عربي تقدمي تتوافر فيه الديمقراطية والحرية والعدالة الاجتماعية ومتحرر من الفقر والجهل والمرض والاستغلال والاحتكار . واحب ان تبرز هنا كلمة مجتمع عربي لان التغيير والتطور الذي ارغب ان يتحقق في مجتمعنا يجب ان يكون في اطار ثقافتنا القومية وتراثنا الحضاري . فانا شخصيا لا ارغب ان اعيش في مجتمع تقدمي تتوافر فيه الديمقراطية والحرية والعدالة الاجتماعية ومتحرر من الفقر والجهل والمرض والاحتكار والاستغلال وغير عربي بأية صورة من الصور .

ان مبادىء واسس وأهداف التغيير تشتق من فكر المجتمع الوطني واذا صح التعبير فان (مجتمعاتنا) العربية تتبنى حقيقة او ضمنا افكارا بعضها متباين تباينا كبيرا . بعض المجتمعات العربية تتبنى الاسلام كفكر ونظام حياة وفي المقابل تتبنى مجتمعات أخرى الماركسية اللينينية وبين هذه وتلك تقع افكار المجتمعات العربية الاخرى وهذا يعني ان مبادىء واسس واهداف التغيير سوف تكون ، اذا ما وضعت في الوقت الحاضر ، متباينة وهذه بالتالي ، اذا ما طبقت ، سوف تخلق (مجتمعات) عربية . لذلك فانني

احمل المفكرين العرب في جميع ارجاء الوطن العربي مسؤولية تطوير فكر قومي عربي تتسم بالاصالة والمعاصرة . فهو اصيل اذ ينبع من تراثنا العربي وهو معاصر اذ يستفيد من تجارب جميع الامم وخبراتها . ان هذا الفكر سوف يكون الضمان الاساسي لاحداث التغيير والتطوير المرغوبين في مجتمعنا العربي الواحد باعتبار ما سيكون .

د. ربحي : حتى يكتب لجهود التغيير في الوطن العربي النجاح يجب أن تكون اصيلة أي منبثقة عن ثقافة المجتمع العربي وضمن اطار بيئته المادية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية . من هنا فان علينا أن نفهم طبيعة مجتمعنا العربي عن طريق دراسة علمية تحليلية لاوضاعه ومختلف جوانب بيئتـــه .

د. كامل : من هنا يتوجب على الدول العربية وعلى المثقفين العرب بشكل خاص ان يحاولوا خلق مفاهيم مشتركة بين مختلف الانظمةوالمجتمعات العربية .

د. سعيد : غياب فكر وطني عربي واحد لا يعني تحديد التحرك نحو تطوير مبادىء واسس واهداف لتغيير المجتمع العربي وتطويره . فمع التباين في افكار الحكم في الوطن العربي فان هنالك جوانب كثيرة مشتركة . من جهة أخرى ، هنالك تطلعات واحدة مشتركة على اساس هذه الجوانب والتطلعات المشتركة بين (مجتمعاتنا) العربية يمكن أن تبني مبادىء واسس واهداف مشتركة للتغيير والتطوير في المجتمع العربي . فعلى سبيل المثال ان (مجتمعاتنا) العربية بدون استثناء تتطلع لاحداث تغيير يؤدي الى توفير الحرية والديمقراطية والكرامـة والعدالة للانســان العربـي . وجميـع (مجتمعاتنا) بدون أي استثناء تتطلع أيضا لاحداث تغيير لتحريرها من التسلط والاستغلال والاحتكار والفقر والجهل والمرض . ان الحوار يجب أن يتركز ايضا على السؤال التالي : كيف يمكن جعل هذه التطلعات اهدافا حقيقية لمجتمعاتنا وما هي الاساليب والوسائل لتحقيق هذه الاهداف . ؟

د. سري : ان التغير الذي حدث من وقت قيام الاسلام الى الان هي تغيرات كبيرة ، وهذا لا يعني أنه ليس للدين دور كبير في التغيير ، بل يجب أن نأخذ من تراثنا الاشياء التي تساعدنا على اشباع حاجاتنا وحل مشاكلنا وكذلك الاستعانة باي شيء جديد توصلت اليه الانسانية لحل مشاكلنا واشباع حاجاتنــا .

د. كامل : هذا يعني انه يجب علينا أن نكون انتقائيين بحيث نختار بعض الامور التي تصلح لنا سواء كانت من ماضينا التاريخي وثقافتنا أم من الافكار والمفاهيم السائدة في الوقت الحاضر .

د. سري : يجب أن لا ننسى اننا عرب ولنا شخصية مميزة : الدين واللغة والعادات وغيرها . ان تراثنا مليء بالاشياء المفيدة والايجابية . يجب أن نتمسك بمكونات تراثنا ونبني عليها ونضيف لها ما يتماشى مع واقعنا .

د. كامل : لا بد لنا اذن ان ندرس مجتمعنا وواقعنا وثقافتنا وان نتعرف على جيوب المقاومة التي تقف حائلا دون التغير المنشود . والسؤال هنا : ما هي معوقات التغيير في الوطن العربي ؟ .

د. سعيد : اصاب مجتمعنا العربي الركود والجمود خلال عصور الانحطاط التي عاشها خلال العهد العثماني . وعندما استيقظ من سباته العميق في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن وجد نفسه متخلفا تخلفا كبيرا عن امم العالم المتقدمة والمتحضرة . وفي لهفة اللحاق بمن سبقوه من امم العالم ، ونتيجة للجهل والتخلف ، اعتقد الانسان العربي ان الفكر الوطني للامم المتقدمة والتي حققت التغير والتطور قادر على تحقيق مثل هذا التغير في مجتمعه متصورا أن الفكر الوطني ينقل من مجتمع الى آخر ليطبق كما تنقل الآلة من بلد لتستخدم في بلد اخر . وعلى أساس هذا المبدأ جربت المجتمعات العربية ولا يزال بعضها يجرب أفكار الغير لتحقيق التغير والتطور ناسيا او متناسيا ان الفكر الذي يحقق التغير لا بد أن يكون فكرا وطنيا نابعا من تراث الامة العربية ومستفيدا من التجربة الانسانية اي فكر يتسم بالاصالة والمعاصرة .

د. سري : فعلا لقد فرض علينا الحكم العثماني سباتا عميقا ثم استيقظنا . حكمنا من دول غربية وبالتالي اضطررنا الى النظر الى ثقافتهم والاخذ منها ، فقد كانت منطقتنا محط أطماع الغزاة . ولكن علينا أن لا نكون سلبيين نتقبل ما يفرض علينا بل يجب ان نأخذ زمام المبادرة بأنفسنا في البحث عما نريد ليس فقط من تراثنا ولكن من واقعنا .

د. كامل : يجب أن نتذكر انه كان دوما في المجتمع العربي الاسلامي عنصر التغير موجودا . المهم هو خلق الاجواء المناسبة وتهيئتها لتدفع هذا التقدم وتنميته . فالآية الكريمة : « لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » تدل على وجود أسس قوية لتقبل التغيير وتشجيعه في الاسلام . فبالتالي يجب أن ننتقي من تراثنا ما يتناسب مع متطلبات التغيير دون أن نغض النظر عن الاشياء المعاصرة المناسبة لمجتمعنا .

د. ربحي : يميز العالم الاجتماعي الشهير كارل مانهايم بين رشد الغايات ورشد الوسائل . الاهم هو أن تكون الغايات والاهداف التي ننشدها في العالم العربي رشيدة ومنبثقة عن تراثنا وأمانينا ـ ولكن بالنسبة للوسائل

يمكننا ان نختار الوسائل التي تؤدي الى تحقيق هذه الغايات بكفاية وفعالية سواء كانت وسائل مستحدثة في مجتمعنا العربي او في مجتمعات اجنبية وبشكل خاص التكنولوجيا التي طورها الغرب بشكل متقدم . بعبارة اخرى نختار الوسيلة أو الاسلوب الذي يلائم أهداف التغيير في مجتمعنا ويتماشى مع ثقافتنا وبيئتنا . فالمشكلة الرئيسية التي نواجهها الان هي ضياعنا وعدم اتفاقنا حول الاهداف والغايات وليس الوسائل . بعبارة أخرى : أين نريد أن نكون وماذا نريد للانسان العربي أن يصبح ثم بعد ذلك كيف نصل الى هناك وكيف نحقق هذه الاهداف . ؟

د. كامل : ان هذا الموضوع هو موضوع الساعة وهو من الواجبات الملقاة علينا كبشر وكمثقفين بشكل خاص . السؤال الذي اود طرحه هو : ما هو المطلوب كي يتحقق التغير المقصود ، وما هي اهدافه واتجاهاته ؟

د. سري : هنالك حاجات أساسية عند الانسان ، وكذلك حاجات نفسية وحاجات اجتماعية ، وهذه الحاجات غير مشبعة في الوطن العربي . فلو بدانا في تحديد اهدافنا من منطلق الحاجات وهي أن الانسان العربي جائع ، وعنده حاجات للحرية والعدالة الاجتماعية والمشاركة واشباع الافكار الذاتية ــ هذه كلها حاجات أساسية غير متوفرة للانسان العربي ، لذا فانا أطالب باشباع هذه الحاجات حتى يحقق الانسان العربي انسانيته .

د. ربحي : قد يكون من المفيد هنا ان نحدد الاطار النظري للحاجات كما وضعه العالم مازلو الذي وضع سلما للحاجات وميز فيه بين خمسة مستويات من الحاجات : المستوى الاول هو الحاجات البدنية الفسيولوجية كالحاجة الى الطعام والشراب والجنس . والمستوى الثاني حاجات الامن والاستقرار اي أن يشعر الانسان أنه آمن على نفسه من المخاطر وعنده شعور بالاستقرار. والمستوى الثالث هو حاجات اجتماعية وهي حاجات الانتماء والتقدير الاجتماعي . والمستوى الرابع هو حاجات نفسية وهي الحاجة الى احترام الذات والمركز والشهرة وتقدير الاخرين . اما أعلى مستوى من الحاجات فهو حاجة تحقيق الذات أو السمو النفسي اي أن يستغل الانسان مواهبه وطاقاته الى أقصى حد يمكنه الوصول اليه . وهذه الحاجات مرتبة في سلم هرمي بحيث تأتي الحاجات الاساسية (المستوى الاول) في ادنى الهرم ، ولا تبرز الحاجة في اي مستوى بشكل واضح الا اذا اشبعت الحاجات في المستويات الادنى ، فلا يستطيع المرء أن يفكر في حاجاته الاجتماعية او حاجة تقدير الاخرين له وبطنه خاو أو عندما يكون واقعا تحت تهديد أو خطر .

وبالتالي يجب ان نركز اولا على اشباع الحاجات الاساسية للانسان العربي كالطعام والملبس والمسكن حتى نستطيع ان نحرره منها ونسمو به الى المستوى الاجتماعي والنفسي .

د. سري : يبقى المرء عبدا لحاجة لا يشبعها حتى يشبعها وبالتالي يتحرر منها ويرتقي الى حاجة اعلى منها . ولكن هذا لا يعني أن نقصر اهتمامنا على الحاجات البيولوجية والاقتصادية فقط .

د. سعيد : التغير ، كسنة وكحقيقة ، يمكن ايضا تعريفه بانه محاولة لتطوير وسائل واساليب افضل لاشباع حاجات الانسان الجسمية والنفسية والاجتماعية التي ذكرها الدكتور ربحي واكد عليها الدكتور ناصر . ان المشكلة ليس في تحديد هذه الحاجات ولا في تحديد وسائل افضل لاشباعها بل اعتقد أن الحديث يجب أن يتركز حول المبادىء والاسس والاهداف التي تحكم هذا التغير اي الوسائل والاساليب الافضل والاكفأ التي تشبع حاجات الانسان ان السكن حاجة لكل مواطن وتشبع هذه الحاجة بايجاد سكن مناسب له . ان نسبة كبيرة من مهندسينا اعتقد أن السكن الذي يعيشه الانسان الامريكي على سبيل المثال ، يمكن اعتباره سكنا متطورا لانساننا العربي ليعيش فيه بدلا من سكنه التقليدي ، وعلى هذا الاساس طورت مساكننا الحديثة . ان المسكن الامريكي يتلاءم مع الحياة الامريكية وهو لا يتلاءم مع الحياة العربية واصولها وتقاليدها وبالتالي فهو غير ملائم لنا ملائمة تامة لنعيش به . ان السكن العربي يجب أن يبنى على أساس تراثنا المعماري ليعكس شخصيتنا الحضارية ويجب أن يتفق ايضا مع تقاليدنا وعاداتنا كما يجب أنيستفيد من التجربة الحضارية الامريكية وغير الامريكية في بناء المساكن . بعبارة أخرى يجب ان نكون مطورين بابداع لتراثنا مستفيدين من تجربة الاخرين وخبرتهم . ان هذا المثال يمكن تعميمه على جميع نواحي التغير التي حصلت في عالمنا العربي .

د . سري : أنا اوافق مع الدكتور سعيد ان التراث هو الاساس ، اذ بدونه تفقد الشخصية العربية مقوماتها الاساسية . ولكنني اود أن اطرح الفكرة التالية : وهي اننا اذا استطعنا أن ننسق بين الانسان والمصادر والمعرفة فاننا نستطيع أن نصل الى نوع من القوة الذاتية في فهم التغير والتراث وتوجيه التغير بالاتجاه الصحيح . ولكننا فشلنا في أن نضع هذه العناصر الثلاثة لتعمل سويا وبانسجام . ان المشكلة الرئيسية الان هي ان القيادات السياسية في الوطن العربي اهملت تطوير القطاع السياسي ، فبرامج التنمية في الوطن العربي تخطط للتقدم الاقتصادي ولتنمية التعليم وغير ذلك من القطاعات،

ولكن المؤسسة السياسية لا تزال متأخرة ، وبالتالي تحدث فجوة بين تطور هـذه القطاعـات .

د . كامل : يجب ان تكون عملية التغيير عملية متكاملة تنسجم فيها جهود التغيير في كافة القطاعات خوفا من حدوث عدم اتزان في حياة المجتمع ، وبالتالي فاننا يجب أن نتعرض هنا الى انماط أو انواع التغيير .

د . ربحي : هنالك عدة أنماط وانواع من التغيير حسب المعيار الـذي نستخدمه في تصنيفها . فلو اخذنا درجة شمول التغيير فان هنالك تغييرا جزئيا يقتصر على قطاع أو عدد من القطاعات فقط وكذلك هناك تغييرا شاملا يغطي كافة القطاعات . والخطورة في التغيير الجزئي هو انه يخلق نوعا من عـدم التوازن حيث تكون بعض القطاعات متطورة والاخرى متخلفة وينجم عن ذلك ان القطاعات المتخلفة قد تعيد القطاعات المتطورة الى الوراء . فلو انشأنا شبكة طرق حديثة دون أن يرافق ذلك قوانين وانظمة سير متطورة ووعي لدى السائقين وصيانة مستمرة لتدهورت هذه الطرق خلال فترة زمنية بسيطة . أما اذا اخذنا عمق التغيير كمعيار فيمكن أن نميز بين التغـيير السطحي الظاهري الذي يقتصر على القشور والشكليات وبين التغيير العميق الجذري الذي يتجاوز القشور ويصل الى اللب أو الجوهر ، وهو في هذه الحالة انماط السلوك والعادات والتقاليد التي يقوم عليها المجتمع . ولو أخذنا سرعة التغيير كمعيار لاستطعنا أن نميز بين التغيير السريع والتغيير البطيء . ولو اخذنـا موضوع التغيير لاستطعنا ان نميز بين التغيير المادي التكنولوجي والتغـيير المعنوي النفسي والاجتماعي . بالاضافة الى ذلك فهناك تقسيم لانواع التغيير على اساس جغرافي : فبعض أنواع التغيير تصيب مناطق معينة دون غيرها وبشكل خاص المدن في الوطن العربي على حساب الارياف والبوادي مما يخلق نوعا من عدم الاتزان ويجعل الناس يقبلون من الريف والبادية الى المدينـة بسبب ارتفاع مستوى الحياة في المدن ووجود الخدمات فيها .

د . كامل : يجب أن نميز ايضا بين أنماط التغير على اساس عقائدي او ايديولوجي فهناك تغير ماركسي يركز على الدولة والقطاع العام ، وتغـير ليبرالي يركز على حرية الفرد والسوق ، وتغير مخطط يجمع بين النقيضين . هذا بالاضافة الى اسلوب التغير ــ ثورة أم تطور طبيعي تدريجي .

د . سري : هنالك خطورة في التغير التطوري البعيد عن العنف ، اذ يجب أن يكون التغيير متطورا في كافة القطاعات ، وبشكل خاص في المؤسسـة السياسية ، والا فالبديل قد يكون هو التغير الثوري .

د . سعيد : انني لا اتفق مع الدكتور سري في هذا الموضوع فالمؤسسة السياسية وغيرها من المؤسسات يجب أن تلتزم باطار فكري واحد . والتغير المرغوب لمجتمعاتنا العربية لا يمكن أن يتحقق ما لم يقبل فكر محدد لتوجيه هذا التغير . وفي رايي فان الفكر الذي يجب ان يحكم هذا التغير هو الفكر الوطني العربي وهو فكر ، كما ذكر اكثر من مرة ، نابع من تراثنا الحضاري وهو بذلك يتسم بالاصالة ومستفيد من التجربة الانسانية بجميع ابعادها وهو بذلك يتسم بالمعاصرة . للاسف الشديد لم تبذل حتى الان اي محاولة جدية في اي بلد عربي لتطوير فكر وطني عربي ولا زلنا في هذه المجالات وفي أغلب الاحيان نعتمد وبصورة رئيسية على الغير وعلى ما يستنبط لمعالجة مشاكلنا وتحديد مواقفنا . ان مثل هذا الفكر الوطني المأمول هو الذي يحدد الاوليات كما يحدد الوسائل والاساليب .

د . سري : نحن الان نعيش في مجتمع سلطوي فاذا أردنا ان يلعب الفكر دورا هاما في حياتنا ، يجب أن يتوفر له الحرية للتعبير عنه ، ولكن لا يوجد حرية في مؤسساتنا في الوطن العربي ، سواء كانت مؤسسات سياسية اواجتماعية .

د . كامل : منذ ان بدأنا نستيقظ من سباتنا ، نجد ان هناك بعض التطور الفكري والتطور المادي الملموس . وقد حدث هذا التطور في بعض مؤسسات المجتمع ولكن ليس في المؤسسة السياسية . وهنا فانني اتفق مع الدكتور سعيد في ضرورة وجود فكر وطني عربي اصيل ومعاصر والتعامل مع مشاكل حياتنا بطريقة منطقية عقلانية وعلمية .

د . سري : ان المتطلب الاساسي لمثل هذا الفكر وجود حرية سياسية وحصانة تساعد على نمو هذا الفكر وتشجعه .

د . كامل : اذا نظرنا الى مؤسساتنا السياسية ، نجد أنه حصل تأخر ، ففي العشرينات والثلاثينات كانت هناك محاولات لاشراك الناس في الحكم وافساح المجال لهم للتعبير عن انفسهم ، ولكن في الاربعينات والخمسينات والستينات فهناك سلسلة من التأخر السياسي والنزعة الدكتاتورية في الحكم .

د . سعيد : ان الواقع السياسي وما يوفره من حرية راي عامل مهم في تطوير الفكر الوطني العربي ولكن السبب في عدم تطوير هذا الفكر ليس فقط في التسلطية وغياب الحرية بل في عدم اهتمام المفكرين العرب لسبب لا أستطيع تحديده في تطوير فكر وطني عربي . فعلى سبيل المثال ان التسلطية وغياب الحرية لم تمنع بعض المفكرين العرب الذين التزموا بفكر اعتبرته السلطات فكرا متطرفا في اغلب الاقطار العربية من الدعوة لافكارهم مع ما يترتب على هذه الدعوة من مخاطر ومشاكل .

د . ربحي : بالاضافة الى الفكر العربي الاصيل ، فان عملية التغيير تحتاج الى حوافز ورغبة حقيقية في التغيير . وهذه تنبثق عن اتجاهات الافراد وقيم المجتمع والتي تلعب المؤسسة التربوية والعائلة دورا أساسيا فيتطويرها . ولكن نظام التربية والتعليم في عالمنا العربي لا يزال يقوم على التلقين والحفظ أكثر من تنمية قدرة المتعلمين على التفكير المستقل والتحليل والمنطق . كذلك فان العائلة العربية عائلة سلطوية تربي في ابنائها الخنوع والخضوع بدلا من الاستقلال والاعتماد على النفس .

د. سري : لا يزال مفهوم الراعي والغنم هو المفهوم السائد في مجتمعنا العربي بكافة مؤسساته وبشكل خاص في المؤسسة السياسية وبالتالي فان علينا أن نبحث عن وسائل واساليب لتنمية حرية الفرد واعطائه فرصة للتعبير عن نفسه . ويجب أن أؤكد هنا على الحرية المسؤولة وليس الحرية الفوضوية .

د . كامل : اننا نتكلم هنا عن معوقات التغيير أو الحواجز التي تحول دون عملية التغيير أو تعيقها أو تحولها عن مسارها الصحيح . ما هي هذه المعوقات في العالم العربي ؟

د . سعيد : من ناحية نظرية هنالك بعدان لمعوقات التغير : الاول بعد نفسي ، فالانسان بطبيعته وبشكل عام يحاول المحافظة على الاوضاع التي تعود عليها والتغير بالنسبة له يعني البعد عن ما الفه وهذا يتطلب منه تعلما واعادة تأقلم . أما البعد الثاني لمعوقات التغيير فهو عدم وضوح أسسه ومبادئه وأهدافه . ان وضوح الاسس والمبادىء والاهداف يخفف من اثار العائق النفسي ويقلل من آثاره . ان سلبية بعض قطاعات المجتمع العربي للتغير ومقاومة بعض هذه القطاعات لهذا التغير كانت بصورة رئيسية بسبب عدم اتساق هذا التغيير مع تراثهم الحضاري وعدم وضوح مبادئه واسسه وأهدافه .

د . ربحي : انا اتفق مع الدكتور سعيد على عدم وضوح الرؤيا كمعوق للتغيير . ولكن هنالك معوقات اخرى ، منها : عدم توفر المعلومات الدقيقة المنبثقة عن دراسات علمية موضوعية لاوضاعنا ، وكذلك عدم توفر الامكانيات سواء كانت مادية أو تكنولوجية أو قوى بشرية ، بالاضافة الى عدم وجود اتجاهات ايجابية تؤمن بالتغيير وتوجهه في الطريق الصحيح . فمن الناحية الاولى (عدم توفر المعلومات) كأن الفرد يقول : لا اعلم ، ومن الناحية الثانية (عدم توفر الامكانيات) يقول : لا استطيع . أما من الناحية الثالثة (الاتجاهات) ، فالفرد هنا لا يرغب في التغيير لانه غير مؤمن به وغير مقتنع

بجدواه . لذا فان البحث العلمي والتربية الصحيحة تساعدان بشكل كبير في دفع عجلة التغيير خاصة مع توافر الامكانيات الهائلة في الوطن العربي .

د . سري : اريد ان اضيف عاملا آخر ، وهو عدم وضوح دور الفرد في المجتمع ، اي الالتباس في معرفة حقوق ومسؤوليات الفرد في المجتمع ، وهذا ناجم عن تقصير في تدريبه وتنشئته الاجتماعية . ما هو دور الفرد في الاسرة وفي المجتمع ؟ نلاحظ كثيرا أن الفرد العربي يلعب عدة ادوار دون أن يعرف ما هو دوره الحقيقي . فالعمل الجماعي والتعاون فن ، وهو شبيه بالعملية الجراحية التي يتعاون فيها الجراح مع المرضة ومع المساعدين الاخرين . نحن لا نفهم أدوارنا في العمل الجماعي بشكل دقيق . وهذا في رايي عائق كبير جدا لعمليات التغيير والتطوير .

د . سعيد : ان كل النقاط التي ذكرت هامة ولكن في اعتقادي يبقى المعوق الاساسي للتغيير في الوطن العربي هو غياب الفكر الوطني العربي الموجه والمنظم لهذا التغيير وهنالك دلائل واقعية تثبت هذا الراي . ان بعض البلدان التي طورت فكرا وطنيا اصيلا منتظما وموجها لها وللتغيير فيها حققت تقدما ما يفوق كثيرا التقدم الذي حققته البلدان المناظرة لهذه البلدان من حيث الامكانيات والتي لم تستطع لسبب من الاسباب تطوير فكر وطني اصيل خاص بها .

د . كامل : من اين ينبثق هذا الفكر ؟

د . سعيد : بصورة عامة أعتقد ان جميع المواطنين مسؤولون عن تطوير الفكر الوطني . بالطبع من ناحية عملية هذا الامر غير ممكن ، لهذا يجب أن تناط مسؤوليته بلجنة خاصة من المفكرين والمختصين والسياسيين لوضع مشروع الفكر الوطني ليطرح بعد وضعه على المواطنين بوسائل الاعلام المختلفة لمناقشته ، ثم يطرح بعد ذلك على التصويت العام لاقراره ليصبح وثيقة شرعية معترفا بها .

د . سري : ولكن المتطلب الاساسي لذلك هو السماح للمواطن بالتعبير عن نفسه بحرية عن طريق كافة وسائل الاعلام كالصحف والتلفزيون والراديو .

د . كامل : ان التخلف السياسي موجود في مجتمعنا العربي ، ولكن حيرة المثقف نفسه زادت من هذا التخلف . يضاف الى ذلك عدم وضوح الرؤيا أمام القيادة السياسية . وبالتالي فان الجو بشكل عام غير ملائم لظهور مثل هذا الفكر .

د . سعيد : ولكن يجب الا ننسى أن الكثيرين من المفكرين العرب لايزالون يقدمون أفكارا غير عربية لمعالجة قضايا ومشاكل مجتمعنا العربي . ومثل هذه

الافكار لا تعالج معالجة حاسمة مثل هذه القضايا والمشـــاكل . ان المشكلة الرئيسية في زراعة الاعضاء البديلة في جسم الانسان ليست عملية الزراعة نفسها بل عملية جعل جسم الانسان يقبل العضو المزروع ليقوم بوظيفته . ان الافكار التي تقدم لخدمة تغيير المجتمع وتطويره لا يمكن أن تقوم بوظيفتها اذا كانت غريبة عن ثقافة المجتمــع .

د . ربحي : ان المدخل البيئي من المداخل السليمة المقبولة في عمليــات التغيير الاجتماعي — ففي المجال الاداري مثلا لا نستطيع ان نستورد أنظمة ادارية من بلدان غريبة عنا وتختلف بيئتها عن بيئتنا . فالنظام الغريب قد يكون سليما ومقبولا في البيئة التي نشأ فيها واستخدم فيها ولكنه لا ينجح بالضـــرورة في بلادنا . وبالتالي يجب تطويعه وتكييفه ليتماشى مع ثقافتنا وبيئتنا .

د . كامل : ان هذا الموضوع هام جدا ، وهنا فانني اتساءل هل يجب ان نستورد ما يتماشى مع بيئتنا وثقافتنا فقط ؟ . أنا أعتقد أنه يجب أن نخلق أنظمة عربية أصيلة من تراثنا وان نطوع ما نستورده ؛ ولكن يجب أن نحاول تغيير بعض قيمنا وعاداتنا اذا كانت لا تتماشى مع متطلبات التقدم والتطور .

د . سري : يتطلب النمو ان نتفاعل مع الثقافات الاخرى دائما ، لا يجوز أن نغلق الباب على أنفسنا ونرفض كل ما يأتي من الخارج دون تمييز .

د . كامل : يبقى سؤال اساسي وهو : ما هي استراتيجيات التغيير ؟ بعبارة أخرى ، ما هي الطرق والاساليب التي يمكننا أن نستخدمها في ادخال التغيير وتبنيـــــه ؟

د . ربحي : هنالك ثلاث استراتيجيات للتغــيير ، وهـــي : اولا ، الاستراتيجية العلمية المنطقية (Empirical - Rational) وهي تقوم على أساس الحقائق الموضوعية المجردة والمنطق العقلاني الرشيد . وهي تفترض أن العدو الرئيسي للتغيير هو الجهل والخرافات ، وبالتالي فان التغيير يقوم على أساس الدراسات العلمية والحقائق الموضوعية . ثانيا ، الاستراتيجية الموجهة المثقفة (Normative - Re - educative) وهي تقوم على أساس توعيــــة الافراد وتثقيفهم وتغيير اتجاهاتهم بحيث تكون ايجابية وتقبل التغيير وتؤمن به وتدعمه . وهنالك أيضا استراتيجية ثالثة تقـــوم على العنــف والقســـر (Power - Coercive) وهي تقوم على أساس القوة والتغيير باستخـــدام كافة الاساليب سواء كانت مقبولة من قبل الناس أم لا ، أي ان التغيير يفرض على الناس وينفذ بالقوة ويقضي على كل اشكال المقاومة . وفي رأيي فان هذه الاستراتيجية الثالثة غير مقبولة لانها لا تضمن ولاء الناس ودعمهم للتغيير .

والافضل هو المزج بين الاستراتيجية الاولى (العلم) والثانية (التوعية) .

د . **سري** : ترتبط هذه الاستراتيجيات بفرضية رئيسية وهي . ما هو الحق ؟ . في بعض المجتمعات الحق للدين وما ذكره الله على لسان الانبياء . وفي مجتمعات أخرى فان الحق موجود ويجب علينا أن نبحث عنه ، وبالتالي يجب ان يكون عندنا حرية فكر وحصانة حتى نتوصل للحق . وفي مجتمع ثالث فان الحق يكون ما كتبه كارل ماركس كالاتحاد السوفياتي .

د . **كامل** : ما راي الدكتور سعيد ؟

د . **سعيد** : اعتقد ان الاستراتيجية المناسبة لاحداث التغيير في مجتمعنا العربي يجب أن تكون محصلة للاستراتيجيات الثلاثة التي ذكرها الدكتـــور ربحي الحسن وهي استخدام العقل والمنطق واستخدام التوجيه والارشاد واستخدام السلطة على أن يكون استخدام كل جانب من هذه الجوانب في اطار مبادىء واسس واهداف التغيير . فعلى سبيل المثال ، اذا اراد المجتمع ان يطور الخدمات الطبية ووجد ان من المصلحة تأميم هذه الخدمات فان الاستراتيجية التي تنبع والتي هي محصلة الاستراتيجيات الثلاثة المذكورة تترجم على الصورة التالية من ناحية عمليـــــة :

اولا : يوضح من خلال المنطق والعقل اهمية تأميم الخدمات الطبيـــة وضرورتها من أجل تحسين الخدمات الطبية في المجتمع ورفـــع كفايتها ومنع الاستغلال والاحتكار واللاأخلاقية فيها .

ثانيا : يدعى الناس ويوجهوا من خلال وسائل الاعلام المختلفــــة الى مزايا وفوائد تأميم الخدمات الطبية .

ثالثا : توضع التشاريع المناسبة التي تمنع المعارضين لهذا الرأي من التغيير ولاولئك الذين يحاولون تفشيله لاغراض مختلفة .

د . **سري** : من الصعب تبول الاستراتيجيات الثلاث معا ، فالعقلانيـــة قد تخلق تضاربا بين الناس ، ما يقبله البعض يرفضه الاخرون ، وبالتالي فانه لا يوجد اتفاق عام على ما هو منطقي وعقلاني بين الناس .

د . **سعيد** : انني اتكلم عن عقلانية الجماعة التي تتولد نتيجة النقاش والحـــــوار .

د . **سري** : الديموقراطية تعني ان راي الاغلبية يسود ولكن مع الحفاظ على حق الاقلية في المعارضة . وبالتالي قد لا يوجد اجماع حول التغيير .

د . كامل : سوف الخص بعض الخطوط الرئيسية ، ومنها : أن يكـــون التغيير شاملا لكافة القطاعات كي لا يحدث عدم اتزان بينها ، وكذلك الحاجة الى تطوير فكر وطني عربي يجمع بين الاصالة والمعاصرة ، والنقطة الثالثـــة تركيز على أهمية دور المثقف في تطوير مثل هذا الفكر وعلى دور الدولة في دفع عجلة التغيير ، كذلك ان هنالك تركيزا على الدراسة العلمية الدقيقة لاوضاعنا واستخدام المنطق والعلم في التخطيط الموجود ، وأخـــيرا لا بد من مســـاندة المؤسسات التربوية والتعليمية والاعلامية لتلعب دورها في تثقيف النـــاس وتوعيتهم وجعلهم يتقبلون التغيير ويدعمونه .

وفي الختام اشكركم ايها السادة واشكر **مجلة العلوم الاجتماعيـــة** التي أتاحت لنا هـــذا اللقـــاء .

■ ■ ■

مراجعات بالعربية

د . توفيق فرح وفيصل السالم ، **مقدمة في طرق البحث في العلوم الاجتماعية** (الكويت : المطبعة العصرية ، ١٩٧٧) ، ١٩٥ صفحة .

د . عبد الاله ابو عياش *

هذا الكتاب كما يصفه المؤلفان محاولة لسد ثغرة في مناهج البحث في العلوم الاجتماعية . يتكون الكتاب من عشرة فصول بالاضافة الى الملاحق . ويمكن استعراض محتويات فصول الكتاب ليتسنى لنا تكوين فكرة عامة عن محتوياته .

فالفصل الاول عبارة عن موضوعات عامة عولجت بشكل سريع ومختصر . ويتضمن الفصل موضوعات عن المعرفة والعلم وطرق الحصول عليهما . ويشير المؤلفان الى ثلاث طرق للحصول على المعرفة . المعرفة عن طريق الحس المشترك . والمعرفة من المراجع المتخصصة ، والمعرفة الفلسفية . من النقاط الاخرى التي عالجها الفصل تعريف لمعنى البحث العلمي وكيفية تكوين النظريات والقوانين ، واهداف استخدام الابحاث سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية ، وسواء كانت من أجل مصالح عامة أو مصالح شخصية .

اما الفصول الاربعة التالية وهي الفصل الثاني والثالث والرابع والخامس فقد خصصت لموضوعات تتعلق بخطوات البحث العلمي . فالفصل الثاني يبتديء بمناقشة مشكلة البحث وكيفية اختيارها وتحديدها . ويعالج الفصل اربعة موضوعات رئيسية وهي اختيار مشكلة البحث ، والامكانات المتوفرة لاستقصاء عناصر المشكلة ، وكيفية معالجة المشكلة ، ثم علاقة المشكلة بما كتب ونشر عما يماثلها في الابحاث والدراسات المنشورة .

ولهذا يتضمن الفصل ارشادات لمجموعة من المصادر التي تحتوي على ابحاث منشورة يمكن أن يكون لها علاقة بالمشكلة المطروقة .

ويبحث الفصل الثالث موضوعات تتعلق بتصميم تجربة البحث ووضع الفرضيات والتعريفات الاجرائية . كما يتضمن هذا الفصل المقاييس المختلفة

---

* استاذ الجغرافيا بكلية الاداب في جامعة الكويت .

المستخدمة في ابحاث العلوم السياسية . وخصص الفصل الرابع لمناقشة موضوع العينات وكيفية اختيارها . ويركز الفصل على خطوات اختيار العينات بالطريقة العشوائية التي تعني اعطاء الفرصة لكل مفردة من مفردات المجتمع الاحصائي ان يقع عليه الاختيار بنفس الاحتمال الذي يعطى لبقية الافراد . ويشير الفصل في هذا المجال الى العينة العشوائية الطبقية والعينة المساحية. ومن الموضوعات الاخرى التي عولجت في هذا الفصل نظرية الاحتمـــالات واهميتها في انتقاء العينات واستخدام مستويات الدلالة ومستويات الثقـــة الاحتمالية لاختيار الفرضيات .

ويتضمن الفصل الخامس خطوات البحث العلمي المتعلقة بجميع البيانات عن طريق الاستبيان والمقابلة . ويوضح المؤلفان طريقة اعداد الاستبيـــان وخاصة فيما يتعلق بكيفية صياغة الاسئلة ، ثم اختبار مبدئي للاسئلة قبـــل المباشرة بعملية الاستبيان الشاملة . كما يعالج المؤلفان مشاكل الاستبيان ، ومنها تردد الاشخاص في الاجابة اما لاسباب شخصية او اسباب أخـــرى اجتماعية أو سياسية . بالاضافة الى ذلك يشير الفصل الى نوعين من الملاحظة العلمية : الملاحظة بالمشاركة والملاحظة بدون مشاركة . من الموضوعات التي اشير اليها ايضا تحليل المحتوى واختيار عينات الوحدات .

وبعد ان ينتهي المؤلفان من خطوات البحث العلمـــي ينتقلان الى مناقشة الاساليب الاحصائية في الثلاثة فصول التالية . فالفصل السادس خصص للاساليب الاحصائية المتعلقة بمتغير واحد . وهذه الاساليب هي التوزيعات التكرارية ومقاييس النزعة المركزية ومقاييس التشتت . ومقاييس النزعـــة المركزية التي اشير اليها في هذا الفصل هي المتوسط والوسيط . اما مقاييس التشتت فتركزت على المدى والتباين والانحراف المعياري .

اما الفصل السابع فقد خصص للاساليب الاحصائية المتعلقة بوصف العلاقة بين متغيرين . والاسلوب الرئيسي الذي عولج في هذا الفصل هو الارتباط . وعلى الرغم من أن هناك طرق مختلفة لقياس معاملات الارتباط ، الا ان الاهتمام الوحيد لهذا الفصل كان على اسلوب ارتباط الرتب . كما ان هناك اشارات سريعة الى الارتباط الجزئي والى اسلوب الانحدار .

ويتضمن الفصل الثامن النوع الثالث من الاساليب الاحصائية وهما تحليل العامل وتحليل السلاسل الزمنية . والموضوعات الرئيسية المعالجة في هذا الفصل عبارة عن تعريفات عامة للمعادلة الرئيسية في تحليل العامل ، والعوامل المشتركة والمنفردة والتدوير المتعامد للعوامل ، ثـم اتجاهـــات التغيرات في السلاسل الزمنية .

ويعني الفصل التاسع بأهمية الكمبيوتر في ابحاث العلوم السياسية . ويعطي امثلة للغات المستخدمة في التعامل مع الكمبيوتر . كما يبين اهمية البرامج الجاهزة التي لا يحتاج استعمالها معرفة بأي لغة من لغات الكمبيوتر. ويذكر المؤلفان أن أوسع البرامج استخداما في العلوم السياسية هي ما يطلق عليها ((SPSS)) .

اما الفصل الاخير فهو عبارة عن ارشادات عامة عن خطوات كتابة البحث . وتتضمن هذه الخطوات مشكلة البحث ، والفرضيات الرئيسية والتعريفات الاجرائية . كما يتضمن العينة والنتائج وتفسيرها .

تقييم ونقد

ليس من شك في ان المكتبة العربية بحاجة الى المزيد من الكتب المنهجية الخاصة بالبحث العلمي . وليس من شك في أن مستوى البحث في الجامعات العربية ما زال دون التطلعات الاكاديمية المطلوبة بكثير . وهذا الكتاب ليس الا محاولة لاعطاء طلبة العلوم السياسية طريق البحث العلمي الصحيح . وقد قدم الكتاب موضوعات مهمة في مجال البحث العلمي . ومن المؤكد ان مثل هذه الموضوعات مفيدة بل وضرورية لتوجيه الطلبة في محاولاتهم لكتابة الابحاث المطلوبة .

وأعتقد ــ حسب رايي الشخصي ــ ان الكتاب عبارة عن محاضرات تم تجميعها بشكل سريع . ويبدو أن عامل الزمن ورغبة المؤلفان في اخراج الكتاب بأسرع وقت ممكن ليكون في متناول الطلبة كانا مسؤولين عن تسرعهما في طبع هذا الكتاب . ولهذا ظهرت في الكتاب نواقص ، وحدث في بعض الاحيان الاخرى خلط بين المواضيع . فعلى سبيل المثال ، يتوقف المؤلفان في خطوات البحث العلمي عند المقابلة والاستبيان ، ولا يشيران الى الخطوات الاخرى المهمة والمكملة للبحث العلمي وهي تفريغ البيانات وتنظيمها بعد الاستبيان ، ثم تحليلها بالاساليب الاحصائية المختلفة ، ثم تفسير نتائج التحليل . وعلى الرغم من ان المؤلفان أعطيا ثلاثة فصول للاساليب الاحصائية التي هي اساس عملية التحليل العلمي الحديث ، الا انهما اغفلا الخطوات المشار اليها .

كما ان هناك خلط في بعض الفصول كما هو في الفصل الرابع حيث يناقش المؤلفان العينات ، ثم يقفزان الى مقاييس الثقة التي هي في الحقيقة اختبارات مستويات الدلالة او المعنوية (Tests of Significance) كما هي مستخدمة في كتاب الاحصاء .

كما أن هناك اشارة الى مربع كاى (Chi - Square) بدون ادنى محاولة لتوضيح المقصود من هذا (ص ٦٢) .

أما في معالجة الاساليب الاحصائية فاعتقد أن المؤلفان اما حاولا تبسيط الموضوعات فلم يذكرا الا القليل ، أو ان الموضوعات أكبر من قدرتيهما ، وفي كلتا الحالتين وضعا هذه الفصول في مأزق . وبالاضافة الى اهمال بعض الاساليب كالمنوال في مقاييس النزعة المركزية والانحراف الربيعي في حالة مقاييس التشتت ، فان بقية الموضوعات لم تكن واضحة بما فيه الكفاية . كما انها تفتقر الى الامثلة التوضيحية .

ويتضح المزيد من الخلط في الفصل السابع حيث تعالج أساليب الارتباط . والاسلوب الوحيد من أساليب الارتباط المستخدمة هو ارتباط الرتب . ويذكر المؤلفان ان هذه الطريقة هي أهم الطرق المستخدمة ، على الرغم من أن هناك أساليب أخرى مستخدمة بشكل أوسع مما هو في حالة الرتب . وحتى ارتباط الرتب فان طريقة استخدامه غير واضحة (ص ٩٨ ـــ ١٠٠) . ثم يناقشان الارتباط الجزئي والانحدار ، والحقيقة ان الارتباط الجزئي هو موضوع آخر يرتبط بأسلوب الانحدار وهو يختلف تماما عن فكرة معامل الارتباط .

وعندما يتحدث المؤلفان عن الانحدار والارتباط فانهما يخلطـــان بين الاسلوبين رغم وجود تشابه بينهما . يقول المؤلفان : « يستعمل حساب الانحدار للافادة من الارتباط في التنبؤ . وحساب الانحدار لا يختلف كثيرا عن حساب الارتباط البسيط الا في احتوائه على عدد من المتغيرات . الا أن معادلة الانحدار المتعدد قد اسيء استعمالها في العلوم السياسية . . . » (ص ١٠٨) .

والحقيقة أن الانحدار لا يستفيد من الارتباط في التنبؤ ، لان علاقة التنبؤ Prediction في حالة معادلات الانحدار هي علاقة دالية . وهي ليست كذلك في حالة الارتباط . كذلك فان الارتباط يمكن أن يحتوي على عدة متغيرات في آن واحد كما هو الحال في الانحدار .

أما بالنسبة لتحليل العامل ، فكل ما ذكر عنه لا يكفي لتكوين فكرة عامة عن ماهية أو أهداف هذا الاسلوب الاحصائي .

ان مثل هذه الاشارات العابرة والسرعة في تجميع محتويات الكتاب اربكتا موضوعاته وسببتا مثل هذه النواقص . ولا بد أن يعير المؤلفان الاهتمام الى مثل هذه الملاحظات في طبعات الكتاب القادمة .

وعلى الرغم من هذه الانتقادات التي يمكن أن توجه لكثير من الكتب العملية ، فان أحدا لا يستطيع أن يغفل الجهد المبذول في هذا الكتاب . كما ان أحدا لا يستطيع انكار اهمية الموضوعات التي عالجها والحاجة الماسة اليها في البحث العلمي في الجامعات العربية .

د . محمد عزيز شكري ، **الاحلاف والتكتلات في السياسة العالمية** (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٧٨) وعدد الصفحات ٢٥٠ .

مراجعة د . محمد يوسف علوان *

صدر أخيرا عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت كتاب بعنوان « الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية » من تأليف الدكتور محمد عزيز شكري استاذ القانون الدولي العام في جامعتي دمشق والكويت . والمؤلف معروف في الأوساط العلمية العربية بمؤلفاته وبحوثه في القانون والتنظيم الدوليين . ولذا فان عنايتنا تنصب في هذه المراجعة على ابراز قيمة الجهد العلمي الأخير الذي ضمنه المؤلف كتابه في موضوع الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية .

يقع الكتاب في مائتين وخمسين صفحة ويحدد المؤلف قبل كل شيء اطار البحث الذي يعده فيتناول اشكال التعاون بين الدول . غير انه يقصر دراسته على التكتلات والأحلاف الدولية . ويكمن الفرق بينهما في أن الحلف عادة هو تجمع ذو اغراض عسكرية سياسية بالدرجة الاولى ، في حين أن التكتل كقاعدة يستهدف التعاون في الشئون السياسية والاقتصادية . ومن ناحية أخرى فان التحالف كقاعدة لا بد أن يستند الى معاهدة دولية بالمعنى الدقيق ولا بد أن يكون له هيئات تسهر على حسن تنفيذ بنود هذة المعاهدة بعكس التكتل الذي لا يشترط فيه بالضرورة مثل ذلك . ومعنى ذلك أن الحلف لا بد أن ينشأ عنه منظمة دولية بالمعنى الدقيق وذلك على خلاف التكتل . ولعل الذي جعل المؤلف يتبنى هذا المفهوم هو كتلة عدم الانحياز التي لم ينشأ عنها منظمة دولية بالمعنى الدقيق للاصطلاح .

ويدور محور الدراسة حول الاحلاف أما التكتلات فلا يعرض لها المؤلف الا على سبيل المقارنة لاستكمال صورة التجمعات الدولية القائمة . وهنا لا بد أن نلاحظ أنه يفهم من عنوان الكتاب أنه يتناول الأحلاف والتكتلات الدولية بنفس القدر ودونما تمييز ، في حين أن دراسة الأحلاف هي الهدف الرئيسي للمؤلف . وحبذا لو كان عنوان الكتاب معبرا عن هذه الحقيقة .

---

* استاذ القانون الدولي العام المساعد في الجامعة الاردنية .

اما بالنسبة لاسلوب البحث فقد أراد الكاتب مؤلفه ان يكون دراسة تحليلية مقارنة لا تفصيلية وصفية . وهو يحاول من خلال هذا الأسلوب ان يتوصل الى نظرية عامة للأحلاف يمكن تطبيقها على الحالات التفصيلية . ولهذا الغرض يتناول الكتاب في فصل تمهيدي نظرية الأحلاف الدولية . ثم يقسم الدراسة بعد ذلك الى ثلاثة ابواب هي على التوالي : الأحلاف العسكرية الدولية والتكتلات الدولية وأخيرا الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية .

وفي الفصل التمهيدي يورد الكاتب عدة تعريفات للأحلاف يخلص منها الى ان الاحلاف قديمة قدم انشطار العالم الى كيانات سياسية تصطرع على القوة والنفوذ . كما أن اختيار دولة ما لطريق الأحلاف ليس مسألة مبدأ وانما مسألة ملاءمة . فالتحالف يتطلب وجود مجموعة مصالح مشتركة لقيامه . ولكن هذه المصالح المشتركة ليست دائمة أو متطابقة . اذ هناك عدد من الاحلاف التي يتلقى طرف واحد منها حصة الاسد من المنافع في حين يتحمل الأطراف الاخرون أثقل الاعباء . وليس غريبا والامر كذلك أن يحذر سياسي مثل ميكافيلي الدول الضعيفة من الانخراط في الأحلاف مع دول كبرى الا بدافع الضرورة الملحة . ولكن ليس معنى ذلك أن الدولة الضعيفة في الحلف ليس أمامها دائما الا الخضوع للدولة الأقوى . والأحلاف العامة عادة مؤقتة ومعظمها يسود وقت الحرب وبمجرد انتهاء المعارك يفسح المجال للمصالح الفردية المتعارضة للدول الحليفة سابقا . وكلما تحددت المصالح المشتركة لأعضاء الحلف وضاق نطاقها كلما كانت فرص استمرار التحالف أكبر . والأحلاف على هذا الاساس فعالة أو غير فعالة وناجحة أو فاشلة . فكثير منها بقي مجرد حبر على ورق ومن بينها الحلف العربي المعروف بمعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي لعام ١٩٥٠ . وتظهر فعالية التحالف عندما يوضع موضوع التحدي الحقيقي في التصدي للعدو الذي اقيم ضده .

ولا تنشأ الأحلاف من فراغ . فالدول كما يقول ادواردز « تشكل حلفا عندما تواجه تغييرا جديدا ومهددا في الوضع العسكري . وتحاول الدولة المسيطرة فيها طرقا جديدة لتدعيم مركز قوتها في مواجهة الخصم ومركز نفوذها على حلفائها اذا تعرض احد المركزين للخطر . بعد ذلك يعرض المؤلف لتطور الاحلاف أو لدورة حياة الاحلاف فيقول ان الدولة المسيطرة في الحلف ستسعى لزيادة عدد الدول الداخلة فيه . كما انه عبر الزمن تطرأ تغييرات هامة على الاحلاف اذا لم تكن في الشكل الرسمي للعضوية ففي درجة التزام الاعضاء بدعمها على الاقل . ويعرض المؤلف بعد ذلك لأهم آثار الاحلاف .

فتسابق التسلح بين الدول في غياب الاحلاف قد ينقلب الى تسابق للتسلح بين الاحلاف نفسها . وليس ادل على ذلك من سباق التسلح بين حلفي الاطلسي ووارسو .

وقبل ان يختتم الفصل التمهيدي يتناول مسألة انقضاء الاحلاف التي تأخذ عدة أشكال رسمية وواقعية . وبعد هذه المقدمة في نظرية الاحلاف يدخل المؤلف في جوهر موضوع الكتاب وهو الاحلاف والتكتلات الدولية في واقعها العملي . ويتعرض **الباب الاول** من الكتاب والمعنون « **الأحلاف العسكرية الدولية** » تباعا الأحلاف العسكرية الغربية والاحلاف العسكرية الشرقية واخيرا الحلف العربي . والحق أن الباب الاول من الكتاب عبارة عن دراسة وصفية للأحلاف والتكتلات لا تخرج عما هو مألوف في دراسات القانونيين للمنظمات الدولية . أما الأحلاف العسكرية الغربية التي يعرض لها الكتاب فهي حلف شمال الأطلسي وحلف جنوب شرق آسيا وحلف المعاهدة المركزية .

ويعتبر **حلف وارسو** او معاهدة المساعدة المتبادلة بين الدول الأمريكية لعام ١٩٤٧ اقدم حلف عسكري في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . واستهدفت أمريكا من وراء انشائه بسط نفوذها على دول القارة الامريكية واطلاق يدها في التدخل في الشئون الداخلية فيها كما حدث في الدومنكان عام ١٩٦٥ وقبلها في غواتيمالا . ويلاحظ انه ليس لهذا الحلف قيادة عسكرية او قوات خاصة تحت تصرفه كما هي الحال بالنسبة لبعض الأحلاف الاخرى . وحيث أن جيش الولايات المتحدة الامريكية هو المؤهل اكثر من غيره للقيام بهذا الدور فانه يمكن القول أن الحلف ليس الا وسيلة لتمكين هذه الدولة من بسط نفوذها على القارة بشطريها والدفاع عن أنظمة دول القارة العميلة لها . وبعد ذلك ينتقل المؤلف **الى حلف معاهدة شمال الأطلسي** لعام ١٩٤٩ . وعن الخلفية التاريخية للحلف يثير مسألة التراث المشترك بين أوروبا وامريكا واشتداد الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي وازدياد النفوذ السوفياتي في أوروبا . أما الدول الاعضاء في حلف الأطلسي فهي على خلاف ما يوحي بها اسمه يطل بعضها على الاطلسي وبعضها لا يطل .

ويستعرض المؤلف اهداف الحلف من خلال معاهدة حلف الأطلسي التي اكدت المادة الخامسة منها على أن اي عدوان مسلح يقع على دولة من دول حلف الاطلسي يعتبر عدوانا ضد كل الدول المتحالفة . وتطبيقا لهذا النص كانت الجزائر اثناء حرب التحرير هدفا لعدوان الحلف . وحول استراتيجية الحلف وتطوراته يذكر المؤلف أن الحلف لم يحقق التكامل الذي يعتقده البعض . فالاشراف على القوات الوطنية التابعة لدول الحلف لا يزال تحت السيادة

الوطنية للدول الاعضاء كما ان استخدام الاراضي في اقاليم دول الحلف ما زال يحتاج لموافقة الدول المعنية . وتخضع الأسلحة النووية لرقابة الولايات المتحدة الأمريكية دون غيرها من دول الحلف . ولعل ذلك هو الذي حدى بالجنرال ديغول الى الانسحاب من القيادة العسكرية للحلف عام ١٩٦٦ . ويؤكد المؤلف أن اسلحة حلف شمال الأطلسي لم تستخدم فعليا الا في تدعيم الاستعمار وقمع الحركات الثورية .

اما الحلف الغربي الثالث فهو **حلف جنوب شرق آسيا** أو حلف مانيلا لعام ١٩٥٤ . وتبدأ الخلفية التاريخية له مع ظهور الصين الشعبية كقوة متعاظمة وخوف أمريكا من المد الشيوعي في منطقة جنوب شرق آسيا . وهدف الحلف كما هو الحال في غيره من الاحلاف اعتبار الاعتداء المسلح على احدى الدول الاعضاء في المعاهدة وكأنه موجه الى كل دول الحلف .

هذا ولم تعد أمريكا تعلق على الحلف اهمية كبرى بعد ازدياد التفاهم بينها وبين الصين الشعبية . والحلف الرابع من الاحلاف الغربية التي يعالجها المؤلف هو حلف المعاهدة المركزية **او حلف بغداد سابقا** (١٩٥٥) . وقد وجد هذا الحلف كغيره من الاحلاف الغربية لمواجهة ما يسمى بالخطر الشيوعي في منطقة الشرق الاوسط . والدول الاعضاء فيه هي ايران وباكستان وتركيا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة بشكل أو آخر . أما العراق فقد انسحبت منه في أعقاب ثورة عام ١٩٥٨ . وقد فشلت كل المحاولات لضم مصر وسوريا وغيرها من الدول العربية الى الحلف . والغرض من الحلف هو الدفاع عن أمن وسلامة الاطراف المتعاقدة . ولكن حلف بغداد كغيره من الاحلاف الغربية باستثناء الحلف الاطلسي قد تحول من حلف عسكري الى أداة للتنسيق والتشاور السياسي بين الدول الاطراف فيه . وبذلك يخلص المؤلف من دراسة الاحلاف العسكرية الغربية الجماعية وينتقل الى أحلاف الكتلة الشرقية .

ويلاحظ المؤلف باديء ذي بدء أن الحلف العسكري الجماعي الوحيد الذي انشأته الدول الاشتراكية هو حلف **وارسو** وذلك على خلاف الامر بالنسبة للأحلاف العسكرية الغربية . وظهر الحلف الى حيز الوجود عام ١٩٥٠ أي بعد انشاء حلف الاطلسي بست سنوات . والدول الشيوعية التي لا تقع في أوروبا لم تنضم الى الحلف . ولحلف وارسو كما هو الحال بالنسبة للحلف الاطلسي قوات خاصة به نقل المؤلف تقديرا لها كما جاء في احصائية لمعهد الدراسات الاستراتيجية ومجلة تايم وصحيفة لورو الفرنسية . والواقع أن هذه

الاحصائيات الغربية المتطرف بعضها في يمينيته (لورور) لا يمكن الاعتماد عليها تماما . ومع ذلك فان المؤلف يقول ان هناك من الادلة المتوفرة من مصادر متعددة ما يؤكد تقدم اسلحة وعتاد حلف وارسو في اية حرب تقليدية .

واخيرا فان حلف وارسو كحلف الاطلسي لم يستخدم حتى الان في عمليات عسكرية من النوع الذي انشىء من اجله . واقتصر دورهمـــا على تدخل الدولتين الاعظم في الشئون الداخلية للدول الاعضاء . ويتناول المؤلف في نهاية باب الاحلاف ما يسميه بالحلف العربي الذي لا يعدو كونه **اتفاقيـــة الدفـــاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة العربية** التي أبرمت عام ١٩٥٠ في أعقاب هزيمة الدول العربية عام ١٩٤٨ في فلسطين . ووفقا للاتفاقية فان كل اعتداء مسلح يقع على اية دولة أو اكثر من الدول المتعاقدة على قواتها يعتبر اعتـــداء عليها جميعـــا .

وفي تقويم هذا الحلف يمكن أن نقرر مع المؤلف انه ظـــــل على هامش الاحداث منذ انشائه حتى الان وذلك على الرغم من الاحداث والحروب التي جرت في المنطقة . فقد بقي الحلف عبارة عن حبر على ورق وبقيت فكرة الدفاع الجماعي العسكري عن الاقطار العربية في ذهن كل عربي دون أن تترجمهـــا الانظمة العربية الى واقع عملي ملموس . كما أن اتفاقات الدفاع المشـــترك العربية الثنائية لم تكن اكثر حظا من اتفاقية الدفاع المشترك العربية الجماعية الســــابقة .

وفي الباب الثاني المعنون « **التكتلات الدولية** » يعالج المؤلف التجمعـــات والتكتلات الدولية التي قامت في رايه كردة فعل لتلك الاحلاف . وينقسم هـــذا الباب الى فصلين يعالج المؤلف في الاول منهما كتلة عدم الانحياز في حين يخصص الفصل الثاني لمنظمة المؤتمر الاسلامي وفي دراسته **لكتلة عدم الانحياز** يعالـــج المؤلف الخلفية التاريخية للكتلة . ويشير في هذا الصدد الى اختلاف الكتاب حول تاريخ الحياد الايجابي أو ما اسمي فيما بعد ذلك بفكرة عدم الانحياز . فعلى حين يرجع بعض الكتاب ذلك الى مؤتمر باندونغ (١٩٥٥) يرجعها اخرون الى تصريحات سبقت المؤتمر وصدرت عن نهرو وغيره من السياسيين .

هذا ومنذ ظهور سياسة عدم الانحياز اتخذت الكتلتان العملاقتان موقف المعارضة والاستنكار لها . فعلى حين وجد فيها دالاس نوعا من اللااخلاقيـــة وجد فيها السوفيات تبعية جديدة للاستعمار . غير أن حملة الكتلتين الشرقية والغربية على كتلة عدم الانحياز قد خفت فيما بعد بل انها اختفت في الوقـــت الحاضـــــر .

وتقوم سياسة عدم الانحياز على عدة مبادىء تحـــــددت في المؤتمر التحضيري لقمة بلغراد الذي انعقد في القاهرة عام ١٩٦١ واهمها عدم الانضواء في حلف عسكري جماعي تم في نطاق الدول الكبرى ، وعدم ابرام اتفاقيات ثنائية مع الدول الكبرى . ويذكر المؤلف أن هذا المبدأ فقد كثيرا من اهميته وخاصة حين ابرمت ثلاث دول غير منحازة هي مصر والهند والعراق اتفاقيات ثنائية مع دولة كبرى هي الاتحاد السوفياتي . وقد كان يجدر بالمؤلف ان يحدد نـــوع الاتفاقات الدولية التي تبرمها دول عدم الانحياز مع الدول الكبرى والتي من شأنها المساس بعدم انحيازها . فمن الواضح أن هناك اتفاقات لا تمس من قريب أو بعيد بسياسة عدم الانحياز . ويلاحظ انه لم ينشأ عن كتلة عدم الانحياز منظمة دولية بالمعنى الدقيق للاصطلاح ، وهو ما كانت تدعو اليه يوغسلافيا ورفضته اغلبية الدول غير المنحازة .

ويعرض المؤلف لتطور الكتلة من خلال مؤتمراتها في القاهرة عام ١٩٦٤ ولوساكا عام ١٩٧٠ والجزائر عام ١٩٧٣ وكولومبو عام ١٩٧٦ . وفي مستقبل كتلة عدم الانحياز يشير المؤلف الى أن عددا من دول اسيا وافريقيا لم تستطع أن تنأى بنفسها عن صراعات القوى التي تمارسها التكتلات العملاقة ومنها الاحلاف . كما ان بعض هذه الدول قد اقدمت على الاستعانة بالقوى الكبرى لدعم مواقفها من صراعات اقليمية ومحلية . ومن الملفت للنظر ان المؤلف يسوق كأمثلة على ذلك اعتماد مصر في ظل الرئيس الراحل عبد الناصر على الاتحـــاد السوفياتي في حين انه لا يشير من قريب أو بعيد الى علاقتها الحالية بالولايات المتحدة الامريكية .

ويلاحظ أنه في الوقت الذي يتم فيه الان الاعداد لمؤتمر جديد للكتلة فان اغلب الظن أن الخلافات بين اعضاءها ستتضاعف وخاصة في مسالة تطلق عليها مصر وغيرها من الدول العربية التي تسمي نفسها غير منحازة الوجود السوفياتي في القارة الافريقية . وبعد ذلك ينتقل الكاتب الى **الكتلة الاسلامية** ويورد احصائيات بعدد المسلمين في العالم وفي عدد من الدول يستدل منها على أن الاسلام يشكل الديانة السماوية الثانية بعد المسيحية بكل مذاهبها مجتمعة. ويبرز المؤلف النزعة العالمية للشريعة الاسلامية واتجاهها الى أن تكون مجتمع انساني واحد . ويعرض لاهم محاولات التجمع الاسلامية في القرن العشرين وهي المؤتمر العالمي الاسلامي والمؤتمر الاسلامي والمؤتمر الاسلامي العام ورابطة العالم الاسلامي والاتحاد الاسلامي العالمي والمنظمة الاسلامية الدولية. والواقع أن هذه الهيئات ــ خلافا لما ذكره الكاتب ــ لا تعتبر منظمات دولية . بل أن الكاتب عاد وقال في موضع لاحق أنها منظمات خاصة أو شبه رسمية .

ويعرض المؤلف فيما بعد لمنظمة المؤتمر الاسلامي وهي المنظمة الاسلامية الوحيدة التي قامت على مستوى الدول والحكومات والتي كانت السعودية من أوائل الداعين لها . وقد تم اقرار ميثاق هذه المنظمة من قبل مؤتمر ملـــوك ورؤساء الدول الاسلامية المنعقد في جدة عام ١٩٧٢ .

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن بصدد العضوية في المؤتمر الاسلامي هو متى تعتبر الدولة اسلامية ؟ والواقع انه لا يوجد معيار حاسم في هـــذا الصدد . والمسألة ذات طبيعة سياسية محضة . فقد رفضت عضوية جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية لمدة طويلة وذلك بسبب اختلافها مع السعودية في حين أن دستورها صريح في النص على أن دين الدولة هو الاسلام .

واخيرا فان نجاح المنظمة في رأينا يعتمد الى حد كبير على الدول الغنية الاعضاء فيها وهي أساسا الدول العربية المصدرة للنفط . فاذا لم تقم هـــذه الدول بمسئوليتها في مساعدة الدول الاعضاء الاخـــرى فان أي حديـــث عن التضامن بين الدول الاسلامية غنيها وفقيرها يصبح ضربا من ضروب الخيال .

وفي **الباب الثالث** والاخير من الكتاب والمعنون « **الاحلاف والتكتلات في السياسة العالمية** » ـ وهو العنوان الذي اختاره المؤلف للكتاب ذاته ـ يبحث المؤلف أولا في موضوع **الأحلاف والتكتلات في نظر القانون الدولي** ومـــــدى مشروعية الاحلاف العسكرية القائمة الان في ضوء أحكام ميثاق الامم المتحدة الذي يتناول بنص خاص (م/٥١) مسألة الدفاع الشرعي الفردي والجماعي . وحول المسألة الاخيرة يقول المؤلف انه لا خلاف على مشروعية الاحلاف القائمة في نظر القانون الدولي . غير أن بعض هذه الاحلاف أساء استخدام نص المادة السابقة من الميثاق . ويضيف أن المتتبع لنشاطات بعض الاحلاف وبالذات حلف وارسو يدرك مدى استخدام هذا النص في القيام بأعمال عسكرية معينة باسم التحالف . ومن الغريب أن يفرد المؤلف حلف وارسو دون حلف الاطلسي بهذا الحكم . كما أن اشارته لتدخل حلف وارسو في المجـــر عـــــام ١٩٥٦ وفـــي تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ لا تكفي في رأينا لتبرير الحكم السابق . ومع أننا لسنا مع مثل هذه التدخلات الا أنه كان يجدر ذكر المبررات القانونية التي قيلت في تدخل حلف وارسو في الحالتين والتي تستند بشكل خاص الى نصوص المعاهدة المنشئة للحلف ذاته .

اما بالنسبة للتكتلات الدولية غير ذات الطابع العسكري فمن المعروف أن الفصل الثامن من الميثاق يسمح بقيام هذه التكتلات الاقليمية بل ويشجع على ذلك . كما أن الميثاق نظم العلاقات بين هذه التكتلات الاقليمية وبين منظمةالامم

المتحدة في مجال حفظ السلم والامن الدوليين . وينتقل المؤلف بعد ذلك للبحث في الاحلاف والتكتلات بين فكرتي توازن القوى والامن الجماعي ويقول ان الاحلاف وجدت قبل فكرة الامن الجماعي الذي كانت وسيلته الاولى عصبة الامم ثم حلت محلها الامم المتحدة . وعلى هذا فان ثمة علاقة وشيجة بين فكرة القوة في العلاقات الدولية وسياسة التوازن في القوى العالمية (التي تعتبر الاحلاف احدى ادواتها الرئيسية) وسياسة الامن الجماعي (التي تعتبر المنظمة الدولية ادارتها الرئيسية) . ولتوضيح ذلك يبين المؤلف دور القوة في السياسة العالمية . وللتخفيف من سلبيات ظاهرة القوة ظهرت سياسة توازن القوى في العلاقات الدولية التي استمرت قرابة ثلاثة قرون تبدأ مع صلح وستفاليا عام ١٦٤٨ . وجاءت عصبة الامم لتبتدع نظام الامن الجماعي الذي لم يستطع في واقع الامر أن يكون بديلا لتوازن القوى بل تعايش معها وان ظلت السيطرة لهذه السياسة الاخيرة .

ويخصص المؤلف دراسة خاصة **لنظام الامن الجماعي في العلاقات الدولية** الذي يقوم على فكرة جوهرية هي أن الهجوم على اية دولة لا بد وان يقابل بالقوة الجماعية المتكاملة للمجتمع الدولي كله . ويترجم الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة نظرية الامن الجماعي كما رسمتها الدول المنتصرة . وبمقتضاه يتولى مجلس الامن الدولي تقرير ما اذا كان قد وقع تهديد للسلم أو اخلال به أو كان ما وقع يشكل عملا من أعمال العدوان . ومن ثم يقرر ما يجب اتخاذه من تدابير القمع التي قد لا تصل الى حد استعمال العنف او تتخذ شكل التدابير العسكرية . ولكن فكرة الامن الجماعي قد لاقت صعوبات في التطبيق أهمها انها تستند على اتفاق الدول الخمس الكبرى وهو أمر صعب المنال نتيجة للحق الذي كفله الميثاق لهذه الدول في النقض أو الفيتو ولافتقار مجلس الامن الى شرطة دولية أو جيش دولي .

ولذا فان فكرة الامن الجماعي كما رسمها ميثاق الامم المتحدة في الفصل السابع منه لم تطبق حتى الان وحل محلها دبلوماسية الردع عن طريق ما يعرف باسم قوات الطوارىء الدولية التي وجدت أول تطبيق لها في حرب السويس عام ١٩٥٦ . والواقع ان كافة التفصيلات التي أوردها المؤلف بخصوص فكرة الامن الجماعي تجد مكانها المعتاد في مؤلفات القانون الدولي العام لا في مؤلف خاص بالاحلاف . والمسألة الثالثة التي يعالجها المؤلف في الباب الثالث « الاحلاف والتكتلات في السياسة العالمية » هي مسألة **« دور الاحلاف والتكتلات في السياسة العالمية »** . ومن الواضح أن المؤلف قد استخدم هذا العنوان لمؤلفه وللباب الثالث منه وللفصل الثالث من هذا الباب الاخير وهو أمر كان

يحسن تجنبه . وعلى كل حال فان المؤلف يعالج تحت هذا العنوان تطور العلاقات بين المعسكرين الغربي والشرقي منذ الحرب العالمية الثانية التي يقول فيها ــ كما قال الدكتور اسماعيل صبري مقلد ــ انها مرت بمراحل اربع هي مرحلة الحرب الباردة ومرحلة الانتقال ومرحلة الانفراج ومرحلة الوفاق . ويستعرض المؤلف تباعا هذه المراحل . فالحرب الباردة استمرت بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٥٤ بعد انهيار التحالف الذي ضم العملاقين وحلفاءهما في صراعهما المشترك ضد القوى الفاشية والنازية واليابانية . وتأتي المرحلة الثانية « مرحلة الانتقال » أو بداية انكسار حدة المجابهة التي استمرت بين عامي ١٩٥٥ و ١٩٦٢ . وتجيء المرحلة الثالثة « مرحلة الانفراج » التي امتدت منذ عام ١٩٦٣ الى عام ١٩٦٨ لتخلق انفراجا سياسيا في علاقات المعسكرين العملاقين من جهة وفي علاقات شطري أوروبا من جهة أخرى .

اما المرحلة الرابعة في العلاقات بين العملاقين فهي مرحلة الوفاق المستمر منذ عام ١٩٦٩ . وقد اسهمت عدة عوامل في الاعداد لهذه المرحلة وأهمها استمرار وتعاظم قوة التطور التقني الامر الذي دفع الدولتين الاعظم الى ابرام معاهدة الحد من الاسلحة الاستراتيجية في موسكو عام ١٩٧٢ ودفع الاتحاد السوفياتي الى الدعوة الى عقد مؤتمر عام للامن والتعاون الاوروبي عام ١٩٧٤ والى عقد عدة مؤتمرات قمة بين الزعماء الامريكيين والسوفيات ، اتفق خلالها على أنه لا بديل في العصر النووي للتعايش السلمي وتجنيب المجابهات العسكرية وتحديد التسلح وتنمية التعاون بين الدولتين . كما أن التقارب الذي كان يحدث في العلاقات الامريكية الصينية كان يدعم الى حد بعيد سياسات الوفاق الدولي . واخيرا أسهم التحول الكبير الذي طرأ على نظام القطبية الثنائية والذي انتهى الى ما يكاد يطلق عليه القطبية المتعددة الاطراف بدوره في بروز سياسة الوفاق . وأهم النتائج التي توصلت اليها سياسة الوفاق هذه احتواء عدد من الحروب المحلية التي كان ممكنا أن تتحول الى حروب عالمية مدمرة واهمها الحرب الفيتنامية والحرب الهندية الباكستانية وحرب رمضان (اكتوبر) عام ١٩٧٣ .

ويستخلص المؤلف من دراسة هذه المراحل الاربع أن الاحلاف العسكرية ومثيلاتها من تكتلات كانت اداة مهمة من أدوات توازن القوى في ظل مرحلة الحرب الباردة وأن « هوس الأحلاف الذي عاصر تلك الفترة توقف مع انتقال العلاقات الى مرحلة انكسار المجابهة الحادة ثم مرحلة الانفراج بل انه مع دخول مرحلة الوفاق غدت الاحلاف اكثر انفتاحا على بعضها حتى أمكن جمع الشتيتين في مؤتمر القمة الاوروبي » .

ولكن ليس معنى الوفاق أن الاحلاف العسكرية الكبرى المتضادة قد زالت من الوجود بل هي لا زالت باقية . كما أن قوتها لم تنقص بحال بل هي في ازدياد مضطرد . وفي خاتمة كتابه يعيد المؤلف الى الاذهان خلاصة النتائـــــج التي توصلت اليها الدراسة . ويهمنا أن ننقل بشكل خاص دعوة المؤلف للعـــرب للتحالف مع أنفسهم أولا ثم مع من تربطهم مصالح يحسن تقديرها ثانيا والا فلن يكون لهم ــ كما يقول ــ مكان في هذه المعمورة .

وأخيرا فان كتاب « الاحلاف والتكتلات في السياسة العالمية » لمؤلفـــه الدكتور محمد عزيز شكري أستاذ القانون الدولي العام في جامعة دمشق كتاب لا غنى عنه لجميع المهتمين بالحياة الدولية والعلاقات الخارجية للدول وطلاب القانون الدولي العام والعلوم السياسية . وحسبنا في هذا العرض أن نكون قد أوفينا المؤلف والكتاب حقهما وأبرزنا اهمية الموضوع الذي عالجه المؤلف بشكل واف بحيث ندفع القاريء المتخصص وغير المتخصص الى الاطلاع على هذا البحث العلمي الشـــامل .



د. هشام شرابي ، **الجمر والرماد : ذكريات مثقف عربي** (بـــــيروت : دار الطليعة ، ١٩٧٨) عدد الصفحات . ٢٤٠ .

عرض وتحليل د. محمد رجب النجار *

(١)

« لا يعيش الفرد حياته الشخصية فحسب ، بل حياة عصره وحياة جيله ايضا » بهذه العبارة الدالة لتوماس مان يبدأ الكاتب ــ الدكتور هشام شرابي ــ ترجمته الذاتية الموسومة بعنوان رامز كذلك ، هو « الجمر والرماد » فتكون ــ هذه العبارة ــ هي الضوء الكاشف الذي نجوب معه أو نجول من خلالـــه في عالمه الخاص بين دفتي كتابه ، الذي شاء له أن يأتي وثيقة فنية وتاريخية شاهدة على حياة جيل بأكمله ، ومن هنا تكمن اهمية مثل هذا الكتاب . واذا كان الحديث عن الذات هو المحور الرئيسي لكتاب هدفه الترجمة الذاتية لصاحبه، فان هذا لا يعني انه قد تمحور حول هذه الدائرة «الشخصية» بل تجاوزها بعيدا الى دوائر « موضوعية » كثيرة ، دوائر حضارية واجتماعية وتربوية .. مثلما تجاوز التعبير عن تجربته السياسية الفردية الى تجربة جيله الوطنية والقومية.. في كل لا يتجزأ ، بل يصعب معه الفصل عمليا بين الذات والموضوع ، حيث تتداخل الحلقات والدوائر تداخلا كاملا ، بدءا بالمنظور الفردي فالقومي ، وانتهاء بالمنظور الانساني العام .. ولقد وفق الكاتب ــ وقليل أولئك الذيـــن يحالفهم التوفيق ــ في تعمق عالمه الخاص ، وتأمل قضيته الذاتية ، دون ان يفقد التوازن بين طموحاته ومعاناته وأحزانه الذاتية والقومية ، بعبـــارة أخرى ، استطاع الدكتور شرابي أن يتعمق تجربته الفردية ممتزجة بتجربة وطنه وأمته معا ، وغاص فيها الى الدرجة التي جعلته يكشف في تجربته الخاصة ، ومن خلالها ، تجربة جيل بأكمله . شأنه في ذلك شأن كل فن عظيم ، نتوصل فيه من خلال الخاص الى العـــام .

ولعل أول ما يثير الانتباه في هذا الكتاب هو عنوانه نفسه « الجمـــر والرماد » ، ذلك العنوان الدرامي الدال على قطبي الصراع بين « **الرؤيا** » التي يحلم بهـــا دائما كل مثقف عربي ، و « **الواقع** » الـــذي يفرض نفسه علينا ، شئنا أم لم نشأ .. بين الطموح الفردي ، والاحباط القومي ، في منعطـــف تاريخي وحضاري يشكل بالنسبة لكل مثقف عربي جاد حقبة من أخطر الحقب في تاريخنا الحديث . ولهذا لا غرو أن يحمل الكتاب عنوانا فرعيا اخر هو

---

* **الاستـــاذ بكليـــة الآداب في جامعـــة الكويـــت .**

« ذكريات مثقف عربي » . ولكن اي ذكريات تلك التي تبقى لنا بين « الرماد » بعد أن احترق « الجمر » كل الجمر ، في محراب الذات العامة ــ واحترق معه، وبه صاحب هذه الذكريـــات ؟

هذا هو السؤال الذي يلح عليك طوال قراءة هذا العمل الفني الجاد . ولكن ما بالنا نستبق الاحداث ونستصدر الاحكام أو ما يشبه الاحكام قبل ان نعرض مضمون الكتاب واسلوبه على القارىء ؟!!

(٢)

في عام ١٩٧٤ ، قرر الدكتور هشام شرابي ــ استاذ التاريخ الحديث والعلوم السياسية في جامعة جورجتاون بواشنطن ــ أن يعود نهائيا الـــى أرض الوطن العربي ، ليقيم في بيروت ، بعد غياب ، أو بالاحرى ، اغتراب دام طويلا في امبركا ، ليواصل عمله عن كثب رئيسا لتحرير مجلة الدراســــات الفلسطينية التي تصدر باللغة الانجليزية عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية وجامعة الكويت (وكان قد تولى رئاسة تحريرها منذ سنة ١٩٧٢ الى جانب عمله في الجامعة) ولكنه ما كاد يصل بيروت ، او يحط عصا الترحال بعــد أن شطت به غربة النوى كما يقولون ، حتى قامت في وجهه عقبات كئود ، منها على سبيل المثال ــ وهو أمر بالغ الدلالة لواحد مثله ــ فشله في الحصول على « تصريح اقامة » في لبنان ، له ولزوجته وابنتيه ، لسبب بسيط ، ان « الاوامر هكذا جاءت من فوق ... » !! ولنا أن نتصور مدى ما يمكن ان يتركه مثل هذا الموقف في نفسه وفي نفس عائلته ، يقول : « قد غمرني حزن عميق ، ابعد كل هذا لا استطيع الحصول على اذن اقامة في لبنان ؟ أمن اجل هذا تركت العيش الآمن والمركز الثابت ورضيت بالمستقبل الغامض والحياة القلقة ؟ لقد عدت لكي اعمل من أجل هذا الوطن ومن اجل هذا الشعب .... واكتشفت ، كما يفعل كل مثقف عائد لخدمة وطنه ، أن هذا الشعب والوطن لا يأبهان به وبأحلامه ، وأن الواقع يناقض الرؤيا ... » ص ٨ . وكان عليه أن يتحايل على تلك الاوامر « الفوقية » ، واخيرا نجح في الحصول على اقامة لمــدة سنة .. ومن ثم قفل عائدا لتقديم استقالته من جامعة جورجتاون ، وما يتبع ذلك من اجراءات ، وبينما هو يستعد للعودة الى بيروت تكون الاوضاع السياســية والعسكرية قد ساءت الى الحد الذي دفعه مرارا الى تأجيل سفره ، غير انه لم يجد بدا من العودة في ديسمبر ١٩٧٥ للاطلاع بنفسه على الاحوال في بيروت، وعن كثب ، فذهب اليها عن طريق عمان ، وهناك وجد المدينة تعج بالنازحين عن بيروت ، ولم يبق بيت أو شقة أو غرفة لم تؤجر ، (وهو موقف مماثل تماما لوقائع نكبة فلسطين كما سنرى) ، وفي اليوم الذي قرر فيه السفر الى بيروت

وقعت احداث « السبت الاسود » حيث قتل العشرات من المدنيين الابرياء في بيروت « على الهوية » .. حينئذ ، وحينئذ فقط ، طفقت احلامه تتبخر ، وآماله تنهار « فعدت الى واشنطن كالجندي المهزوم » ومن ثم عدل عن استقالته ، وعاد فجدد عقده مع جامعة جورجتاون ، وقد شعر أن آماله وطموحاته الذاتية والقومية قد وئدت جميعا — في لحظة يأس ممرورة — قربانا خرافيا في مذابح لبنان الاسطورية .. « ويغمرني احساس في هذه اللحظة أن الفرصـــة قد فاتتني ، وأنني لن أعود أبدا الى وطني ، بل سأمضي ما تبقى لي من العمر هنا في هذه البلاد الغريبة ، وأني سأموت فيها ... »

(٣)

يؤكد الدكتور هشام شرابي ، أن كتابه هذا جاء تسجيلا لوقائع هذه الفترة القلقة والحاسمة التي أراد أن يعود فيها الى وطنه ، فعجز عن تحقيق ذلك ، وهي الفترة التي ظن أنها نهاية مرحلة ، وبداية مرحلة من حياته .. وبين غفوة الحلم ، وفردوس الرؤيا المفقود ، وبين بشاعة اللحظة الآنيـــة وجحيم الواقع السائد شرع الكاتب يلملم بعضا من وقائع حياته — الذاتيـــة والقومية — الامر الذي يؤكد أن اختيار هذه الفترة لتدوين مذكراتـــــه ، أو بالاحرى ذكرياته ، واعدادها للنشر ، لم يتم مصادفة . فتصويره للوقائـــــع وانتخابه للاحداث أمر يذكرنا — حرفيا — ولا شك بأمرين احدهما حين ترك وطنه فلسطين سنة ١٩٤٧ ، والاخر حين أجبر على مغادرة لبنان سنة ١٩٤٩ ، الى اميركا ،يومها كان يقول لنفسه : «لقد نبذتني يا وطني .. لن أرجع اليك .. لن أرجع أبدا .. » ص٢٣٨ . ولكن — ومهما كانت الاسباب — فالانتماء الى الارض والوطن فوق كل فورات الغضب ، وبراكين اليأس « فشعبي هو جزء من حياتي ، لم اتركه يوما ، وطني احمله في قلبي ، لا اقدر أن اتخلى عنه ، سأعود يوما ... » . اختيار هذه الفترة اذن لم يكن مصادفة ، ونشر الكتاب في بيروت نفسها لأمر بالغ الدلالة .. حيث مأساة لبـــنان حيـــة .. وحيث « الجمر » فيها يلتهم الاخضر واليابس ، ليذروه « رمادا » يذكرنا بالمصـــير المحتوم .. وكأني به يقول : ما اشبه الليلة بالبارحة ، بالامس فقدت وطني فلسطين ، واليوم اكاد افقد وطني الكبير ، دون أن يكون لنا من واقع الحياة ، عظة التاريخ وعبرة التجربة .

وفي ضوء هذا المنطلق ومن منظور قومي (تاريخي وحضاري) يكـــاد القارىء يضع يده على سر انتخاب أو اختيار الكاتب لوقائع وحوادث بعينها ، (ذاتية وقومية) تشكل في النهاية عماد هذا العمل الفني (الجمر والرماد) ،

مهما اختلفت المناسبات أو تعددت .. ومن ثم لا غرو أن تكون رؤيته للمأساة اللبنانية ، في ضوء ماضي لبنان (والعودة الى الماضي هنا ليست نزعة رمانسية أو هروبية ، يغلفها مجد تليد غابر ، حيث العصر الذهبي دائما ، وانما هي مقارنة واقعية في اطار التاريخ لحال لبنان بين الامس واليوم ، انه الجزء الذي ينبىء عن الكل ، وهنا تنفجر الجراح القومية بغير حدود) ، حيث كان اللبنانيون في الماضي « يعملون يدا واحدة ، ولمصلحة واحدة ، علت فوق جميع المصالح الفئوية والطائفية » ص ٢٠ . أما اليوم فالعكس صحيح ، وهذا سر هزيمة لبنان ، أو بالاحرى الوطن العربي (من الخارج) ، أما سر هزيمة المثقف العربي (من الداخل) فتكمن في مركبات النقص الحضاري ، وفقدان الهوية المميزة أو الذاتية الواضحة ، وبخاصة في نظمنا التربوية حيث « كان قادتنا ومعلمونا يكرهون الغربي ويعشقونه في الوقت نفسه ، كان الغرب بالنسبة اليهم مصدر كل ما تشتهيه أنفسهم ، في الوقت ذاته مصدر ذلهم وتعاستهم . هكذا غرسوا فينا مركب النقص من الغربي وعقده وتقديسه معا ، وغدت مفهوماتنا القومية تعصبية بعيدة البعد كله عن المفهومات الاجتماعية والتاريخية الصحيحة .. » ص ١٩ .

(٤)

في الفصل الاول من الكتاب يضع الدكتور شرابي ايدينا — من خلال تجربته الذاتية — على واحد من اهم أسباب تقاعس جيل المثقفين ، من أن يلعبوا دورهم الوطني والقومي ، كما ينبغي أن يكون ، ومن ثم ، أسباب فشلهم في قيادة أمتهم (بدلا من هذا الانفصام القائم) ذلك أن القضية — المشكلة — التي لا تزال تؤرق الكاتب حتى اليوم،هي : كيف غادر فلسطين ، بلاده ، سنة ١٩٤٧ ، على الرغم من كونه « على درجة كبيرة من الوعي الاجتماعي آنذاك » كما يقول بينما كانت « الحرب قائمة فيها واليهود يستعدون لابتلاعها » ، مهما كان القصد نبيلا (طلب العلم في أميركا) ، يقول الدكتور شرابي مفسرا هذا السلوك السلبي : « ومع ذلك فقد غادرنا بلادنا في وقت محنتها ، دون اي تردد أو شعور بالذنب . كان الامر طبيعيا لا يدعو الى تأمل أو اعادة نظر . في محاولتي الآن تفسير هذا السلوك — لا تبريره — أجدني عاجزا كل العجز . ربما كوننا مثقفين ساعد على ذر الرماد في أعيننا ، فصرنا نرى الاشياء من زاوية الفكر المجرد وحده ، وهكذا بدات الدنيا لنا موضوعا لكلامنا وفكرنا ، لا مجالا لتحقيق افعالنا واعمالنا . كأنما يكفي ان نحب وطننا بقلوبنا كلها ، وأن نحلم بمستقبل عظيم لامتنا دون أن يلزمنا ذلك بشيء سوى صدق العاطفة » ص ١٤ . وكأن صراع الفكر والبندقية لا يجتمعان في واحد !!

(٥)

في الفصل الثاني ـــ أطول فصول الكتاب ـــ وعن طريق أسلوب التداعي ـــ في المعاني ـــ وأسلوب التداخل أو التزامن في الاحداث ، وطريقة الارتداد الى الماضي ، يشرع الكاتب في توجيه الاضواء الكاشفة على تجربته الذاتيـــة ، والعوامل المؤثرة في نموه النفسي وتفكيره العقلي وتكوينه الاجتماعي ، من خلال الكشف عن الجذور الاجتماعية والثقافية والتربوية التي صاغت أو شـــكلت « المثقف العربي » بعامة ، وهو واحد منهم بطبيعة الحال ـــ وانتهت به ـــ وبهم ـــ الى هذا السلوك السلبي من أحداث أمته ووطنه وشعبه ، فنراه من خلال عرضه ـــ أو بالاحرى تعريفه ـــ للطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليهـــا ، وما تتمسك به من قيم ومقولات ومعان ، يضع أيدينا على « أنانية وانهزامية » هذه المفاهيم قومية أم اجتماعية (الكتاب ص ١٧ ـــ ١٩) .. ومن خلال حديثه عن فترة التحصيل العلمي في بيروت (١٩٤٣ ـــ ١٩٤٧) ، وهي الفترة التي شهدت ـــ كذلك ـــ بدء ممارسته للتجربة السياسية ـــ نراه يصب جام غضبه وسخطه على مناهج البحث وطرق التدريس والفلسفة التربوية السائدة عربيا ويراها لا تشكل مأساة تعليمية يترعرع عليها ما ندعوه بالمثقف العربي ، بل هي مأساة حضارية قبل كل شيء ، تكمن وراءها الاسباب الحقيقية في هزيمة الذات العامة نفسها ، في مواجهة القوى الحضارية المسيطرة ، دون ان نكون جادين في مواجهتها واقعيا أو عمليا حتى اليوم (فالاستجابة هنا ليست بمستوى التحدي اطلاقا) ... وتبرز هذه النزعة النقدية « الاصلاحية » أكثر ما تكون ، عندما كان يتحدث الكاتب عن الجو الفكري السائد في الجامعة الامريكية في بيروت ـــ حيث تلقى تعليمه فيها ـــ ذلك الجو الذي كان مسيطرا في الطبقات المتوسطة والعليا ، أي جو « المتعلمين » و « المثقفين » (فالجامعة ـــ كما يقول ـــ قد أصبحت جزءا من هذا الجو ، تمثل في تكوينها القوى المسيطرة فيه ، وتخدم مصالحه وقيمه) ، ويكون أول ما يقف عنده الكاتب هو المنهج العلمي والحرية الفكرية ، وكلاهما وثيق الصلة بالآخر في هذا الجو الاكاديمي ، وتكون حصيلة هذه المرحلة من عمر الكاتب ، وعمر المثقف العربي بوجه عام أمرين : احدهما هامشية معايشة المنهج العلمي ، والآخر ، ان الحرية « التي مارسناها في الجامعة الامريكية أقل بكثير مما كان يعتقد الناس ، فقد خضعت حياتنا في الجامعة لسلطتين كان لا قدرة لنا على مغالبتهما : سلطة الادارة وسلطة الاستاذ كانت سلطة الادارة بالنسبة الينا كسلطة الدولة بالنسبة الى المواطن ، شاملة متكاملة لا نعرف أين تبدأ واين تنتهي ، أما سلطة الاستاذ ، فكانـــت كسلطة الاب بالنسبة الى أبنائه ، تفرض من فوق ، ولا تقبـــل النقض أو

المعارضة ، لا اذكر ان استاذا من اساتذتي في الجامعة اعترف مرة أنه كان على خطأ أو اقر بجهل أو عبر عن شك ، فامتنع عن اتخاذ موقف حاسم أو آثـر التروي ومراجعة الفكر ، كان أساتذتي جميعا مصادر ثقة ، لا يعرف الشـك مدخلا الى قلوبهم ، كانوا يدخلون قاعة الدرس بثقة الضابط عندما يدخل الثكنة .. كانت تلك القاعة ثكنتهم ، هنا سلطتهم مطلقة ، وكلمتهم نهائية ، وكانوا يعتقدون أن حسن سلوكنا قبول بسلطتهم واستسلام لها ، وان سكوتنا دليـل تقدير للمحاضرات .... كان جميع أساتذتي تقريبا يتبعون أسلوب الوصف والخطابة والوعظ .... كانوا ينظرون الى الامور من وجهة نظرهم الخاصة ، ولا يجدون حرجا في تقديم أفكارهم الذاتية وكأنها حقائق موضوعية ثابتة . وكانوا اذا طرحنا عليهم أسئلة تتضمن بعض النقد أو الاحراج ، يتخذون موقفا دفاعيا ، ويجيبون عن اسئلتنا بروح عدائية تدفعنا الى الصمت فالتراجع . لا اذكر ان استاذا عربيا كان يهدف في محاضراته الى مساعدتنا على الفهـم والتفكير المستقل .... كانوا يعتبرون أي اختلاف مع وجهة نظرهم اهانة شخصية لهم ، فتعلمنا الا نخالفهم بالراي وان نقبل ما يقولونه برضوخ . هكذا كان الهدف الاساسي لعملية تثقيفنا في الجامعة ، كما كان في العائلة والمدرسة ، يقوم على تطويعنا واخضاعنا نفسيا . فلا عجب اذا بقيت مقدرتنا النقديـة والتحليلية ضعيفة .... كان حصيلة دراستنا الجامعية ان خضعنا لسلطة الكلمة المطبوعة كما خضعنا لسلطة الكلمة المسموعة ، فاصبحنا مشلولي الفكر تجاه ما نقرأ ، وبخاصة اذا كان مصدره أجنبيا .... » ص ٢٧ــ٢٨ .

هذا الجو الفكري كان بطبيعة الحال واحدا من أهم اسباب أزمة الثقافة العربية وضياع المثقف العربي .. واخاله لا يزال قائما على نحو أو آخر في اغلب جامعاتنـا العربيـة ...

ويأخذ الكاتب في سرد أمثلة كثيرة على ذلك ، وهو يتحدث عن أساتذته وطرائق تدريسهم وأساليب تفكيرهم ، وكيف انعكس ذلك على نمط تفكيره ، وفي العادات الذهنية التي اكتسبها في ذلك الحين ولازمته زمنا طويلا بعد ذلك ، « فاذا هم يتكلمون بالمطلقات ، وبتعابير قاطعـة نهائية ، لا تعرف الظن أو الترجيح ، وكان الامر مرتبطا بالفكر وأسلوب التعبير ، وليس اللغة وحدها ، فالفكرة اما صحيحة واما خاطئة ، وحيث هم دائما على صواب ، وأن الآخرين دائما على خطأ ومن ثم كان التهكم « هو السلاح الفكرى والأشد فتكا في أيدي أساتذتنا ، وكانوا لا يتورعون عن استعماله في كل المناسبات وما أسهل أن يحطم الاستاذ في قاعة الدرس كل ما يتعارض مع معتقداته وميوله » ص ٣٤ .

وينتهي الامر بالدكتور شرابي الى طرح هذا التصور « لو أن أساتذتي ، ومن أسهم في تثقيفي كانوا أقل سطوة في معاملتهم لي ، وأقل خوفا على مراكزهم ومصادر عيشهم ومكانتهم الاجتماعية ، فهل كانت حياتي وشخصيتي على ما هما عليه الآن ؟ » . ص ٣٥ .

ان الكاتب هنا يفجر قضية أخرى من أخطر قضايانا ، ليس على المستوى التربوي او الثقافي فحسب بل على المستوى الاخلاقي والحضاري كذلك .. ويمكن أن نرى بعض آثارها في اللقطة التالية : « كنت أراقب عن كثب سلوك زملائي العرب وأقارنه بسلوك زملائي الاميركيين ، وكان أول ما لفت نظري في السلوك الاميركي روح الالتزام والشعور بالمسئولية . كانت الدراسة والمطالعة والتحضير (على سبيل المثال) بالنسبة للطالب الاميركي مهمة أساسية تخضع لها كل الاعتبارات الاخرى . فكان عندما ينفرد في غرفته أو في زاوية من المكتبة، لا يثنيه عن الدرس والمطالعة شيء آخر ، فلا يسمح لنفسه بالراحة أو الترفيه الا بعد أن ينهي ما يتوجب عليه . وكان سلوك الطالب العربي على عكس ذلك تماما . كان دائما على استعداد لان يضع كتبه جانبا اذا سنحت له الفرصة لتناول فنجان قهوة مع فتاة . كان حسه بالمسؤولية مرتبطا دائما بما هو خارج عنه ، بسلطة تقف فوق رأسه ، لا بدافع داخلي يلزمه ذاتيا ، فاذا غابت عنه السلطة الخارجية (سلطة الأب أو الاستاذ) حلت محلها نزعة فوضوية تدفع به الى التهرب من المسؤولية والسعي نحو اللذة . واذا وجد نفسه حرا عجز عن استعمال حريته » ص ١٢٦ .

ويمكن أن نلمح آثار تلك النشأة أو التربية ، في موقف آخر ، أو بالاحرى في ظاهرة نفسية واجتماعية ، يتسم بها الطلاب العرب في الخارج ، ويمكن ملاحظتها بسهولة كما يقول الكاتب ، وتنتهي بهم عادة الى ما يشبه الضياع وانفصام الشخصية ، وهي **ظاهرة الرياء** « فالطالب العربي يموه ويخادع حتى زملاءه العرب ، كان يفعل ذلك تلقائيا ، عن لا وعي . كان اذا سأله الاميركي عن نفسه أو عن أهله أو عن بلده ، أو عن أي أمر آخر ، خادع وكذب في اجابته » و « التظاهر بغير حقيقته » و « فقدان الشعور بماهية ذاتية واضحة » و « لا ثقة له بنفسه ،يحتقر نفسه عن وعي وغير وعي » « فالفرد العربي محاط منذ مولده بأفراد لا يعرفون ذواتهم ، يعيشون في عالم يقوم على الكذب وخداع النفس والآخرين دون شعور بالذنب » ص ١٢٩ .

(٦)

يواصل الكاتب الحديث بعد ذلك عن تجربته السياسية والقومية والروائد والمؤثرات التي انتهت بانضمامه — عضوا عاملا — للحزب السوري القومي الاجتماعي ، كما يتحدث عن علاقته الوطيدة بزعيم هذا الحـــزب ، انطون سعادة حتى اعدامه في سنة ١٩٤٩ . وان كانت السياسة الحزبية لم تعد اليوم تشغل بال الدكتور هشام شرابي فكل « ما يهمني اليوم هو حياة هذا الشـــعب المعذب ، ومصير هذه الجماهير المستغلة المستعبدة ، جميع الافكار والقـــيم والاهداف التي لا تدور حول حياة الشعب ومصير الجماهير لم تعد تمسنى أو تعني لي شيئا » ص ٧٢ . وتلك هي قمة النضج السياسي والقومي .

ومما هو جدير بالذكر ان الكاتب وهو يقص تجربته السياسية ، يؤرخ للحزب السوري القومي الاجتماعي ، ولأهدافه ومبادئه وعن دوره النضالي ، بصورة تجعلنا نعيد النظر من جديد — في ضوء هذه الرؤية — في موقفنا من هذا الحزب وفي مفاهيمنا عنه ، ولم تكن تلك الرؤية عارضة بل سوف يفرد الكاتب بعد ذلك الفصلين الرابع والخامس بأكملهما للحديث عن هذا الحزب من خلال الحديث عن تجربته السياسية بين صفوف هذا الحزب .

(٧)

طبيعي أن يقوده الحديث عن الحزب الى الحديث عن موقف هذا الحزب من القضية الفلسطينية نفسها . . . وطبيعي أيضا أن تقوده القضية الفلسطينية الى الحديث عنها من خلال اثرها عليه وعلى أسرته بوجه خاص ، ومن ثم يتحدث عن طفولته — التي لم يتحدث عنها للان — منذ التحق وهو في السابعة من عمره بمدرسة الفرندز في رام الله ، ثم يتحدث بعد ذلك عن ذكريات طفولته في بيت جده في عكا « التي كانت وما تزال أجمل مدينة في العالم ، فيها أمضيت القســـم الاكبر من طفولتي واجمل ايام صباي » حيث كان يقضي أجازاته الصيفيـــــة والمدرسية في كنف جدته التي كانت تحبه كثيرا ، وينتقي الكاتب بعض المواقف ، يصوغها في لوحات معبرة تستمد أطرها ومضمونها من الموروثات والمعتقدات الشعبية السائدة والتي كانت تمارسها معه جدته في ايمان منقطع النظير ، من جانبها وحدها (الامر الذي اضفى على التجربة الذاتية ابعـــادا اجتماعيـــة وانسانية اخرى ، ولم يكن ذلك تحقيقا لعنصر الخصوصية ، أو توفيرا لطابـــع الصدق في التعبير فحسب) . ومن خلال هذه العلاقة العاطفية النامية بينـــه وبين بيت جده وجدته ، يجد القارىء نفسه فجاة في صميم المأساة الفلسطينية ،

دون أدنى انفعال او وعظ .. وذلك من خلال موقف شخصي ــ بمثابة اللقطة المكبرة ــ وعبر تجربة ذاتية بحتة (لها بعدها الانساني بالتأكيد) حدثت مــع جديه . هذه التجربة الواقعية ــ في رأينا ــ تجسدت من خلالها ابعاد المأســاة الفلسطينية (سياسيا وقوميا) كما لم تجسدها عشرات الاقلام والمنابر ، وتبدأ منذ كانت جدته تحلم بامتلاك بيت مستقل لها ، الامر الذي حققه لها الجد في منتصف الثلاثينات حيث ابتنى لها بيتا جميلا خاصا بها ، وفيه أمضت الجدة مع الجد أسعد أيام حياتهما ، وتنتهي التجربة بانتهاء هذا الحلم ابان النكبة سنة ١٩٤٨ يوم اجبرا على النزوح منه ، مع بقية العرب ، حين احتل اليهود عكا .. فكانت « اقسى تجربة مرت بهما في حياتهما » ومن ثم كانت السنوات الاخيرة من حياتهما ملأى بالحزن واليأس والضياع . ففقدت جدتي مرحها وحيويتها ، **وفقد جدي رشده** ، ولم يعد يتعرف الى الذين حوله . في بيروت اقاما مع خالاتي ووالدتي واخي الاصغر في بيت مؤلف من حجرتين تملكه سيدة تقرب جدتي قرابة بعيدة . توفى جدي سنة ١٩٥٠ . **قبيل وفاته كان يحاول بين آن وآخر التسلل من البيت** في غفلة عن أهله ليرجع الى عكا ، وكان عندما يمسكون به في الشارع يقــــول :

ــ انا بس راجع لبيتي .. انا بيتي في عكا .. ليش ما بتخلوني أرجع لبيــتي ؟

ويأخذ مفتاحا من جيبه ويقــول :

ــ ما بتصدقوني .. هذا مفتاح بيــتي !!

وعندما يعودون به الى البيت يجلس صامتا والدموع تسيل من عينيه ، وتبلل لحيته التي لم تعد جدتي تقصها له كما كانت تفعل في عكا ، ويرفض الكلام زمنــا طويلا ... » ٩٧ .

وهذه التجربة الواقعية ــ دراميا وفنيا ورمزيا ــ في غير حاجة الى تعليق .. فقط من حقي أن اقول ان هذه التجربة ــ التي يمكن أن تحدث لي ولك ، ولكل انسان ــ قد هزتني من الاعماق كما لم يهزني شيء آخر ، بعيدا عن أي وعظ او ارشاد .. ناهيك بدروس الوطنيات التي نقتات ــ نظريا وصحافيــا وادبيا ــ عليها كل يوم ، وفي كل حديث . وهي دروس تقاس فيها قدراتنــا « النضالية » ــ للأسف ــ بمقدرتنا على الصنعة « اللغوية والبلاغية » التي تستنفد طاقاتنا الشعورية الوطنية والقومية فيما يشبه « المخدر » أو « سحر » الكلمة ... ومن ثم لا غرو أن نفتقد الفعل والحركة ... وبذلك نقــــع في « المحظور » الذي اشار اليه الكاتب نفسه من قبل . بل يصبح « النضال » حينئذ نضالا « محفليا » في المناسبات الوطنية والقومية ، وكفى الله العــرب والعروبــة شــر النضــال والتحرر .

مما لا شك فيه ان وطن الكاتب ، منذ غادره لآخر مرة سنة ١٩٤٧ لم يغب لحظة واحدة عن عقله وقلبه ووجدانه ، فهو يراه ماثلا أمامه في كل شيء في أميركا .. وكثيرا ما يجد الكاتب نفسه مدفوعا الى المقارنة بين المجتمع العربي والمجتمع الغربي ، بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون ، لسبب بسيط ، أن المواجهة بين المجتمعين هي في صميمها مواجهة حضارية قبل كل شيء . وهذا لا يعني أن الكاتب قد تملكته عقدة تمجيد الغرب ــ التي تصيب أغلب مثقفينا ــ او يعني أنه رافض العودة الى بلاده أو العيش فيها ، بل ان العكس هو الصحيح ، فالوطن ــ كما نلمح دائما بين الكلمات ــ ليس ارثا جغرافيا أو موروثا ثقافيا وتاريخيا فحسب بل هو انتماء شعوري أيضا ، لا يمكن لمخلص أن ينساه أو يتناساه . صحيح أن المقارنة في اغلب الاحيان تكون لصالح الحضارة الغربية الزاحفة ، ولكن على مستويات محددة ، في مناهج التفكير وطرائق البحث وأساليب التربية وغاياتها ، مما لا يمكن لقارىء منصف أن يختلف معه . نلمح هذا كله من خلال الحديث عن حياته في أميركا ــ في الفصل الثالث ــ حيث يترجم فيه عن فترة تحصيله العالي (الماجستير والدكتوراه من جامعة شيكاغو) وهي فترة يمكن اعتبارها امتدادا للفترة السابقة ، فترة التكوين العلمي والتوجيه الفكري والنمو النفسي للكاتب ، فيحدثنا عن مكتبة الجامعة ودورها الحيوي في اثراء الدراسات الجامعية الجادة ، وعن المواد الدراسية ، وعن مناهج البحث وطرق التدريس ، ويسهب في الحديث عن بعض أساتذته الاعلام الذين تركوا بصماتهم جلية في حياته العلمية والعملية ، ويخص بالذكر « آرنولد برجسترسر » الالماني ، أستاذ التاريخ الالماني ورئيس لجنة تاريخ الحضارة ، الذي يعود اليه الفضل في تحول الكاتب من دراسة الفلسفة الى دراسة فلسفة التاريخ والحضارة الاوروبية (لمجموعة من العوامل الفكرية والدوافع النفسية بينهما) ، فله يدين الكاتب باتجاهه الفكري الجديد الذي أخرجه من عالم الفكر المثالي الغيبي ، وكان يراه بالنسبة له بمثابة « المنقذ النفسي والمعنوي في هذه الفترة » ، يقول الدكتور شرابي معلقا على تلك الفترة : « في تلك المرحلة تكسرت القوالب النفسية العتيقة التي زرعتها ثقافتي الاجتماعية التي جلبتها معي ... فتخلصت من النظرة الفلسفية التجريدية التي ترعرعت عليها ، وبالتالي من مصير الفيلسوف المحترف ، وتفتحت أمامي آفاق وطرق جديدة أدت الى اكتشافي العلوم الاجتماعية وأسسها الحسية العلمية التي حجبتها عني الفلسفة الوجودية المثالية المتعالية عن كل ما هو علمي ومحسوس .. » ص ١٢٠/١٢١ .

(٦)

لقد مضت على اقامة الكاتب في الولايات المتحدة ـــ عند كتابة هـذه الذكريات ـــ ما يقارب الثلاثين عاما ، ومع ذلك لم تقم ـــ كما يقول ـــ بينه وبين المواطن الاميركي اية علاقة **صداقة** بالمعنى الذي نفهمه في المجتمع العربي لأسباب لا مجال لذكرها هنا ، ثم يتحدث بعد ذلك (في نطاق الدوافع النفسية والعاطفية أيضا) عن **الحب** ، وينتقل منه فجاة ـــ في الظاهر ـــ الى الحديث عن **الموت** ، موت الفرد (من الزملاء والاصدقاء والاتراب) وما أكثر هؤلاء الذين اختطفهم الموت في غير أوان ـــ ان كان للموت اوان ـــ حتى اضحت الحياة نفسها أو بالأحرى نهاية الحياة ـــ في رأيه « لم تعد تثير في نفسي شعورا مفجعا » . ثم تتزامن الاحداث والوقائع والتجارب الذاتية والقومية ، فيتحدث عن موت كثير من أفراد أسرته غرباء ، وموت وطنه نفسه سنة ١٩٤٩ (اعلان الهدنة كان بمثابة شهادة الوفاة) ، فيومها « اقتلعت جذورنا ، وفقدنا الارض التي تنغرز فيها حياتنا » (ص ١٣٧ ـــ ١٦٨) ، ويقوده الحديث عن الوطن **الموعود** الى الحديث عن الحزب السياسي من جديد الذي كان ينتمي اليه ، والى الحديث عما كان منعقدا عليه من آمال ، وئدت بدورها حين اغتيل انطون سعادة وتشتت الحزب نهائيا سنة ١٩٤٩ ، ليحتل هذا الحديث بعد ذلك الفصلين الرابع والخامس ، الامر الذي يجعل من الكتاب في جزء كبير منه تاريخا للحزب السوري القومي الاجتماعي .

(١٠)

ليس مصادفة اذن أن يبدأ الدكتور هشام شرابي كتابه بالحديث عن حياته من خلال مأساة لبنان الطائفية ، وأن ينتهي ترجمته بالحديث عن ذاته من خلال مأساة فلسطين القومية . . وقد كتب عليه في الحالين ان يظل يدفع الثمن غاليا ـــ ما دامت الوشائج والنتائج واحدة في الحالين ـــ وأن يعيش مغتربا في خط مأساوي متواصل حتى « تحولت حياتي الى حياة صمت في المنفى » ص ١٦٧ ، وكم من أمثاله يعيش اليوم ـــ داخل الوطن العربي ـــ حياة الصمت ، فهل هذا قدر المثقف العربي الجاد ، منذ استطاعت نظمنا السياسية المتناحرة ، وقيمنا التربوية المتخلفة في « قهر الفرد في صغره ، ومن ثم تكبيله فكريا ونفسيا في الكبر » على حد تعبير المؤلف ؟ . وهل صحيح أن بين مآسينا القومية والطائفية ، أو بمعنى أدق ، بين غيبيات العصور الوسطى المسيطرة علينا ، وتحديات العصر الحديث وروح الحضارة العالمية الزاحفة ، هل صحيح أن « الجمر »

قد انطفأ ، ولم يعد ثمة الا « الرماد » ؟ ان كان الامر كذلك ـــ وارجو الا يكون كذلك ـــ فتلك هي ذروة الهزيمة النفسية للأفراد وللشعوب على السواء ؟ أظن ـــ وارجو أن اكون حسن الظن ـــ أن « الجمر » لا زال كامنا تحت « الرماد » ينتظر من « ينفخ » فيه ، وهذا هو دور المثقف العربي المسؤول الذي ينبغي أن يتجاوز موقفه السلبي الى الرؤيا الثورية الايجابية ، بدلا من استمراء الشكوى، واحتقار الذات ـــ كما يقول ـــ وقد وصلت بنا الى نوع من السادية القاتلة ...

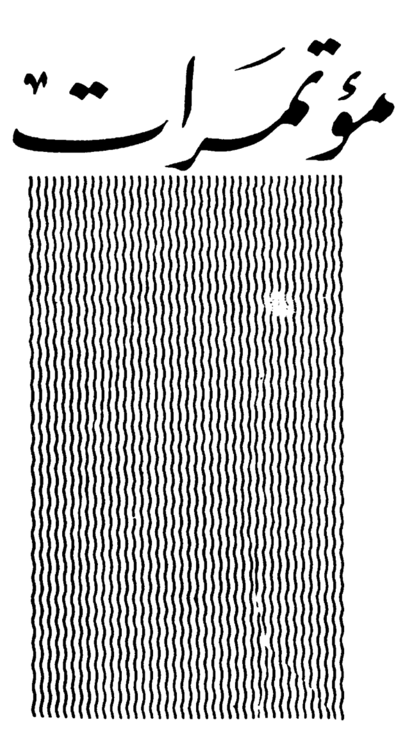
(١١)

ومما هو جدير بالذكر ان الكاتب يقدم ترجمة حياته ، أو بالاحرى ، يصوغ تجربة حياته العاطفية والفكرية ـــ طالبا واستاذا ـــ بعيدا عن روح الادعاء . ادعاء العبقرية أو الذكاء الخارق ، بل ان الكاتب صراحة يجرد نفسه من القدرة الفطرية على « الخلق والابداع » ، وانما النبوغ عنده يتوقف على اخضاع النفس واتباع نظام معين والمثابرة في العمل برغم كل شيء .. هـذا النظام وما يترتب عليه من سيطرة ذاتية تشكل في رأيه أسس النبوغ وحدوده ، متمثلا في ذلك مقولة شارلز ديكنز « ليس النبوغ الا المقدرة على تحمل الجهد المستمر » . الكاتب اذن يصوغ تجربة حياته النفسية والعقلية من غير أن يرتدي مسوح الرهبان أو يتخذ سمت الكهان ومدعي الثقافة ، بل يصوغ تجربته ـــ قولا وفعلا ـــ كما هي بخيرها وشرها ، فنأى بنفسه وبنا عن المبالغة وخداع النفس ، كما نأى بنفسه وبنا عن هذه النرجسية الفردية والقبلية التي تتملك الكثير من المثقفين العرب عند الكتابة عن ذواتهم ، فيتفننون بالايجابيات ، ويخفون السلبيات ، بل يكاد البعض منهم يجعل من نفسه « شهيد » شهداء العصر ، وكأن كل قوى الكون والطبيعة قد تآمرت ضده وضد « نواياه » الحسنة .. في نزعة ميلودرامية عنيفة وغريبة حقا . وهنا تكمن عظمة مثل هذا الكتاب ومؤلفه معا ، وأكبر الظن عندي أن المؤلف لم يقل كلمته الاخيرة ـــ كاملة ـــ بعد . بل سوف نلمح في ثنايا الكتاب ووراء السطور ، أن في جعبة الدكتور شرابي الكثير من الذكريات الهامة ، ربما لم يحن الوقت بعد لاذاعتها ونشرها ، ولكننا في انتظار المزيد مما لم يبح به صاحب هذه التجربة الثرة العريضة ، ذاتيا وقوميا . ولهذا فسوف يبقى هذا الكتاب شاهد صدق على مرحلة هامة من حياة صاحبه ، مثلما يبقى شاهد صدق على مرحلة أساسية من حياة هذا الجيل .

في عبارة أدبية آسرة ، بالغة البساطة ، متناهية الصدق ، شديدة الايحاء، عميقة الدلالة ، جاء اسلوب هذا الكتاب « بسيطا لا تكلف فيه » كما أراد له صاحبه أن يكون . بعيدا عن السرد التقليدي أو التسلسل التأريخي في تراجم الحياة ، معتمدا على أسلوب الذكريات ، لا المذكرات .. وهو أسلوب يقوم على تدوين بعض الاحداث كما تنطبع في صفحة ذهنه ، وكما تأخذ طريقها في منطقة وعيه ، دون ترتيب زمني أو موضوعي سابق ، ذلك أن الذكريات بطبيعتها تتداعى الى الذهن تداعيا حرا ، متداخلا أو متزامنا مع وقائع وتجارب آنية .. الأمر الذي يتجاوز الزمن التاريخي الى الزمن النفسي – فنيا – الامر الذي يسمح لصاحبه بالجمع بين الماضي والحاضر في رؤية واحدة ما دام ذلك يرمي الى احداث التأثير المطلوب في مثل هذه القضايا الحساسة التي أثارها هذا الكتاب ، الذي أراه – بحق – يشكل اضافة نوعية جادة الى كتب هذا الفن الادبي (فن الترجمة الذاتية) حتى لنرى واحدا مثل ادونيس يقول عقب قراءته : « نادرا ما قرأت نتاجا عربيا حديثا هزني ، فتمنيت لو أنني كنت صاحبه ، هذه الامنية استبدت بي حين قرأت مخطوطة هذا الكتاب .. انه كتاب آسر . »

حقا انه كتاب آسر ، جدير بالقراءة والتأمل .




مؤتمرات

ندوة السكان والتنمية في منطقة غربي آسيا

د . يحيى فايز الحداد *

عقدت في الفترة الواقعة بين ١٨ــ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٨ في عمان ندوة اقليمية حول السكان والتنمية ، قام بتنظيمها والدعوة لها اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا التابعة للامم المتحدة (اكوا ECWA) وذلك بالتعاون مع دائرة الاحصاءات العامة (الاردن) والجامعة الاردنية .

والهدف من اقامة هذه الندوة استعراض النظريات الخاصة بالعلاقة المتبادلة بين السكان والتنمية وتطبيقاتها في منطقة غربي آسيا ومناقشتها على أعلى المستويات الفنية .

المشتركون في الندوة :

شارك في هذه الندوة ممثلو اثنتي عشر دولة عربية في غربي آسيا على مستوى كبار الخبراء في شؤون التخطيط بالاضافة الى منظـمة التحريـر الفلسطينية . كما حضرها ممثلون عن عدد من منظمات الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة بالاضافة الى بعض المنظمات غير الحكومية والمنظمات الاقليمية العربية . كما شارك في الندوة ايضا بعض الاساتذة الذين يمثلون عددا من الجامعات في المنطقة ــ الجامعة الاردنية ، جامعة اليرموك بالاردن ، جامعة الكويت ، الجامعة الامريكية ببيروت ، جامعة العين في دولة الامارات العربية ، جامعة الرياض ومعهد البحث الاجتماعي بدمشق ــ .

الابحــاث والدراســات :

تناول جدول أعمال الندوة عددا من الموضوعات اهمهــا : الهجــرة الخارجية وخاصة هجرة العاملين العرب ما بين الدول العربية وهجرة الكفاءات العربية الى خارج المنطقة . وقدمت الى الندوة دراسات حول هذه الموضوعات وحول السياسات الكفيلة بحل المشاكل المتعلقة بهذه التحركات السكانية ، منها دراسة عن قوانين الهجرة والتجنس الخاصة ببعض دول المنطقة المصدرة والمستوردة للقوى العاملة .

---

* استاذ الاجتماع بكلية الآداب في جامعة الكويت .

كما بحثت الندوة ثلاث دراسات أعدها البنك الدولي ومنظمة العمل الدولية وشعبة السكان في اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا ، وتتضمن هذه الدراسات التقديرات الاولية للكميات الفعلية من القوى العاملة العربية الموجودة في كل بلد واتجاهات التحركات العمالية خلال السنوات الماضية .

وقد بحثت الندوة ايضا في تحركات السكان الداخلية وخاصة الهجرة من الريف الى المدن وبالتالي هيمنة المدن الكبرى على بقية مدن ومناطق البلاد بحيث انها تحتوي على القسم الاكبر من الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية للدولة ، مما ينجم عنه حرمان مناطق واسعة من هذه الفعاليات ، حيث يكون لذلك تأثير كبير على مستويات المعيشة في هذه المناطق .

وتم ايضا مناقشة دراسات تتضمن تحليلا للمشاكل الناجمة عن التحركات السكانية ، وخاصة فيما يتعلق بقوة استيعاب المدن الكبرى وامكانية خلق البديل لها من خلال تنمية مدن أخرى وتنمية المناطق الريفية .

كما جرى خلال الندوة نقد وتقييم للتنمية العربية ونتائج النمو السكاني ونماذج تخطيط الاقتصاد الشامل ، والامراض والوفيات والتنمية ، والانجاب والتنمية ، وتحولات الخصوبة مع اشارة خاصة لمنطقة غربي آسيا ، وتطور العائلة في المجتمع الاسلامي ، والتغيرات في دور المراة العربية وتكوين الاسرة ، والبداوة والتوطين وتخطيط المدن العربية .

الوثائق الخلفية المقدمة الى النـــدوة :

- انتقال الخصوبة مع اشارة خاصة الى منطقة اللجنة الاقتصادية لغربي آســـيا ، اعداد جون س . كالدويل وبات كالدويل .
- مظاهر وعوامل استقرار قوة العمل الوافدة الى دولة الكويت ، الجـــزء الاول : مظاهر الاستقرار ، اعداد صفوح الاخرس .
- نماذج تخطيط الاقتصاد الشامل : أفكار حول التجربة العربية ، اعداد هـــنري عـــزام .
- التحضر في العالم ، نظرة في النشأة والتطور ، اعداد فتحي ابو عيانة .
- قوانين الهجرة والتجنس الخاصة بجمهورية مصر العربية ولبنان وســـوريا والمملكة الاردنية الهاشمية والكويت والامارات العربية المتحدة ، اعداد جـــورج ديـــب .

- تطور العائلة المسلمة في الشرق العربي ، اعداد ادوين ت . بروثر ولطفي ن . دياب .
- الدور المتغير للمرأة العربية ، اعداد هدى زريق .
- الوفاة والمرض والتنمية ، اعداد ساموبل هـ . بريستون .
- الخصوبة والتنمية : النظرة الاسترلينية ، اعداد ريتشارد استرلين .
- العامل الديموغرافي في انظمة المستقبل ، اعداد ليون تابا .
- تخطيط المدن العربية ، دراسة خاصة لمدينة بيروت ، اعداد مروان محسن .
- الوفيات واختلافاتها في دول منطقة غربي آسيا ، اعداد شعبة السكان في اللجنة الاقتصادية لغربي آســيا .
- هل العالم العربي مكتظ سكانيا ؟؟ نظرة على واقع خمس من الدول العربية الاقل نموا ، اعداد بول شـــو .
- تقييم ونقد للتنمية الاقتصادية العربية ، اعداد يوسف صايغ .
- المدن الكبرى (المهيمنة) في الوطن العربي ، اعداد فتحي ابو عيانة .
- الهجرة الدولية في العالم العربي ، اعداد و.ر. بونينغ .
- الهجرة الدولية في العالم العربي ، اعداد س . بيركس و ك.أ. سنكلير .
- هجرة العمال في الشرق الاوسط : الابعاد الاقتصادية ، اعداد ظافـــر اتشـــافيت .

النتائج التي توصلت اليها الندوة :

أجمعت مناقشات أعضاء الندوة على أن التجربة الانمائية التي تمر بها البلاد العربية في الوقت الحاضر هي تجربة فريدة من نوعها لانها تتسم بفائض رؤوس الاموال وقلة اليد العاملة ولربما الارض . وأجمع اعضاء الندوة على ضرورة توطين واقلمة النظريات الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالتنمية وعدم استيرادها كما هي ، وضرورة الانتباه الى التوزيع السكاني داخل البلد ، وأنه وان كانت الهجرة من الريف الى المدن ومن البادية الى الحضر ليست مســـألة سلبية بشكل عام الا ان تنظيمها قد أصبح أمرا ضروريا في التنمية العربية .

وقد حضر الامير حسن ولي عهد الاردن اللقاء الاخير للنــدوة وتراس الجلسة الختامية التي طرحت فيها خلاصة المناقشات التي توصلت اليها الندوة في المجالات التالية :

أ ــ جمع البيانات ونشر البحوث
ب ــ السكان والتنمية
جـ ــ السياسات السكانية
د ــ المراة والاسرة والصحة
هـ ــ قوانين الهجرة والتجنس

واما اهم الاستنتاجات التي عرضتها الندوة فهي كالتالي :

أ ــ جمع البيانات ونشر البحوث :

+ وضع برامج متكاملة لجمع بيانات الموارد البشرية وتطويرها ونشرها بما يتناسب واهداف التخطيط الاقتصادي والاجتماعي ومراعاة توحيد المصطلحات والمفاهيم والتصنيفات ، وتدريب العاملين عليها .

+ انشاء بنك للمعلومات الخاصة بالسكان والتنمية لدول غربي آسيا والاهتمام بتوثيق ونشر البحوث المتعلقة بالسكان والتنمية .

ب ــ السكان والتنمية :

+ اعتبار المنطقة العربية لا تشكو من النمو المتسارع للسكان بل من سوء توزيعهم .
+ ادخال العامل السكاني في خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية .
+ التوصل الى استراتيجية تنمية عربية موحدة ، والاهتمام بالتخطيط بعيد المدى .
+ مراعاة التنسيق والتكامل على الصعيد العربي في مجال استخدام الفوائض المالية والفوائض البشرية .
+ دراسة المتغيرات الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية التي تؤدي الى النزوح من الريف الى الحضر ، وقياس الهجرتين الداخلية والخارجية ، والتركيز على ظاهرة التحضر واعطاء اهتمام اكثر لتخطيط المناطق الحضرية .

+ احداث التوازن بين عمليات نقل التكنولوجيا وبناء القابليات التكنولوجية في الوطن العربي بهدف تطوير القدرات الذاتية فيه .

جـ ـ السياسات السكانية :

+ مراعاة التكامل بين السياسات السكانية والسياسات الاقتصادية والاجتماعية .

+ تقليص الفوارق بين الريف والمدينة والتأكيد على اهمية انعاش الريف ، وتوفير الحد الملائم من المرافق والخدمات وفرص العمل للسكان الريفيين بغية زيادة ارتباطهم بالريف وتخفيف الهجرة الى المدن .

+ توفير الشروط الموضوعية التي تحفز العقول المهاجرة الى الدول الاجنبية للعودة الى الوطن العربي والتي تضمن ايضا الاحتفاظ بالكفاءات المحلية داخل الوطن . واعتبار الهجرة داخل المنطقة العربية ظاهرة ايجابية .

+ اعطاء التسهيلات اللازمة لتنقل الفلسطينيين بين البلدان العربية ، وتوفير فرص العمل لهم ومشاركتهم في التنمية العربية .

+ تأكيد حق الشعب العربي الفلسطيني بالعودة الى وطنه ، واعتبار التهجير الاجباري للفلسطينيين من أرضهم المحتلة مشكلة سكانية خطيرة يتوجب دراستها .

+ توسيع القاعدة التعليمية ، ومحو الامية ، مع التطوير النوعي للعملية التربوية ، وزيادة الاهتمام بالتأهيل والتدريب ، لما لذلك من أثر فعال على بنية المجتمع وتنميته .

د ـ المرأة والاسرة والصحة :

+ دعم مراكز الطفولة والامومة ، والتوسع بانشائها ، والاهتمام بصحة الاسرة ، مع التركيز على فئات السكان الاكثر حاجة ، وتطبيق نظام الضمان الصحي والتوسع فيه ، والعمل على استصدار التشريعات اللازمة في هذا المجال .

+ اعتبار تخطيط الاسرة حقا من حقوق الانسان تمارسه الاسرة بحرية وبرعاية الدولة .

+ زيادة مشاركة المراة في قوة العمل ، وتوفير شروط عمل افضل لها ، وزيادة فرص التعليم أمامها ، وتأمين التدريب اللازم لها ، مع التأكيد على قيمة الرعاية الحقة للطفل وقيمة الروابط الاسرية القوية في نمـــو وتطور الاطفـــال الذيـــن هم قاعدة المجتمع المقبل .

هـ ـ قوانـــين الهجرة والتجنس :

+ تعديل اسلوب اخراج المهاجر من اراضي الدولة المضيفـــة باسلوب اداري بسيط الى اسلوب احالته على القضاء وصدور حكم قضائـــي يثبت التهمة الموجهة اليه .

+ ضمان حق المهاجر في اصطحاب اسرته الى المهجر صونا لوحدة العائلة ولحقهـــا في العيـــش المشـــترك .

+ استثناء أسرة المهاجر من تشريعات سحب الجنسية بالتبعية .

هذا ومن ابرز النقاط التي طرحها الامير حسن والتي يتبناهـــا على الصعيدين العربي والعالمي مسألة تعويض الدول النامية المصـــدرة للقـــوى العاملة المتخصصة وغير المهنية بالاضافة الى الكفاءات في الميادين المختلفة من قبل الدول المتقدمة والدول الاخرى التي تستورد الطاقات البشرية .



المؤتمر الدولي الثاني حول سوء معاملة الأطفال واهمالهم

(المنعقد في لندن في الفترة الواقعة ما بين ١٢ـ١٥ ايلول ١٩٧٨)

د. محي الدين توق *

عقد المؤتمر الدولي الثاني حول سوء معاملة الاطفال واهمالهم Child Abuse and Neglect في الكلية الملكية للعلوم والتكنولوجيا بلندن تحت رعاية سمو الاميرة مارجريت لبحث الامور المتعلقة باساءة معاملة الاطفال واهمالهم باشتراك مندوبين عن تسع وعشرين (٢٩) دولة لم يمثل فيها من الدول العربية سوى الاردن وقد مثله عضو من الجامعة الاردنية وآخر من رجال القضاء وثالث من العاملين في الخدمة الاجتماعية ، وقد بلغ عدد المشتركين في هذا المؤتمر حوالي ١٢٠٠ مشترك من الاطباء وعلماء النفس والاجتماع والتربية والتمريض والامن والخدمة الاجتماعية ورجال القانون والقضاء .

لقد كان الموضوع الاساسي الذي قام عليه المؤتمر هو بحث موضوع « سوء معاملة الطفل في العائلة والمجتمع » وقد خصص المؤتمر بحثا واحدا لكل يوم من أيام المؤتمر كما يلي :ـ

١) مسؤولية المجتمع المحلي نحو العائلة والطفل المستغل .

٢) المشاكل والصعوبات التي تواجهها العائلة .

٣) الطفل المستغل ، تطوره واحتياجاته .

وقد كان للمؤتمر غايات أربع هي : ـ

١) خلق جو يتمكن فيه العاملون المحترفون وغير المحترفين ، بنتيجة تبادل الاراء والخبرات من توسيع افاقهم وتقوية قدراتهم على وضع حد لاستغلال الاطفال واهمالهم ، وكذلك مساعدة العائلة التي تعيش في محنة .

٢) بعث الاهتمام لدى المختصين في كافة الحقول والمتطوعين والاداريين للاستفادة من وسائل الخدمات التي تهدف الى حماية الطفل .

---

* رئيس قسم علم النفس بالجامعة الاردنية .

٣) ابراز ما حققته البرامج المستحدثة في مختلف الاقطار .

٤) تشجيع الجماعات المحلية ومساعدتها على تنمية البرامج الخاصة بالمجتمعات التي تعيش فيها تلك الجماعات .

لقد درج المؤتمر على عقد جلسة عامة في صباح كل يوم من أيام المؤتمر يتوزع بعدها المشتركون على قاعات خصصت كل منها لبحث موضوع من المواضيع المطروحة . وفيما يلي ملخص لابرز النقاط التي ركز عليها المؤتمر :ـ

أ) في المجال القانوني

١) ان زيادة ملحوظة قد حصلت في السنوات الاخيرة في العالم كما كشفت عنها الاحصاءات ، في مجالات استغلال الاطفال خاصة من الناحية الجنسية بحيث أصبح من الضروري الاهتمام بوضع تشريعات جديدة تعالج مثل هذه الامور .

٢) ان للطفل حقا في الحصول على الحماية من الاقوياء الذين يسيئون معاملته ويعتدون عليه مما يوجب سن القوانين التي تفرض العقوبات على من يعتدي على حق الطفل هذا .

ان الحرص على حماية الطفل من الاعتداء قد افرز بعض الاراء التي تقول بأنه يجب أن تعطى الحرية للطفل مهما بلغ سنه في اتخاذ الاجراءات القانونية ضد من يعتدي عليه ولو كان الاعتداء جنسيا ، فللطفل ان يقرر السير في تلك الاجراءات ام لا اذا كان الفعل قد تم برضاه وموافقته .

لا شك أن الرضى حالة مرهونة بالسن ، فالسن الذي يقرر الاهلية كما نصت عليه قوانيننا يختلف عما ذهب اليه الباحثون في هذا الموضوع .

٣) لقد اتى هذا البحث ايضا على جرائم السفاح فرؤي ان تعالج هذه الجرائم بصورة عقلانية وتجنبا لمضاعفات قد تؤدي اليها مثل هذه الجرائم فقد رؤى ان تنحصر معالجة مثل هذه الجرائم ، ان كان لا بد من معالجتها قضائيا ، في محكمة تسمى محكمة العائلة Family Court

ان اقتراحا كهذا لا شك ان له فوائد كبيرة في مجتمعنا العربي فانشاء محكمة كالمشار اليها ينطوي على خطوة كبيرة في تطوير المجتمع خصوصا اذا ما كان لقضاة مثل هذه المحكمة الحق في دراسة الاوضاع

الاجتماعية التي تسود العائلة التي وقع فيها مثل ذلك الحادث كما هو الحال بالنسبة لمحاكم العائلة في البلدان الاخرى .

٤) لقد كان انتشار الانحراف الخلقي والاباحية بين الاولاد ظاهرة استشرت في المجتمعات الصناعية الكبيرة بحيث عجزت القوانين الحالية عن معالجة هذا الانحراف أو وضع حد له لذا أصبح لزاما على المجتمع أن يلجأ الى وسائل التوعية والتوجيه في محاولة للقضاء على مثل هذه الاباحية .

٥) تطوير الوسائل التقنية لمعرفة عدد ونوع الحالات التي يتم فيها استغلال الاولاد والسفاح وتحسبا من المضاعفات القانونية فقد طرح البحث حول اجراء المقابلات الشخصية الناجعة التي تكشف تلك الحالات ووضع الوسائل التي تعيد للطفل ثقته بنفسه واشعاره بأنه فرد له قيمته في المجتمع .

٦) الطفل المستكن (الطفل قبل ولادته) لقد تركز البحث على حالة المرأة الحامل واستعمالها للمخدرات التي بطبيعتها لها تأثير سيء على الطفل. لقد عالج القانون الامريكي مثل هذه الحالات ووضع قواعد لحماية الطفل قبل ولادته اذ اعتبر القانون الامريكي لبعض الغايات المستكن طفلا خصوصا اذا دخل الحمل في الاشهر الثلاثة الاخيرة .

هنالك اتجاه على اعتبار تجريد العائلة من الطفل عندما تعجز أو تفشل في تقديم الضروريات له أو تعرض حياته للخطر وأخذ الطفل منها ووضعه في مراكز خاصة بالرعاية عملا قانونيا بموجب تشاريع وضعت لهذه الغاية .

٧) دور الشرطة في التحقيقات المتعلقة بالاطفال . اذ ان الانظمة القانونية عامة تشترط أن تجري التحقيقات في الجرائم من قبل رجال الشرطة وقد نتج عن ذلك ان لحق ضرر بمصلحة الطفل بحيث حالت تلك التحقيقات دون تمكين الباحث الاجتماعي من تأدية دوره الهادف لمصلحة الطفل ورؤي أن يتولى ذلك اخصائيون اجتماعيون .

ب) في مجال نمو الطفل المستغل وحاجاته

١) تؤكد احدى النظريات السيكولوجية في هذا المجال ان عوامل الحصر والضغط التي يتعرض لها الابوان وخاصة في المجتمعات سريعة التغيير والنمو لها علاقة بحالات استغلال الاطفال .

٢) بينما تؤكد بعض النظريات الاخرى الى أن التعلم الخاطيء لاساليب مجابهة الاحباطات أثناء فترة الحياة هو الذي يؤدي الى خلق استعداد لدى الابوين لامكانية استغلال الطفل والحاق الاذى به . ومن الملحوظ أن هاتين النظريتين ليستا متعارضتين بالضرورة .

٣) تختلف الاراء في هذه المرحلة من تطور الابحاث في هذا المجال فيما اذا كان استغلال الاطفال واهمالهم يعتبر بحد ذاته عرضا مرضيا (نفسيا) أم انه نتيجة لتوترات واضطرابات نفسية عند الابوين ، ولو ان البحث يميل الان الى تأكيد الاتجاه الثاني .

لقد كشفت الدراسات عن أعراض سيكولوجية مرضية متعددة عند الابوين المستغلين لاطفالهما .

٤) تظهر الدراسات بشكل متزايد ان للطفل المستغل والمتأذى وبخاصة جنسيا ــ مظاهر نمائية لا سوية بالمقارنة مع الاطفال العاديين وبخاصة فيما يتعلق بتكيفه الشخصي ــ اي علاقته مع ذاته ــ وبتكيفه الاجتماعي ، اي علاقته مع الاخرين .

٥) تشير كثير من الدراسات الى وجود علاقة ارتباطية قوية بين استغلال الاطفال ومظاهر القصور في نموهم اللغوي والحركي والعقلي ، كما تشير الى وجود علاقة واضحة ما بين الاستغلال ومظاهر التخلف العقلي والجنوح والعدوان عند الطفل المستغل .

٦) هناك الكثير من اساليب التدخل Intervention ومنع حدوث الظاهرة Prevention ولكن لا يبدو بأن البحث في هذا المجال قد تطور بما فيه الكفاية حيث أن معظم ما عرض من دراسات تشير الى حالات خاصة من نوع دراسة الحالة Case History كما يبدو بأن استراتيجية التدخل تعتمد الى حد كبير على نوع الحالة وطبيعة العائلة ونظرا لاهمية هذا الموضوع فقد خصص المؤتمر الدولي الثالث الذي سيعقد في هولندا لبحث موضوعي التدخل والمنع .

٧) تتركز بعض الدراسات الان حول تحديد خصائص العائلة التي يمكن أن تستغل الطفل وذلك من أجل التنبؤ سلفا بامكانية حدوث الاستغلال ووضع الخطط والاساليب للوقاية وتجدر الاشارة هنا الى أن الفوارق الحضارية والثقافية بين المجتمعات لا تسمح بتعميم نتائج الدراسات على مجتمعات غير المجتمع الاصلي الذي اجريب عليه الدراسة ، ولذا فلا بد للدارسين في كل مجتمع من تحديد ملامح الاسر التي يمكن أن تستغل اطفالها .

جـ) في مجال الرعاية والخدمـــات

١) الرعاية المؤسسية ، ويقصد بذلك الرعاية داخل المؤسسات وقد دلت الدراسات على ان الاطفال الذين ينزلون في هذه المؤسسات يتعرضون لمعاملة موحدة ، بغض النظر عن احتياجاتهم الفردية ، تسلبهم ذاتيتهم الفردية وتضعف عندهم الشعور الاسري ، غالبا ما تساء معاملــة الاطفال في هذه المؤسسات .

٢) التبني كبديل للرعاية المؤسسية وهو اجراء يتضمن دفع نفقات خاصة لبعض الاسر ذات التاريخ الاجتماعي الحسن لاخذ طفل مستغل لفترة زمنيــة يتفــق عليهـــا .

٣) الاسر البديلة ، وهو انتزاع الطفل من اسرته اذا ثبت استغلاله من قبل الابوين ووضعه في اسرة بديلة فيها مقومات الاسرة السليمة ، ومن الممكن دفع تعويض لهذه الاسر ولكنها غالبا ما تكون متطوعة . ومن الجدير بالذكر ان في الاردن الان ما يزيد على الألف اسرة بديلة .

٤) ركز المؤتمر على دور المجتمع المحلي في محاربة استغلال الاطفال هذا الدور الذي لا يحتل سوى مكانة بسيطة في المجتمعات الصناعيــة بالمقارنة مع المجتمعات التقليدية ، ان الاجتماعية الرسمية السائدة في المجتمعات الصناعية لا تستطيع أن تقوم بكل الدور في مواجهــة المشكلات التي افرزتها التنظيمات الحديثة لهذه المجتمعات . فالاسرة الممتدة على سبيل المثال تقدم خدمات جلى في المجتمعات التقليدية مما يوفر على الدولة جهدا كبيرا وتكلفة باهظة . ولذا فان من واجــب الدول الصناعية مساعدة الدول النامية في تحديث اساليبها وتقديم التوجيه والارشاد من خلال مؤسسات متخصصة وليس طرح بدائل عن الخدمـــات الحاليــة .

٥) ركز المؤتمر على اهمية التوعية للاسر في المجتمعات المكتظة لتقديــم العناية والرعاية الكافية لابنائهم وعدم اهمالهم لكي لا يقعوا فريسة للمنحرفين والمستغلين ، ذلك ان الكثير من الانحراف والاســتغلال يحدث في المجتمعات والاحياء المكتظة بالسكان .

٦) ركز المؤتمر على أهمية التخطيط الاسري ذلك ان الدراسات تشـــير بشكل واضح الى أن الكثير من الاستغلال يحدث ضمن الاسر كثيرة العدد نظرا لتوافر الاسباب النفسية والضغــوط الاقتصاديـــة والاجتماعية في مثل تلك الاســـر .

لقد كان المؤتمر مناسبة جيدة لان يتبادل فيها المشتركون الاراء والخبرات في مختلف الحقول التي طرحت للبحث خصوصا ما يطبق منها في البلدان النامية على اختيار ما يتلاءم وظروف مجتمعاتهم وبيئاتهـــم .

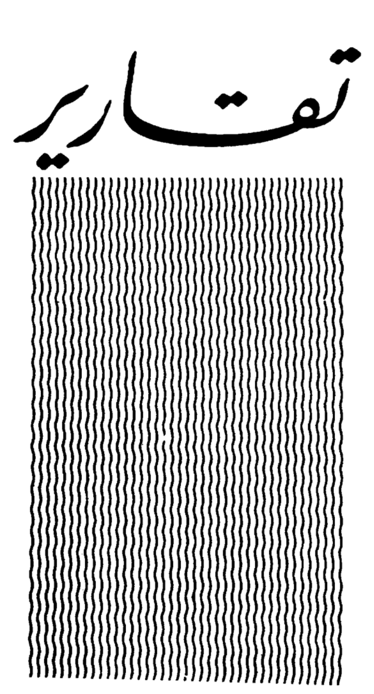
تقدم في هذا المؤتمر حوالي (٢٠٠) بحث وتقرير جاءت معظمها من الدول المتقدمة وبشكل خاص من الولايات المتحدة ودول غرب أوروبا ، ولقد أظهرت بعض الاوراق حقائق مذهلة عن حجم مشكلة اساءة معاملة الطفل الجسدية والنفسية منها مثلا ان طفلين يموتان يوميا في الولايات المتحدة ويكون السبب في موتهما احد أبويهما . ولذا فقد ركز المؤتمر على اساليب كشف حالات ســـوء المعاملة والاجراءات الوقائية والعلاجية . ونظرا لاستشـــــراء هذه الحالات وتزايدها السريع فقد تقرر أن يكون موضوع المؤتمر الدولي الثالث الذي سيعقد في أمستردام سنة ١٩٨٠ متركزا حول سبل منع ظاهرة الاساءة وطرق التدخل عندما تقع المشكلة .

وككل المؤتمرات المتعلقة بالمشاكل الاجتماعية فقد غابت التقارير والابحاث عن الدول النامية ولعل ذلك يعطي انطباعا خاطئا بأن مشكلة اساءة معاملة الطفل واهماله ظاهرة ترتبط مع المجتمعات الصناعية المتقدمة . ان دول العالم الثالث بأمس الحاجة لاجراء دراسات ميدانية للتعرف على حجم وانماط مشكلة اساءة معاملة الاطفال ، ذلك ان هناك أنماطا من الاساءة قد تكون خاصـــة بالدول النامية يسهل البحث على الكشـــف عنهـــا .

وفي ختام المؤتمر ركز الدكتور هنري كمبي رئيس الجمعية الدولية لمنع اساءة معاملة الطفل واهماله على اهمية زيادة المشتركين من دول العالـــم الثالث واكد على أن الجمعية ستخصص مبالغ من المال لاستقدام وفود من هذه الدول . ولعل هذا التقرير ينبه العاملين في المجالات الاجتماعيـــة في الوطـــن العربي الى اهمية الموضوع ووجوب المشاركة في بحثه ودراســـته اعدادا للمؤتمـــر الدولي الثالث .

■ ■ ■

تقاریر



الخبرة الأجنبية في التدريس الاعلامي للدول العربية

د. نبيل دجاني *

مقدمـة :

موضوع الخبرة الاجنبية في بلادنا العربية قديم ومؤلم . قديم قدم تراجعنا الحضاري نتيجة لعصور الاستعمار المظلمة التي مررنا بها ومؤلم لانه يمثل حاليا امرا واقعا يفرضه علينا تخلفنا وليس أمرا نسعى اليه من موقع الامة المتطور التي تبغي تلقيح خبرتها بالجديد من الخبرات الاجنبية .

فالخبرات الاجنبية التي نحصل عليها غالبا ما تفرضها علينا ظروفنا السياسية أو الاقتصادية أو كلاهما معا ، وهي عادة تأتينا لان حصولنا عليها يناسب الدول الصناعية المتقدمة التي ترسلها لنا ، أو لانها فشلت في هذه الدول فسعت الينا لعدم تمكنها من العمل في بلادها .

لن أتعرض هنا لبحث خلفية الخبرة الاجنبية في العالم العربي فهذا البحث متشعب ويلزمه الكثير من التفاصيل التي ليست لدي حاليا . ما أود ان اتعرض له هو وضعنا الحالي في تدريس الاعلام ودور الخبرات الاجنبية في هذا الوضع وسأعرض بصورة سريعة تطلعي للدور الممكن والافضل لدور الخبرات الاجنبية في تدريس الاعلام العربي ، آملا في مناقشتكم لهذا التطلع والانتهاء من هذه المناقشة برؤية أوضح وراي أصوب .

وضع تدريس الاعلام في العالم العربي :

الصورة العامة التي يكونها الباحث في مناهج الاعلام في العالم العربي ، والتي تؤكدها التقارير التي بين أيدينا من الدكتور أحمد حسين والاستاذ حمدي قنديل تشير بوضوح الى أن الوسائل الموجودة لدى معاهدنا الاعلامية تقصر دون الغايات التي نسعى اليها . فهنالك أولا نقص كبير في هيئات التعليم والتدريب ، نقص نوعي ونقص كمي ، وهنالك أيضا نقص في أجهزة التدريب العملي ونقص في المؤلفات والمراجع العمية في الدراسات الاعلامية .

والنقص النوعي في هيئات التعليم والتدريب هو أخطر ما نعانيه . فمعظم اساتذة الاعلام في معاهدنا غير متخصص علميا في حقل الاعلام بل هم على الارجح اما ممن مارس مهنة الصحافة ، مكتوبة كانت أم مسموعة ، أو ممن

* استاذ الاعلام بكلية الآداب والعلوم في الجامعة الامريكية ببيروت .

تمكن من لغته كتابة أو خطابة . وهذا يعود الى أن مجتمعنا لا يزال حتى اليوم يتأثر بالعقلية العثمانية القديمة فكل من اجاد الخطابة والكتابة فهو « اعلامجي » يحق له أن يمارس الاعلام ، بل ان يحاضر فيه .

ونتيجة لهذه النوعية في هيئاتنا التعليمية كانت لنا مناهج ضعيفة وغير مدروسة بل ان معظمها مستعار من مناهج معاهد اخرى . وكذلك المواد التي نقررها لطلابنا مواد غير مترابطة مع بعضها البعض . فالمواد التي لها علاقة بمجتمعنا « ترقع » مع المواد المستوردة . وغالبية هذه المواد ليست أساسية في اعداد رجال اعلام بالمعنى الصحيح . وفي الوقت نفسه نرى غالبية المواد التي يجب ان تكون اساسية لاعداد رجال اعلام المستقبل مهمل كالتخطيط الاعلامي ، ووسائل الاعلام التقليدية ، ودور الاعلام في التنمية الوطنية ، وغيرها . حتى تاريخ الصحافة العربية بمحتواه الصحيح ، مهمل وغير مقرر . وبالاضافة الى ذلك فليس لهذه النوعية من الاساتذة امكانية انتاج الابحاث أو الكتب الجامعية التي نحن في أمس الحاجة اليها في هذه المرحلة .

ونظرة سريعة الى الكتب العربية في حقل الاعلام ترينا أن معظمها اما تراجم أو مؤلفات ركيكة اغلبها لا يحتوي على جديد بل ما هو الا افكارا اجنبية مستعارة . وفي كثير من الاحيان حتى هذه الافكار الاجنبية المستعارة تكون مشوهة وغير دقيقة في نصها العربي .

اما أبحاث اساتذتنا فهي نادرة ندرة المطر في صحرائنا . وندرتها لا تعود الى نوعية هيئاتنا التعليمية فقط اذ ان بعض اساتذتنا العرب من نوعية جيدة ، بل ممتازة ، ويمكنها أن تقوم بأبحاث على مستوى عالمي . غير ان هذه النخبة من الاساتذة لا تتوفر لها الامكانات المادية لاجراء ابحاثها . وكذلك لا تتوفر لها الحوافز التي تتوفر لامثالها في الدول الصناعية المتقدمة كاعفائها مثلا من تدريس احدى المواد التي تدرسها كي تخصص وقتا أكبر لبحثها . ويساهم ايضا في ندرة ابحاثنا الاعلامية النص الكمي للمتخصصين في الاعلام اذ أن الكثير من الابحاث المتقدمة تستلزم فريقا من العلماء وهذا ما لا يتوفر في اغلب معاهدنا .

وسبب اخر لتقصير وسائلنا التدريسية يكمن في الاهمية الثانوية التي تعطيها دول العالم العربي للعمل الاعلامي . فهذه الدول تخصص جزءا يسيرا جدا ، وغير كاف ، من ميزانياتها للقطاع الاعلامي . أضف الى ذلك أن مؤسساتنا الحكومية والخاصة تشدد على الانتاج الاعلامي على حساب اعمال اعلامية اساسية كالبحث والتقييم والتدريب والتوزيع الصحيح ، اي انها لا تنظر الى العملية الاعلامية ككل وبالتالي فهي لا تقبل فكرة الاعلام كعلم

له دوره الهام في التنمية الوطنية فلا تساهم هذه المؤسسات في تمويل الابحاث الاعلامية أو حتى في مسح الامكانات الاعلامية في مجتمعاتنا كي تستفيد من هذه الامكانات .

وضع تدريس الاعلام الذي نحن فيه فتح المجال واسعا امام الخبرات الاجنبية كما فتح المجال امام « الاعلامجية » والصحافيين المارسين . ووجود الخبراء الاجانب « والاعلامجية » والصحافيين المارسين في هيئات تدريس الاعلام ليس بالضرورة سيء في حد ذاته . ما يجعله سيئا هو ان هذه الفئات هي أساس هذه الهيئات . وكما أشرت في مقدمتي لهذا البحث فالسيء في استخدام الخبرات الاجنبية والصحفيين المارسين « والاعلامجية » هو في كون هذه الفئات هي التي تختارنا ولسنا نحن الذين نختارها .

الاساتذة الاجانب الذين يأتون الينا اختارونا اما لاجراء ابحاث تهمهم او لعدم وجود وظائف مناسبة لهم في بلادهم . ومعظمهم لا يعرفون حضارتنا ولا توفر لديهم المعلومات الكافية عن وسائل الاعلام واجهزته في العالم العربي ، وبالتالي فما يدرسونه لطلابنا لا علاقة له بمجتمعنا . فالخبير او الاستاذ الاجنبي ليس مطلع عادة على خصائص بلادنا ومميزاتها وبالتالي فهو لا يدرك ما وراء المشاكل الاعلامية أو التقنية . والعامل الحضاري هو من العوامل الاساسية التي يجب اعتبارها في جميع مجالات التدريس والتدريب الاعلامي . فتدريس مادة دور الاعلام في المجتمع الحديث ، مثلا ، يتطلب معرفة المجتمع العربي وتفاعله مع وسائل الاعلام العربية ، وتدريس مادة دور الاعلام في التنمية الوطنية يتطلب ، فيما يتطلب ، معرفة مشاكل التنمية في المجتمعات العربية . حتى تدريس مادة متخصصة كالهندسة الاذاعية يستلزم معرفة المجتمع لربط تقنية الاذاعة بحاجات المجتمع . فالتكنلوجيا يجب أن تكون خادمة للانسان في حقل بناء وتطوير وسائل الاعلام وليس العكس . والصعوبة الحقيقية هي في اندماج التكنلوجيا مع البنية الاجتماعية . فاعتماد التكنلوجيا يتسبب بنمط جديد في العمل وباسلوب جديد ايضا في الانتاج وحتى بمحتوى جديد . ومن هنا يتوجب على اساتذة المواد التقنية في الاعلام اقتراح أساليب لتكييف التكنلوجيا المستوردة مع حاجات المنطقة واوضاعها .

وحتى عندما لا يكون للعاملين السياسي والاقتصادي اثر في اختيارنا للخبراء الاجانب يكون هذا الاختيار ، في كثير من الاحيان ، متأثر بشعورنا بالتخلف وبالرغبة في القفز الى تبني التقنية الحديثة ، أيا كانت ، والتمادي في التخلي عن مؤسساتنا القديمة . وقد يكون كذلك متأثرا بعقلية « كل فرنجي برنجي » اي أن كل أجنبي يكون بالضرورة من نوعية جيدة وبالتالي فكل امكانية محلية تكون بالضرورة أيضا من نوعية رديئة .

وشعورنا بالتخلف يقودنا في اغلب الاحيان الى محاولة الدخول الى ميادين حديثة قبل أن يكون لدينا الاستعداد الكافي لدخول مثل هذه الميادين . فمثلا ، ترانا اليوم نسارع الى انشاء معاهد او فروع لتدريس الاعلام في جامعاتنا قبل توفر الاساتذة لتدريس هذا الموضوع ، وحتى قبل توفر الحاجة الى مثل هذا الموضوع من ناحية وجود طلاب بعدد كاف يبرر انشاء مثل هذه المعاهد او الفروع . وعندما نخطط لمناهج هذه المعاهد والفروع ترانا نلتفت الى مواضيع حديثة كالتلفزيون الملون والاقمار الاصطناعية ونهمل مواضيـــع أكثر أهمية ، ولكنها تقليدية ، كالفنون الشعبية والصحف الريفية أو وسائل الاعلام الشعبية . واذا جاز لي أن أستعمل هنا تعبير شعبي لبناني « فنحن نقبل على اكل الهامبرغر لانها اكلة اجنبية ونخجل من اكل الفلافل (او الطعمية) لانها بلدية » .

وعندما يتم اختيار الخبرات الاجنبية وفق خطة صحيحة ، تبرز مشكلة اللغة الاجنبية كعامل يؤثر في فعالية عمل الخبير الاجنبي . فاللغة الاجنبية عند غالبية طلاب العالم العربي ضعيفة . والطالب العربي اجمالا لا يستطيع استيعاب كل ما يمده به الاستاذ الاجنبي من معلومات بسبب ضعف لغته الاجنبية . وهو كذلك لا يستطيع ان يستوعب معلومات الكتب أو غيرها من المراجع الاجنبية .

ما عرضته حتى الان هو تصوري للمشاكل التي تواجه استيراد الخبرات الاجنبية . وارى ايضا ان هنالك محاذير في سعي الطلاب العرب نحو هذه الخبرات في الخارج . فبالاضافة الى خطر كون الاساتذة في الخارج ليســـوا على اطلاع على حضارتنا فان انصباب اهتمامهم هو على مشاكل وحاجات البلدان التي يدرسون فيها . وهذا قد يؤدي الى ان يحصل طلابنا في الخارج على معلومات لا علاقة لها بحاجاتنا ، وقد يؤدي ايضا الى تقبلهم لقيم جديدة قد لا تكون نافعة لمجتمعنا العربي . وكذلك نرى أن العديد ممن نرسلهم للتخصص في الخارج لا يرجعون الينا بعد أن يتعرضوا لاغراءات مادية ومهنية، أضف اليها الاغراءات الحياتية المتوفرة في البلدان المتقدمة . فالمعاشات التي ندفعها في العالم العربي للمتخصصين في حقـــل الاعلام قليـــلة بالنسبة لما يحصله مثل هؤلاء المتخصصين في الخارج . وبالاضافة الى ذلك فان المتخصص بالاعلام في العالم العربي لا تتوفر له فرص النمو المهني كالذي يعيش في الخارج . كما ان انتقال طلابنا الى الخارج يتطلب منهم التأقلم بعادات المكان الجديد الذي ينتقلون اليه وبعد فترة تصبح هذه العادات الاجنبية متأصلة فيهم ويصعب عليهم التخلي عنها عند عودتهم الى مجتمعاتهم ومن ثم يتعرضون لمشاكل نفسية وحضارية قد تؤثر في انتاجهم .

الدور المرتجى للخبرات الاجنبية :

بعد هذا العرض السريع لوضعنا الحالي في تدريس الاعلام اود ان أشدد على أن عرضي لمحاذير استعمال الخبرات الاجنبية لا يعني ولا يقصد به اطلاقا الدعوة الى عدم الاستمرار في الاستعانة بالخبرات الاجنبية بل على العكس فان ما ادعو اليه هو الزيادة من الاستفادة من هذه الخبرات شرط اصلاح الوضع الحالي فنحدد نحن ما نحتاجه من خبرة لا ما يقررونه هم ، ونتخلص من سيطرة الاجانب على المناهج والاساليب .

ولكي نستطيع تحديد ما نحتاجه والتمكن في وضع مناهجنا واساليبنا حسب حاجاتنا وتطلعاتنا ، لا بد لنا من البدء بمسح الامكانات البشرية اللازمة لمؤسساتنا الاعلامية الحالية والمستقبلية وتحديد الحاجات التي تتطلبها برامجنا الانمائية . وهذا العمل يساعدنا على وضع سياسات تربوية اعلامية صحيحة تسمح بالتنوع شرط أن يؤدي هذا التنوع الى التكامل لا التماثل في المنطقة العربية الواحدة . والى حين وضع مثل هذه السياسات أرى ضرورة تجميد انشاء أي معاهد اعلامية جديدة او تطوير المعاهد الحالية .

ووضع سياسات عربية في حقل تدريس الاعلام يتطلب التنسيق بين جميع الجامعات في الدول العربية . واود ان اعرض تطلعي لما يمكن ان تخطط له السياسات الاعلامية التي ادعو اليها .

أول ما ارى ان نتطلع اليه هو توحيد المناهج في المعاهد الاعلامية العربية وتطوير العلاقة بين هذه المعاهد والتنسيق فيما بينها . وما اقصده بالتوحيد هنا لا يعني تدريس المواد نفسها ، مادة مادة ، في كل معاهدنا ، بل توحيد المواد الاساسية والاتجاه والرؤيا العامة . وهدف اخر يوازي هذا الهدف الاول في الاهمية هو السعي نحو النوعية لا الكمية في تخريج رجال اعلام المستقبل . وتحقيق هذا الهدف قد يستلزم القبول بمبدأ الحد من ايجاد معاهد لتدريس الاعلام بل قد يستوجب حصر تدريس الاعلام في معاهد محدودة تساهم جميع الدول العربية بتقويتها بحيث توزع اختصاصات كل معهد بشكل تكاملي . وبتحقيق هذا الهدف الاخير يمكننا حصر الاساتذة العرب المتخصصين في معاهد قليلة فيكون لكل معهد نخبة من الاساتذة من النوعية الجيدة . وهذا التدبير يساعد على اخصاب الابحاث واكثار الانتاج العلمي ، سواء من ناحية وضع الكتب الدراسية التي نحن في أمس الحاجة اليها أو من ناحية التدريس والتدريب ، أو التطبيق العملي ، من خلال المؤسسات الاعلامية العامة والخاصة التي يمكنها الاستفادة من هذه الهيئات . وكذلك يمكننا هذا التدبير من اعداد برامج للتخصص العالي لتدريس النخبة من خريجينا بدل ارسال هؤلاء الى الخارج .

وعندما نحقق هذا يمكننا الاستعانة بالخبرات الاجنبية التي تأتينا لتساند خبراتنا العربية وتساهم معها في بناء ما نسعى اليه عن طريق المشاركة لا القيادة .

والاستعانة بالخبرات الاجنبية يتطلب اعتماد مبدأ التدريس بلغتين ، عربية واجنبية . والدعوة لاعتماد لغة اجنبية في تدريسنا لا يقصد منه فقط الاستفادة من الخبرات الاجنبية التي تأتينا . وهذا أمر ضروري اذ لا يمكن لطلابنا الاستفادة من الاساتذة الاجانب بدون تمكنهم تمكنا جيدا من اللغة الاجنبية . حتى ولو استعنا بمعيدين فان مثل هذه الاستعانة تقلل من الاستفادة التي يمكن أن تتم عن طريق الاتصال المباشر بين الطالب والاستاذ وتضيع الكثير من وقتهما . وما أقصده أيضا بمبدأ الاستعانة بلغة أجنبية في تدريس الاعلام هو الا ينقطع طلابنا عن انجازات العالم الخارجي في هذا الحقل . فانتاجنا العربي في حقل الاعلام في الوقت الحالي لا يكفي لسد حاجات العقل الجيد . وعندما تصبح لنا القدرة على الاكتفاء الذاتي ويصبح العالم يتطلع الى ابحاثنا ودراساتنا يمكننا ان نكتفي بالتدريس باللغة العربية . هذه حقيقة قد تكون مؤلمة ولكنها حقيقة يجب أن نواجهها بموضوعية وواقعية .

ولكي نسير في درب الاكتفاء الذاتي لا بد لنا من ايجاد مؤسسة عربية كبرى لتمويل الابحاث والدراسات الاعلامية على غرار المؤسسات الاجنبية الكبيرة . ويكون دور هذه المؤسسة ، بالاضافة الى تمويل الابحاث الاعلامية ، التنسيق بين الابحاث العربية المختلفة وتشجيع التي تكون فيها فوائد وطنية . وكذلك تشجيع المتخصصين في الاعلام ممن بقوا في الخارج بالعودة الى العالم العربي بالاضافة الى تمويل برامج خاصة تمكن جامعاتنا من دعوة العالميين من اساتذة الاعلام لمدد معينة للتدريس او لاجراء الابحاث في العالم العربي .

وما قدمته في عرضي السريع والمختصر هذا لا يشكل سوى أفكارا أرجو أن تصلح كأساس لبدء نقاشنا في موضوع الخبرات الاجنبية في تدريس الاعلام في العـــالم العربي .



مراسم اعتماد الممثل الدبلوماسي

د. نادر العطار *

والمقصود هو الممثل الدبلوماسي الاول في البعثة الدبلوماسية ، اي رئيس البعثة سواء كان سفيرا أم قائما بالاعمال ، أم وزيرا مفوضا .

ويشكل حفل تقديم أوراق الاعتماد ، او حفلة المثول ، نقطة حاسمة في حياة المبعوث الدبلوماسية في العاصمة التي قد تطول أو تقصر اقامته فيها ، حسب نجاحه في تأدية مهمته ، وتطور العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، ومتغيرات السياسة الدولية .

والواقع .. ان الاعتماد الحقيقي يبدأ منذ اتخاذ دولة ما قرارا بتسمية مبعوثها الدبلوماسي الاول لدى دولة أخرى ، سواء كان أصلا من الدبلوماسيين المحترفين أم لم يكن ، فان العرف والتهذيب الدبلوماسيين يقضيان بأن يؤخذ راي الدولة التي سيعتمد لديها السفير ، لمعرفة ما اذا كان (شخصا مرغوبا فيه (Persona Grata)) أم لا ، وهو ما يسمى دوليا بـ (استمزاج الراي (Placet) .

ولا يمكن القول بأن الامر يتعلق بالتزام حقوقي يؤدي الى النيل من سيادة الدولة الموفدة ، وتحديد صلاحياتها في اختيار مبعوثيها الدبلوماسيين لدى الدول الاخرى . فللدولة ، كل دولة ، مطلق الحرية في اختيار من تراه صالحا لتمثيلها في الخارج ، ولكن لا شك ايضا أن الدولة التي سيقيم فيها هـذا المبعوث ، متمتعا بجميع الحصانات والامتيازات الدبلوماسية ، لها الحق في ابداء رأيها سلفا فيه ، لئلا يؤدي تصرفه ، فيما بعد ، الى ما لا تحمد عقباه بين الدولتين . وما دام الاستمزاج متبادلا ، وما دامت الدولة الاخرى ستقوم باستمزاج راي الدولة الموفدة ايضا عندما تنتقي سفيرها لديها ، فان مبدأ المقابلة بالمثل يبطل مفعول الشعور بالانتقاص من السيادة القومية عنـد الاستشارة المذكورة .

ولا بد من الاشارة بهذه المناسبة ، الى حادثة (كومندادور كاتالاني) الذي عينته ايطاليا ، في أواخر القرن الماضي ، سفيرا لها في استامبول دون

استمزاج راي الحكومة العثمانية ، فرفض السلطان عبد الحميد الثاني ذلك رفضا قاطعا ، علله المؤرخون بأن المبعوث الدبلوماسي كان قد تزوج ابنة أحد الباشوات المناوئين ، ولكن الدبلوماسي الايطالي تجاهل هذا الرفض ، وحضر الى العاصمة العثمانية لمزاولة مهام منصبه الجديد هناك ، مما اغاظ الحكومة العثمانية ، ووصل الامر بوزير الخارجية العثماني الى حد الطلب من الدبلوماسيين الاخرين في الاستانة عدم زيارة المبعوث الايطالي الذي لا يعترف له السلطان بأية صفة دبلوماسية وابدت ايطاليا استعدادها لحل المشكلة ، وذلك باعتبار (كاتالاني) مجرد قائم بالاعمال ليس الا ، ولكن السلطان اصر على الرفض ، وطلب سحب كاتالاني كحل وحيد للمشكلة . هنا تأزم الموقف بين الدولتين ، وظهر الاسطول الايطالي أمام الدردنيل مهددا معربدا ، مما أرهب العثمانيين واضطرهم الى قبول كاتالاني اخيرا دون قيد ولا شرط . وفي ٢٨ آب ــ اغسطس ١٨٩٤ قدم (كومندادور كاتالاني) أوراق اعتماده كسفير لايطاليا لدى السلطان عبد الحميد الثاني في الاستانة ، وقضى الله أمرا كان مفعــولا .

ولكن كيف يجري استمزاج الراي هذا ؟

جرى العرف على أن يتم ذلك عن طريق البعثة الدبلوماسية لــدى الدولة المضيفة التي ستستقبل السفير الجديد ، بواسطة القائم بالاعمال : (اذ نادرا ما يتم ذلك عن طريق السفير أو الوزير المفوض الراحلين) ، وذلك باعلام وزارة خارجية الدولة المضيفة عن اسم رئيس البعثة الجديد الذي وقع الخيار عليه . ويمكن أن يتم استمزاج الراي بصورة شفوية ، أو بمذكــرة بسيطة تذكر اسم المبعوث الجديد مع معلومات مبدئية عنه ، للدلالة على أن الامر لا يتعلق (باستئذان) الدولة المضيفة بل ببادرة تهذيب دبلوماسي متعارف عليه ، ولو أن هذا (التهذيب الدبلوماسي) أمر لا بد منه بين الدول الموقعة على (صك هافانا) الذي نصت المادة الثامنة منه على أنه (لا تستطيع اية دولة اعتماد ممثليها الدبلوماسيين لدى الدول الاخرى دون الاتفاق المسبق عليهم مع تلك الدول) .

الا أنه في بعض الظروف الخاصة ، تضطر الدولة الموفدة الى استمزاج راي الدولة المضيفة عن طريق البعثة الدبلوماسية لهذه الاخــيرة لديها ، خصوصا اذا كان خروج السفير السابق من عاصمة تلك الدولة غير طبيعي لاسباب شخصية ، أو لاي سبب اخر استثنائي ، كما أن هذا الاستمزاج قد يتم عن طريق سفارة دولة ثالثة ، خصوصا عند الاعتراف بدولة أو بحكومة جديدة ، بل ان الظروف الاستثنائية قد تجبر الدول في مثل هذه الحالات على صرف النظر عن استمزاج الراي اطلاقا ، كما حدث عند الاعتراف بحكومة

النروج ، التي قررت الانفصال عن السويد في ٧ حزيران ـ يونيو ١٩٠٥ ، وعينت حكومة موقتة لتصريف الامور ريثما يتم تتويج العاهــل النروجي . واعترفت الغالبية العظمى من الدول باستقلال النروج بين ٢٩ تشرين الاول ـ اكتوبر و ١٠ تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٠٥ ، بل ان بريطانيا انشأت لها فورا مفوضية في العاصمة النروجية (وكان اسمها كريستيانيا) ، وعينت السيد (آرثر هربرت) وزيرا مفوضا لها هناك . وسارعت الدول الى تسمية مبعوثيها الدبلوماسيين لدى النروج بالسرعة الكلية دون اية استشارة مسبقة كي يتاح لهم حضور حفلة تتويج أول عاهل نروجي ، مقدمين نسخا عن أوراق اعتمادهم الى وزير الخارجية ، حتى تم الحدث الهام في تاريخ النروج ، وقدموا أوراق اعتمادهم الى العاهل الجديد بعد ذلك حسب الاصول .

ولا شك ان هذه حالة خاصة جدا ، والاصل هو استمزاج راي الدولة المضيفة ، الذي قد يتم بالتشاور المباشر بين الحكومتين (الموفدة والمستقبلة) خصوصا عند انتهاء نزاع مسلح بين الدولتين واجراء المفاوضات المؤدية الى الصلح ، والتي يمكن من خلالها الاتفاق على سفير كل منهما لدى الاخرى .

بل قد يصل الامر الى حد ارسال الحكومة الموفدة قائمة تحتوي على عدة أسماء الى الحكومة المستقبلة ، لتنتقي هذه الاخيرة السفير الذي ترى امكانية اعتماده لديها ، كما يحدث أحيانا عند تسمية السفير البابوي (أو القاصد الرسولي كما يسمونه هناك) لدى حكومــات فرنسا واسبانيــا والنمسا والبرتغال . ولعل مرد ذلك الى الصلاحيات والميزات التي يتمتع بها السفير البابوي في تلك الدول ، وقد يختار عميدا للهيئة الدبلوماسية بصرف النظر عن تاريخ تقديم أوراق اعتماده . وقد جرى العرف في هذه الاحوال على اختيار السفير من بين الاسماء الاولى في تلك القائمة ، وهي أسماء المفضلين عادة لدى الدولة الموفدة .

هذه الحالات الاخيرة يمكن اعتبارها ايضا حالات خاصة ، وتبقى القاعدة الاساسية هي تسمية سفير واحد ، تستشار بشأنه الدولة التي سيعتمد لديها ـ كما تقدم ـ ولها ان تبدي عدم موافقتها على الشخص المقترح ، الامر الذي يؤدي عادة الى توتر بين الدولتين ، وتترك الدولة الموفدة فترة من الوقت تمضي قبل استمزاج الراي من جديد ، أو تبقى العلاقات الدبلوماسية مع الدولة المضيفة على مستوى (قائم بالاعمال) .

ولكن ما هي الاسس التي تجعل الدولة المستقبلة (أو المضيفة) تعتذر عن اعتماد مبعوث دبلوماسي لديها ؟

قد يكون رفض قبول ممثل دبلوماسي لاسباب خاصة تتعلق بشخصه ، أو لاسباب عامة . والامثلة كثيرة على ذلك ، أبرزها ما حدث سنة ١٨٢٢ عندما رفض قيصر روسيا قبول (سير ستراتفورد كانينغ (Sir Stratford Canning) كسفير لبريطانيا في حاضرة روسيا القيصرية ، لان خبر تسمية السفير المذكور كان قد نشر في صحف لندن قبل استمزاج راي حكومـــة القيصر . وأصر (بالمرستون) على حق كل بلد في تعيين ممثليها الدبلوماسيين في الخارج بحرية تامة ، وضرب مثلا على ذلك تعيين (اللورد دورهام) في المركز نفسه من قبل دون استمزاج راي الحكومة الروسية ، وأصر القيصر من جهته على عدم استقبال كانينغ وعدم قبول أوراق اعتماده بأي شكل ، وهكذا اضطرت الحكومة الى ارسال كانينغ في مهمة خاصة الى اسبانيا ، وحملته بأوراق دعته فيهـــا بـ (سفير بريطانيا في روسيا) . واخيرا أعيد (اللورد دورهـــام Lord Durham) سفيرا لبريطانيا لدى حكومة روسيا القيصرية في سان بترسبورغ، وانتهى الموضوع بسلام .

وفي سنة ١٨٨٥ ، رفضت الحكومة الايطالية قبول المستر (هيـــلي (Heiley) كوزير مفوض للولايات المتحدة في ايطاليا ، لان المبعوث الدبلوماسي المقترح كان قد القى خطابا قبل ذلك في بلاده ، تهجم فيـــه على ايطاليـــا والفاتيكان . ومن الغريب أن هذا المبعوث الدبلوماسي نفسه رفضته الحكومة النمسوية كممثل دبلوماسي لبلده في فيينا بعد ذلك ، الامر الذي دعا الحكومة الاميركية الى قصر التمثيل الدبلوماسي مع الحكومة النمسوية على مستوى (قائم بالاعمال) وصرف النظر عن رفعه الى مستوى (سفارة) .

ولا بد من التنويه بأن اللجان الاميركية الحزبية كثـــيرا ما وجدت أن استمزاج الراي مضيعة للوقت ، حتى أن السيد (روبرت بتلر) الذي كان المدير المالي للجنة الحزب الديموقراطي الوطنية ، عندما سمي سفيرا للولايات المتحدة في أوستراليا ، لم تعلم حتى وزارة الخارجية الاميركية بهذا التعيين الا بعد اعلانه في وليمة اقيمت على شرفه . وسكتت وزارة الخارجية عن ذلك لانها اعتادت على تجاهلها في مثل هذه الحالات . ولكن الحكومة الاوسترالية لم تسكت ، بل اعلنت بعد ذلك أن الطريقة الاميركية في ادارة شؤونهـــا الدبلوماسية غير لائقة ، ومتعسفة . ويتساءل البعض : هل على الدولـــة المضيفة تقديم تفسير مقنع للدولة الموفدة لاسباب عدم قبولها لمبعوث دبلوماسي لديهـــا ؟

الظاهر أن البريطانيين يصرون على ذلك ، ولكن اكثر الفقاء يجمعون على أن احترام سيادة الدولة المضيفة يجعل من المتعذر الاصرار على ذلك من قبل

الدولة الموفدة ، ولو أن بعض الدول تقدم مثل هذه التفسيرات حفاظا على صداقتها مع الدولة الموفدة .

فاذا ما تم استمزاج الراي ، ووافقت الحكومة المضيفة ، عمدت الدولة الموفدة الى تعيين السفير الجديد نهائيا ، وعندئذ يتوجب على هذا الاخير زيارة ممثل الدولة التي سيوفد اليها ، قبل مغادرة بلده ، ودراسة العلاقات القائمة بين دولته والدولة الاخرى من خلال تقارير سلفه ، والمعلومات المتوفرة عن الشخصيات السياسية في البلد الذي سيعتمد لديه ، ثم تزوده وزارة الخارجية (في بلده) بكتاب الاعتماد ، والخطاب الذي سيلقيه في حفلة المثول ، وجواز السفر الدبلوماسي ، مع التعليمات اللازمة والرموز أو الارقام المستعملة في مخابراته السرية مع دولته ، ثم يغادر عاصمة بلده الى مقر منصبه الجديد ، بعد مقابلة رئيس دولته وتلقي توجيهاته الاخيرة .

وقد الغيت مراسم الاستقبال الرسمي والحفاوة البالغة التي كانت تتبع في الماضي عند وصول الممثل الدبلوماسي (كانت بعض الحكومات تذهب الى حد استقباله بمظاهر الحفاوة منذ وصوله الـ ىحدود بلادها) واقتصرت الان على
استقباله بمظاهر الحفاوة منذ وصوله الى حدود بلادها) واقتصرت الان على
مديرية المراسم) في المحطة أو في المطار أو في الميناء البحري ، حسب واسطة النقل التي يستخدمها المبعوث الدبلوماسي ، أما اذا قدم بالسيارة فان استقباله يكون في سفارته .

ويذكر أحد الدبلوماسيين الاميركيين أنه كان في طريقه الى الاتحاد السوفييتي لتقديم أوراق اعتماده بعد تعيينه هناك مرة ثانية ، وكان قد قرر أن يستقل القطار الى موسكو ليستعيد ذكريات الايام الجميلة التي قضاها في تلك البلاد . وعندما دخل القطار المحطة النهائية في موسكو ، لاحظ السفير مظاهر الاحتفال على أرصفة المحطة حيث اصطف المستقبلون بشكل منتظم وهم يحملون الاعلام ، فامتلأت نفسه بالسرور لهذا الوفاء للخدمات التي طالما قدمها لتحسين العلاقات بين البلدين ، الامر الذي لم يجد له أي تفسير . ووقف العناصر النسائية بين المستقبلين ، الامر الذي لم يجد له أي تفسير . ووقف القطار ، وتهيأ السيد السفير للنزول والتلويح بيده لمستقبليه تحية وشكرا ، واذا بالمستقبلين يتجهون جميعا للترحيب بسيدة بدينة كانت تهبط سلم عربة اخرى . ثم اكتشف ، بشيء من خيبة الامل ، أن ذلك اليوم كان يوم المراة السوفياتية ، وأن الجماهير النسائية التي رآها كانت تنتظر رئيسة الاتحاد النسائي ، التي كانت تستقل نفس ذلك القطار الى العاصمة السوفياتية !

يعكف الممثل الجديد ، منذ وصوله الى العاصمة التي سيعتمد فيها سفيرا او وزيرا مفوضا ، على مراجعة اجراءات مراسم البلاط او القصر المتعلقة بتقديم أوراق اعتماده ، ويقوم سلفه او القائم بالاعمال باعداد مذكرة وافية له عن ذلك ، فاذا التبس شيء ، تم الاستيضاح عنه من مديرية المراسم في القصر او في وزارة الخارجية او من عميد الهيئة الدبلوماسية ، اما بواسطة الممثل الجديد نفسه او احد موظفي الهيئة الدبلوماسية ، اذ لا يجوز له مباشرة اي عمل رسمي قبل حفلة المثول او تقديم أوراق اعتماده ، فلا يقبل دعوات رسمية ولا يقيم هو اية حفلة رسمية ، اما الاتصال الشخصي البحث بزملائه ومعارفه فجائز ، ولكن بشكل محدود .

ثم يبعث السفير الجديد الى وزير الخارجية في الدولة التي سيعتمد لديها ، بكتاب يبلغه فيه عن تاريخ وصوله ، طالبا منه تحديد موعد لمقابلته ، للتعارف ولتقديم صورة من اوراق اعتماده واوراق استدعاء سلفه — ان وجدت — والخطاب الذي سيلقيه أمام العاهل ، وفي بعض الدول لا يوجه هذا الكتاب وانما يقابل الممثل الجديد — بناء على موعد سابق — مدير المراسم ، طالبا تحديد موعد لمقابلة وزير الخارجية ، ثم تتم المقابلة ، ويسلمه السفير الوثائق المذكورة — فقد تكون ناقصة من الوجهة الشكلية — كما يطلعه على نص الخطاب لئلا يحتوي على بيانات غير صحيحة او عبارات غير مرغوب فيها، فيعمل على استبعادها ، كما يسلمه كتابا اخر يطلب فيه التماس مقابلة رئيس الدولة (اذا كان الممثل من الدرجة الاولى فله أن يطلب ذلك مباشرة من ديوان او مديرية مراسم البلاط) . وفي بعض الدول — كايطاليا مثلا — لا يوجه هذا الكتاب وانما يطلب السفير ذلك شفهيا من وزير الخارجية اثناء هذه المقابلة .

ويقوم وزير الخارجية بعد ذلك بالاتصال بالقصر الجمهوري (أو بالبلاط) لتحديد يوم وساعة تقديم أوراق الاعتماد ، ثم يجري تبليغ الموعد الى الممثل الدبلوماسي الجديد ، واستلام كشف منه بأسماء الموظفين الدبلوماسيين الذين سيصحبونه في الاحتفال مع بيان وظيفة كل منهم في السفارة واسبقيته ، وقد يتم تحديد الموعد خلال ٢٤ ساعة في الحالات المستعجلة (كالاشتراك في مؤتمر قريب او اعطائه اسبقية على سفراء اخرين وصلوا قبله) وقد يؤخر الموعد في حالات المقابلة بالمثل (اذا كانت الدولة الموفدة قد أخرت حفلة اعتماد سفير الدولة المضيفة سابقا) أو في الظروف القاهرة (كسفر رئيس الدولة أو سوء حالته الصحية) .

وقبل حفلة المثول (او تقديم أوراق الاعتماد) بمدة كافية ، في الحالات العادية ، تقوم ادارة المراسم في وزارة الخارجية بامداد العاهل او الرئيس بخلاصة عن حياة السفير المرتقب وصورته (كلما أمكن ذلك) ونسخة من

خطابه في الحفلة المذكورة مع خلاصة وافية عن العلاقات بين البلدين (الموفد والمستقبل) ، كما توزع برنامج الاحتفال على الادارات الحكومية المعنية لاتخاذ التدابير اللازمة ، كالشرطة ، وادارة المرور ، وامانة العاصمة الخ .. وتتأكد من وجود نوطة النشيد الوطني لدولة السفير الجديد لدى الفرقة الموسيقية التي ستتولى العزف ، وتحدد عدد السيارات والدراجات النارية التي ستشترك في الحفل ، مع طلب تعيين المرافق (على الا تقل رتبته عن نقيب لمرافقة السفير وملازم أول لمرافقة الوزير المفوض) واستكمال جميع الترتيبات اللازمة بكل دقائقها وتفاصيلها .

ويزف اليوم الموعود ، ويتوجه مدير مراسم خارجية الدولة المضيفة الى سفارة الممثل الجديد أو مقر اقامته (حسب الاتفاق المسبق) ، حيث يذكره بتفاصيل الحفلة الهامة ، ويتأكد من استصحاب السفير لكتاب الاعتماد والخطاب الذي سيلقيه المبعوث أمام العاهل اثناء الحفل ، ثم يتحرك الموكب تتقدمه سيارة الرئاسة التي يحتل فيها السفير مقعد الشرف (الخلفي الايمن) ، بينما يحتل مدير المراسم المقعد الخلفي الايسر ، ويرفع على مقدمة السيارة العلم الوطني (في الجهة اليمنى) وعلم دولة السفير الجديد (في الجهة اليسرى) ويحيط بها حوالي (٩) دراجات نارية (للسفير) وسبعة دراجات نارية للوزراء المفوضين ، وترسل بعض الدول العربة التقليدية بدلا من السيارة ، وهي عربة فخمة تجرها ستة جياد بالنسبة للسفير وجوادان اذا كان الممثل الجديد وزيرا مفوضا (كما في اسبانيا وبريطانيا مثلا) وفي هذه الحالة ترافق الموكب قوة من الفرسان بدلا من الدراجات النارية . وقبيل وصول الموكب الى القصر ، حيث يكون قد اصطف حرس الشرف بالملابس الزاهية مع الفرقة الموسيقية ، يترجل السفير ومرافقوه ، ويقف على بعد قصير (خمسة أمتار تقريبا) من الفرقة الموسيقية ، التي تعزف عندئذ النشيد الوطني لدولة المبعوث الجديد ، ثم يتقدم قائد الحرس فيحيي السفير ، الذي يتقدم ويستعرض حرس الشرف ، وعن يمينه مدير المراسم ، ثم يدخل القصر حيث يستقبله في المدخل مدير المراسم فيه ، وعند منتصف الردهة الداخلية يستقبله الامين العام للقصر (أو كبير الامناء في البلاط) الذي يوصله الى غرفة الانتظار مع مرافقيه ، ثم يدخل الى قاعة الاستقبال (أو قاعة العرش) ويعلن مقدم السفير ، فيأذن العاهل (سواء كان رئيس جمهورية او ملكا أو أميرا) بمثول السفير بين يديه ، وعندئذ يفتح باب القاعة على مصراعيه بالنسبة للسفير (وعلى مصراع واحد بالنسبة للوزير المفوض) ، ويدخل الممثل الدبلوماسي وصحبه ، فينحني مرة عند دخوله تحية للعاهل ، ومرة ثانية عند الوقوف أمام العاهل ، وهنا يقدمه وزير الخارجية الى العاهل ، ويلقي المبعوث خطابه ، ثم يقدم أوراق اعتماده وأوراق استدعاء سلفه ـ اذا لم تكن قد قدمت من قبل ـ فيأخذها

عاهل البلد المضيف ويسلمها الى أمين عام القصر الذي يقف الى يساره (أو وزير الدولة لشؤون القصر) بينما يقف وزير الخارجية الى يمين العاهل الذي يصافح الممثل الدبلوماسي ويرد على خطابه . (كانت الدولة العثمانية تتلقى ثلاثة كتب اعتماد : أولها للسلطان ، والثاني للصدر الاعظم ، والثالث لوزير الخارجية) .

ولا بد من التأكيد على ضرورة استصحاب المبعوث الدبلوماسي لخطابه مكتوبا وعدم الاعتماد على ذاكرته لالقائه . ويروي الكونت دوسيفور (Comte de Ségur) قصة تقديم أوراق اعتماده كسفير لفرنسا لدى القيصرة كاترين الثانية في العاصمة الروسية سنة ١٧٨٥ ، ويقول أن اعتماده على ملكاته الخطابية جعله يقرر القاء الخطاب أمام القيصرة بشكل ارتجالي ، ولكنه وجد نفسه ينطق بخطاب يكاد يختلف عن ذلك الذي كان قد أرسل نسخة عنه مسبقا الى وزارة الخارجية الروسية ، والذي أعدت القيصرة ردها على أساسه ، الامر الذي أربك القيصرة واضطرها الى تحوير خطابها آنيا بشكل يتناسب مع خطاب السفير الفرنسي المفوض . ومرت الايام ، وتقابل السفير والقيصرة في احدى حفلات البلاط ، فذكرته بذلك اليوم الحرج الذي كاد أن يؤدي الى ما لا ترضاه ، فسارع السفير الفرنسي اللبق الى التأكيد بأن بريق جمال القيصرة ، وتلك الهالة من الهيبة والجلال التي تحوطها دائما ، كل ذلك أنساه الكلمات المحضرة مسبقا ، وغير اتجاه الخطاب المرتقب !.. وابتسمت القيصرة ابتسامة عذبة . لقد كان واضحا أن الاثر السيء لذلك اليوم الحرج قد ذهب من نفسها الى الابد .

بعد أن يرد العاهل على خطاب المبعوث الدبلوماسي ، يستأذنه هذا الاخير ويقدم له أعضاء بعثته الذين يكونون قد اصطفوا وراءه بشكل خطين عرضانيين متوازيين ، فيصافح كل من هؤلاء العاهل ثم يعود الى مكانه ، فاذا تم ذلك ، دخل العاهل ووزير الخارجية والمبعوث الدبلوماسي (والمترجم عند الحاجة) بناء على دعوة مدير المراسم ، الى قاعة الاجتماع لعقد جلسة خاصة تتراوح مدتها بين ربع ساعة وثلاثة أرباع الساعة (حسب متانة الروابط بين البلدين) ، ثم تؤخذ الصورة التذكارية ، وينصرف السفير بعد أن يودع العاهل ووزير الخارجية ، وعند الخروج يعزف له النشيد الوطني ، ويستعرض حرس الشرف بصحبة مدير مراسم الخارجية ، الذي يرافقه حتى السفارة أو مقر اقامة المبعوث الجديد ، حيث يتابع اعضاء السفارة الحفلة بتقديم القهوة أو بعض المشروبات ويدعى اليها مدير المراسم الذي يستأذن بعد ذلك في الانصراف .

ومن طريف ما يذكر بهذه المناسبة ، أنه خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، جرت سلسلة من المفاوضات حتى لا يجبر الممثلون الدبلوماسيون الاجانب في البلاط الصيني على السجود ثلاث مرات أمام الامبراطور (نظرا لصفته المقدسة) ضاربين جباههم بالارض كل مرة ، امعانا في الخضوع لسلطته الالهية ، كما جرت العادة عند مقابلة امبراطور الصين آنئذ .

وعرض وزير الخارجية الصينية حلا وسطا ، يقضي بأن يجلس كل سفير القرفصاء ثم ينهض ، وهكذا ثلاث مرات ، بدلا من ذلك السجود وتعفير الجباه ، ولكن تقدم سن الدبلوماسيين المعنيين لم يمكنهم من مثل هذا الاجراء ايضا . وانتظر سفراء بريطانيا ، والولايات المتحدة ، وفرنسا ، وهولندا ، وروسيا طويلا قبل الوصول الى حل يؤدي الغرض ويحفظ ماء الوجه ، واخيرا تقرر أن يجتمعوا في الساعة السادسة من صباح يوم ٢٩/ حزيران ــ يونيو / ١٨٧٣ في (بي تانغ (Pei Tang) وهو مقر المؤسسة الكاثوليكية في العاصمة الصينية ، ومن هناك توجهوا الى أحد المعابد حيث انضم اليهم السفير الياباني، الذي لم يوافهم الى المؤسسة الكاثوليكية لاسباب دينية ، بعد أن ساروا مسافة ٣ــ٤ كيلو مترات على الاقدام . وفي ذلك المعبد ، حيث اعتاد الامبراطور التوسل الى التنين الاعظم ليجود على الشعب الصيني بالمطر ، تدمت الى الدبلوماسيين وجبة خفيفة من الفواكه والمعجنات والخمر الامبراطوري ، وبعد استراحة امتدت حوالي ساعة ونصف التقطوا خلالها أنفاسهم ، وخففوا من تعب سير مضن في طقس صعب ، وثياب تقليدية ثقيلة ، عاد الدبلوماسيون يغذون السير حتى وصلوا الى الخيمة العظيمة التي نصبت بمحاذاة الجناح الارجواني (Tchu-Kuang-Ko) ، وبعد انتظار طويل، سمح لهم بدخول الجناح الامبراطوري لتقديم أوراق اعتمادهم الى الحضرة الامبراطورية . كان الجناح قد قسم الى خمسة صحون بواسطة دعامات خشبية ضخمة ، وكان الامبراطور يجلس بوقار على عرش فخم مرتفع عن الارض ، وعلى بعد (١٢) قدما منه نصب حاجز خشبي منخفض ، أصفر اللون ، يمنع القادمين من الوصول الى شخصه المقدس .

تقدم السفراء وهم ينحنون باحترام مغرق حتى وصلوا الى الحاجز الخشبي المذكور ، حيث القى المبعوث الروسي ــ بناء على اتفاق مسبق بينهم ــ خطابا مختصرا باللغة الروسية ، كان يترجم آنيا الى الامبراطور الصيني ، ثم تقدم جميع المبعوثين الدبلوماسيين ووضعوا معا أوراق اعتمادهم على الحاجز الخشبي المذكور . وهنا تقدم الامير كونغ (Kung) كبير شخصيات البلاط ، فركع أمام الامبراطور ، الذي تفوه ببضع كلمات بالصينية ، ثم رجع الامير الى الوراء ووجهه باتجاه الامبراطور حتى وصل الى الدبلوماسيين

ليعلن لهم ان الامبراطور قد قبل أوراق اعتمادهم . وعاد الامير يركع مرة اخرى أمام الامبراطور ويستمع اليه ، ومرة أخرى عاد الى الدبلوماسيين لابلاغهم أن الامبراطور يتمنى لهم طيب الاقامة ، ولرؤسائهم وملوكهم الصحة الجيدة ، ويأمر بأن تحل الامور المعلقة بين بلده وبلادهم بشكل عادل ، وصدوق ، ومرض . وودع المبعوثون الدبلوماسيون اخيرا الامبراطور باحترام فائق ، وساروا الى الوراء دون أن يديروا ظهورهم له حتى خرجوا من الجنـــاح الارجواني ، ثم تفرقوا وعاد كل منهم الى مركز اقامته حيث تمتع براحة طويلة ممتعـــة .

كذلك كان بطرس الاكبر قيصر روسيا يستقبل بعض السفراء الاجانب في مكان مرتفع ، أعلى بارجة حربية ، مجبرا اياهم على صعود صعب وحركات تحتاج الى رشاقة لا تتناسب مع مركزهم ولا مع سنهم في بعض الاحيان .

أما السفارات لدى البابا ، فان الامر قد يختلف قليلا بالنسبة لها . فان السفير العادي ينحني ثلاث مرات عند دخوله الى قاعة المثول بدلا من مرتين ، احداها عند الدخول ، والثانية في منتصف القاعة ، والثالثة عند الوصول اليه ، بل ان بعض السفراء الكاثوليك يركعون أمامه امعانا في الاحتـــرام والتماسا للبركة ، كما أن الملوك والرؤساء والاباطرة والامراء يستقبلون ، جميعا ، المبعوث الدبلوماسي في حفلة المثول وهم واقفون ، بينما يستقبلهم البابا وهو جالس على عرشه بكل وقاره وهيبته . وكان الملوك الكاثوليك يبعثون الى البابا بسفارات الولاء ، التي كانت تستصحب هدايا ثمينة في بعض الاحيان ، وثقيلة في أحيان اخرى ، كما حدث في أوائل القرن السادس عشر ، حين جاء (تريستان دو كونيا) ، مبعوث مانويل الاول ملك البرتغال ، بفيل ضخم كان نقله مشكلة وايواؤه واطعامه وتغذيته مشكلة أكبر .

يتخذ المبعوث الدبلوماسي ، بعد حفلة تقديم أوراق الاعتماد ، الصفة الدبلوماسية الكاملة ، وتحدد أسبقيته ، ويعطى البطاقة الدبلوماسية هـــو وافراد اسرته ، ويبدأ المراسم اللاحقة لحفلة المثول هذه ، بعد أن يحيط حكومته علما بأن الحفلة قد تمت بسلام . وتتلخص هذه المراسم اللاحقة بزيارة كبار الشخصيات في الدولة ، كما تزور زوجته زوجاتهم حسب قائمة تقدمها له ادارة المراسم في وزارة الخارجية . ويزور السفير الجديد بقية السفراء في العاصمة ، مقره الجديد ، مبتدئا بعميد الهيئة الدبلوماسية ويتلقى زيـــارة الوزراء المفوضين (فيما عدا ممثلي البلاد المعادية) ، وعليه أن يقوم بابلاغ رؤساء البعثات الاجنبية يوم حفلة المثول بذلك ، وقد يقيم وزوجته حفـــلة استقبال عامة لرؤساء البعثات الاجنبية ، لتدعيم المعرفة بهم ، وتوطيد أواصر الود معهم .

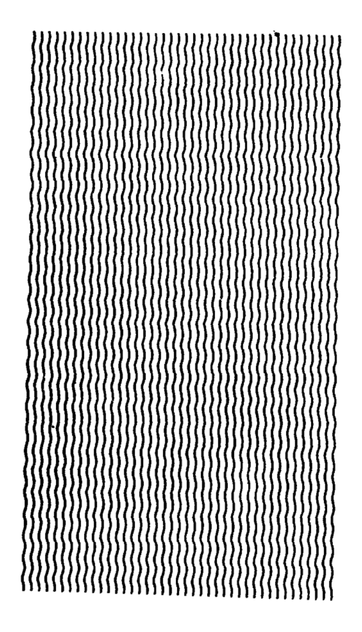
صــــدر عـــن :

منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول

اســـم المطبـــوع	د.ك	دولار أمريكي
ـ النفط والتنمية الاقتصادية العربية (بالانجليزية)	ـــر٢	ـــر٨
ـ النفط والتنمية العربية (بالعربية)	٥٠٠ر	ـــر٢
ـ اساسيات الصناعة البتروكيماوية (بالعربية)	ـــر٢	ـــر٨
ـ أساسيات صناعة النفط والغاز (٣ أجزاء) بالعـــربية	ـــر	ـــر١٥
ـ مجالات التعاون بين اليابان والعالم العربي (بالعربية ، بالانجليزية ، باليابانية)	ـــر١	ـــر٣
ـ التقرير الاحصائي السنوي الخامس (بالعربية بالانجليزية)	ـــر٢	ـــر٨
ـ تطورات بدائل الطاقة (بالعربية)	ـــر١	ـــر٣
ـ النفط ومصادر الطاقة البديلة (بالعربية)	ـــر١	ـــر٣
ـ تطورات الطاقة (استهلاك ـ سياسات ـ مصادر)	ـــر٢	ـــر٢
ـ تقييم طرق الانتاج للبروتين النفطي (بالعربية)	٥٠٠ر	ـــر٢
ـ نشرة منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول (شهرية) بالعربية ، بالانجليزية ، الاشتراك السنوي	ـــر٤	ـــر١٦
ـ مجلة « النفط والتعاون العربي » فصلية بالعربية مع ملخصات بالانجليزية الاشتراك السنوي :		
للافـــــراد	ـــر٣	ـــر١٢
للمؤسسات	ـــر١٠	ـــر٤٠

تطلب هذه المطبوعات من : منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول ص.ب ٢٠٥٠١ ـ الكويت .

دليل الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا



جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض

لمحة تاريخية عن نشأتها :

في الثالث والعشرين من شهر شعبان عام ١٣٩٤ هـ الموافق ١٩٧٤ م صدر المرسوم الملكي بالموافقة على نظام « جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية » وقبل ذلك كانت تسمى «الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية» وقد تم افتتاح أول معهد علمي بالرياض عام ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م وهو نواتها الاولى ، وامتدادا لافتتاح هذا المعهد توالى افتتاح المزيد من المعاهد العلمية في الكثير من مدن المملكة حتى بلغت هذا العام ٩٨ / ٩٩ هـ (٤٨) معهدا منها في معهد في الخليج العربي برأس الخيمة . وانشاء هذه المعاهد جاء تلبية لاقبال الشباب على مناهل العلم والتزود بالثقافة الاسلامية التي هي السمة البارزة للملكة وهي اصل استقلالها الحضاري ونهضتها المباركة .

وتضم الجامعة الكليات الاتية :

١ ــ كلية الشريعة بالرياض
٢ ــ كلية اللغة العربية بالرياض
٣ ــ كلية اصول الدين بالرياض
٤ ــ كلية العلوم الاجتماعية بالرياض
٥ ــ كلية الشريعة واللغة العربية بالقصيم
٦ ــ كلية الشريعة واللغة العربية بالجنوب

هذا بالاضافة الى معهدين عاليين

١ ــ المعهد العالي للقضاء
٢ ــ المعهد العالي للدعوة الاسلامية .

اهــداف الجــامعة :

كما جاءت في نظامها الاساسي هي :

١ ــ توفير اسباب التعليم الجامعي ، والدراسات العليا ، في العلوم الاسلامية، وعلوم اللغة العربية ، وما يتصل بها من علوم ، كالعلوم الاجتماعية ، والتاريخ الاسلامي .

٢ ـ العناية بالبحوث الاسلامية ، والقيام بترجمتها ونشرها ، وتنظيم العلاقة بين هذه الجامعة وجامعات العالم ، لسد فراغ الدراسات الاسلامية .

٣ ـ العناية في نطاق الدراسات الشرعية الاسلامية بالبحوث الفقهية والقانونية المقارنة لاظهار تفوق الشريعة الاسلامية على القوانين الوضعية .

٤ ـ اعداد علماء متخصصين في العلوم الاسلامية ، وعلوم اللغة العربية ، والعلوم الاجتماعية والتاريخية ، واعداد مدرسين في هذه الحقول ، واعداد قضاة ودعاة مؤهلين .

٥ ـ المساهمة في تلبية حاجات البلاد الاسلامية ، الى تخصيص طائفة من ابنائها في العلوم والمجالات المتقدم ذكرها .

نشاطات الجامعة :

مارست الجامعة الكثير من النشاطات المختلفة على المستويين المحلي والعالمي ومن نشاطاتها :

١ ـ تبادل الاساتذة الزائرين ـ فقد سعت حثيثا لتوثيق الروابط الاخوية بينها وبين الجامعات العربية والاسلامية ، ففي كل عام تستضيف عددا من الاساتذة الزائرين والمفكرين الاسلاميين لالقاء المحاضرات واعداد البحوث الاسلامية الهادفة .

وهي ترسل عددا من الاساتذة على حسابها مدرسين أو زائرين الى بعض الجامعات والمنظمات الاسلامية كلون من الوان التبادل الثقافي .

٢ ـ المنح الدراسية ـ ايمانا من الجامعة بعمق رسالتها في بث الوعي الاسلامي بين الاوساط العالمية تقوم كل عام بوضع مخطط متكامل لاستضافة عدد من أبناء البلاد العربية والاسلامية الاقليات الاسلامية في البلدان الاجنبية لهم المنح الدراسية في المراحل الجامعية والعليا وأحيانا في المراحل المتوسطة والثانوية وتتحمل الجامعة في ذلك المبالغ الباهظة بغية نشر الاسلام وتعاليمه المسمحة في مختلف بلدان العالم .

وقد بلغت هذه المنح في عام ٩٧ / ٩٨ هـ ٥٨٥ منحة دراسية .

٣ ـ التعاون مع الجامعات والمراكز العلمية ـ أجرت الجامعة اتصالات تعاون مع الكثير من الجامعات العربية الاسلامية وبعض المراكز العلمية المهتمة بالنواحي الاسلامية في البلدان الاجنبية وتشترك باستمرار في جميع

الاجتماعات والمناقشات الدائرة في اتحاد الجامعات العربية ورابطة الجامعات الاسلامية . كما ان بعض الجامعات والمراكز العلمية في مختلف انحاء العالم تتصل بها رغبة في المساعدة بمدها بالكتب الاسلامية والعربية والاجتماعية او تزويدها بمدرسين أكفاء وتتحمل الجامعة التكاليف .

٤ ــ المجلس العلمي بالجامعة ــ انشأت الجامعة مجلسا علميا يتولى شئون البحوث العلمية والاشراف على كل ما يتصل بالتأليف والترجمة والنشر ومن اهداف هذا المجلس : تشجيع البحث العلمي والتأليف والترجمة والنشر وتنظيم الصلة مع مراكز البحوث المختلفة خارج الجامعة والتعاون معها ونشر البحوث التي يرى صلاحيتها واهمية نشرها وتنظيم اصدار المجلات العلمية والاشراف عليها ودراسة ما يجد من بحوث ودراسات اسلامية مما يدور في فلك المؤتمرات والندوات الاسلامية في العالم .

٥ ــ مركز البحوث ــ تحاول الجامعة حاليا ايجاد مركز متكامل للبحوث يسهم في حل مشكلات المسلمين المعاصرة بحلول اسلامية أصيلة يتبين منها قوة ارتباط الناس في كل عصر بدينهم الاسلامي الحنيف كما يهدف الى المشاركة في ايجاد جيل من العلماء والباحثين وذلك عن طريق تدريب فئة خريجي الجامعة على البحث العلمي وتحقيق التراث كما سيتولى المركز تنظيم مسابقات اسلامية هادفة .

٦ ــ أعطت الجامعة (اللغة العربية) الكبير من اهتمامها فبالاضافة الى وجود كليات للغة العربية في ثلاث مدن من مدن المملكة تتبعها عنيت بنشر اللغة العربية على أوسع نطاق وضاعفت جهودها في هذا المجال فأنشأت مركزا لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الرياض ووزعت العديد من المنح الدراسية على أبناء بعض البلدان في العالم ليتعلموا اللغة العربية في كلياتها ومعاهدها كما أوفدت المدرسين من خريجيها الى عدة جامعات ومدارس في مختلف البلدان لتدريس اللغة العربية والمساعدة في نشرها .

٧ ــ نظمت الجامعة العديد من المؤتمرات والندوات منها :

* المؤتمر العالمي للفقه الاسلامي في عام ٩٦ هـ وقد اشترك فيه نخبة ممتازة من العلماء في الفقه الاسلامي على مستوى العالم بجانب اساتذة الجامعات وعلماء الشريعة في المملكة ، وناقش العديد من البحوث والقضايا الهامة ، وما اسفر عنه من قرارات .

*ندوة دور المسجد في تعليم الكبار في المجتمع المعاصر ــ وتهدف الى مناقشة الابعاد الفقهية والادارية والفنية التي تؤدي الى جعل المسجد مركزا الاشعاع الديني والعلمي والثقافي والاجتماعي في البيئة .

كما شاركت في العديد من المؤتمرات واللقاءات على المستوى الجامعي .
وقد وضعت الجامعة خطة لعقد المزيد من المؤتمرات لما فيه صالح الاسلام والمسلمين واتخذت الترتيبات الكافية لاقامتها في مواعيد مناسبة منها :

أ — مؤتمر جغرافية الاسلام والمسلمين فالجامعة تضطلع بمسئولية الدراسات الجغرافية في العالم الاسلامي وتوجه عنايتها بتحقيق الترابط بين دعوة الاسلام الخالدة وبين أسباب انتشارها في شتى بقاع الارض . والدراسات التي تعد عن جغرافية الاسلام والمسلمين قاصرة لانها مهما كانت مستوياتها تقوم على جهود فردية أحيانا أو على جهود علماء غير مسلمين من جانب اخر واحساسا من الجامعة بما لهذا الامر من أهمية ولعلاقته برسالتها وتضامنا مع العلماء المسلمين ومع الجامعات المعنية بهذه الدراسات سارعت بالاهتمام بعقد هذا المؤتمر .

ب — اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب — يعود الفضل الاكبر — بعد توفيق الله في عودة الامة الى عقيدة التوحيد الخالصة من شوائب الشرك بجميع أنواعه الى هذا الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي قام بدعوته المباركة وسانده فيها الامام المجاهد محمد بن سعود ولذلك رأت الجامعة فكرة تنظيم هذا الاسبوع للاشادة بدور هذين الامامين المجاهدين .

جـ — مؤتمر نهاية القرن الرابع عشر الهجري . وتهدف الجامعة من اقامته الى :

تجديد ثقة المسلمين بمقومات شخصيتهم الفريدة وعطائهم الوافر بوصفهم الامة التي تحمل رسالة الحق والعدل والسلام ، وتنمية عناصر القوة في الامة الاسلامية ومعالجة عوامل الضعف فيهم — وبيان موقف الاسلام من قضايا العصر ومشكلاته — واعداد المسلمين فكريا وعلميا للتصدي للتيارات المعادية للاسلام وحضارته .

٨ — المدينة الجامعية : تولي الجامعة دعما قويا من الحكومة وعلى رأسها صاحب الجلالة الملك خالد وولي عهده الامين . واكبر دعم قدمته الحكومة هو اعتماد بناء مدينة جامعية متكاملة للجامعة تضم جميع كلياتها ومعاهدها العليا وما يتبعها من مرافق . واعدت الجامعة المخطط الاكاديمي للمشروع كما أعدت المساحات وبرنامج المواصفات التعليمية

وشرعت في اعداد الحسابات والدراسات والتصاميم والخدمات والاعمال الفنية والهندسية وجميع ما يحتاجه المشروع عن طريق مؤسسة متخصصة ، ولقد اتسع نطاق الاسكان تمشيا مع خطة الجامعة واصبحت الوحدات (١٥) خمس عشرة وحدة سكنية استوعبت ١٤٥٢ طالبا .

والطلبة السعوديون والوافدون زملاء واخوة في الاسكان وفي التزام تام بأنظمته وتقاليده النابعة من مثل الاسلام وآدابه .

٩ ــ طلاب الجامعة :

* مراحل الدراسة : يتوفر بالجامعة السلم التعليمي المتكامل فالطلاب الذين يحملون الشهادة الابتدائية يلتحقون بالمرحلة المتوسطة بالمعاهد العلمية بالجامعة ويواصلون دراستهم بالمرحلة الثانوية بنفس المعاهد يلتحقون بالمرحلة الجامعية باحدى كليات الجامعة وبعد انهائها تتيح الجامعة الفرصة للطالب لمواصلة دراساته العليا بنفس كليات الجامعة ومعاهدها العليا ، وقد شمل التوسع أحداث اقسام للدراسات العليا في مرحلتي الماجستير والدكتوراه في كليات العلوم الاجتماعية واصول الدين واللغة العربية والشريعة وبذلك اصبح الطالب يجد فرصته لاكمال دراسته في المعاهد العليا والكليات حيث اصبحت الدراسات العليا في الجامعة كما يلي : ــ

اولا : المعهد العالي للدعوة الاسلامية

أ ــ قسم الحسبة ووسائل الدعوة .

ب ــ قسم الاعلام .

ثانيا : المعهد العالي للقضاء

أ ــ قسم السياسة الشرعية .

ب ــ قسم الفقه المقارن .

ثالثا : كلية الشريعة ــ قسم الفقه واصوله

رابعا : كلية اصول الدين

أ ــ قسم الكتاب والسنة .

ب ــ قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة .

خامسا : كلية العلوم الاجتماعية

أ ـ قسم الجغرافيا .
ب ـ قسم التاريخ .
جـ ـ قسم التربية وعلم النفس .
د ـ قسم الاجتماع .

سادسا : كلية اللغة العربية

أ ـ قسم النحو والصرف وفقه اللغة .
ب ـ قسم الادب .
جـ ـ قسم البلاغة والنقد .

* الشهادات والدرجات التي تمنحها الجامعة :

ـ شهادة المرحلة المتوسطة من المعاهد العلمية .
ـ شهادة المرحلة الثانوية من المعاهد العلمية .
ـ درجة الليسانس من احدى كليات الجامعة .
ـ درجة الماجستير من أقسام الدراسات العليا بالجامعة .
ـ درجة الدكتوراه من أقسام الدراسات العليا بالجامعة .

* ومجالات عمل خريجيها متعددة وهامة منها القضاء والتدريس والادارة والمحاماة والدعوة والارشاد .

* وطلابها يزاولون مختلف الانشطة الثقافية والاجتماعية ويقومون برحلات علمية واستطلاعية كما يشاركون في كثير من المناسبات الدينية كأيام الحج وأيام شهر رمضان .

* وقد استطاعت الجامعة أن تشارك في انجاز كثير من المطبوعات العلمية فقامت بنشر العديد من البحوث والرسائل الجامعية كما شجعت أعضاء هيئة التدريس على تحقيق التراث الاسلامي ومساعدتهم على طباعة انتاجهم العلمي .

* بلغ عدد طلاب المرحلة الجامعية والدراسات العليا بالجامعة في عام ١٣٩٨ هـ ٧٧ م (٥٥٠٠) خمسة آلاف وخمسمائة طالب ، وبلغ عدد طلاب المرحلة المتوسطة والثانوية بالمعاهد بالجامعة في عام ٩٨ هـ ـ ٧٧ م (١١٠٠٠) أحد عشر الف طالب .



مجلة البحوث والدراسات العربية

تصدر سنويا عن معهد البحوث والدراسات العربية

صدر العدد الأول من المجلة في مارس (آذار) ١٩٦٩ .

— هيئة تحرير المجلة يسرها أن تدعو الباحثين والاساتذة من أعضاء هيئات التدريس بالجامعات العربية وغيرهم لنشر بحوثهم ودراساتهم العلمية في المجلة وخاصة في المجالات المتعلقة ببحث ودراسة المشكلات العربية المعاصرة من جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية والجغرافية والقانونية . كما تعنى المجلة ايضا بابراز الملامح الرئيسية للأدب العربى المعاصر وبخاصة مايعكس منها الروابط الفكرية بين شتى اقطار الوطن العربى الى جانب اهتمامها الخاص بالدراسات الفلسطينية .

— ترجو هيئة التحرير من السادة الأساتذة الذين يرغبون في نشر ابحاثهم باللغة العربية أن يرفق كل منهم ببحثه ملخصا بلغة أوروبية حديثة فيما لا يزيد عن الف كلمة ، كما يرجى أيضا ممن يرغب في نشر بحثه بلغة أوروبية حديثة ان يقدم ملخصا باللغة العربية بما لا يزيد أيضا عن الف كلمة ، ويراعى في الحالين أن يتراوح المقال او البحث بين ستة آلاف وثمانية آلاف كلمة .

— ترسل كافة المكاتبات والأبحاث المتعلقة بالمجلة على العنوان التالى :

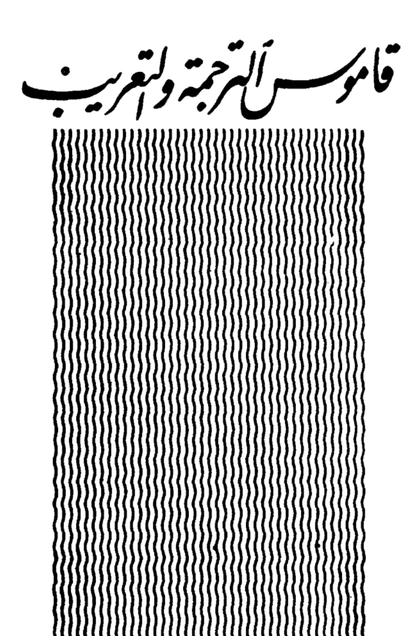
الاستاذ الدكتور محمد صفى الدين ابو العز
رئيس معهد البحوث والدراسات العربية

(١ شارع الطلمبات — جاردن سيتى — ص. ب ٢٢٩ القاهرة)

— تقدم ادارة المجلة لكل من السادة المشتركين في تحريرها ببحوثهم على سبيل الاهداء العدد الذى نشر به البحث بالاضافة الى عشرين فصلة من البحث .

— كافة الأبحاث والدراسات المنشورة بهذه المجلة تعبر عن آراء كتابها ولا تحمل بالضرورة وجهة نظر المعهد او اية جهة اخرى يرتبط بها صاحب البحث .

— قيمة العدد ١٫٥٠٠ جنيه مصرى أو ٤ دولارات امريكية بخلاف رسوم البريد .


قاموس الترجمة والتعريب

قاموس الترجمة والتعريب

مع صدور هذا العدد ، واستمرارا في سياسة التطوير التي انتهجتها مجلة العلوم الاجتماعية منذ صدور عدد نيسان / ابريل ١٩٧٦ ، نواصل في هذا العدد معالجة موضوع الترجمة والتعريب في مجال العلوم الاجتماعية . تمهيدا لعقد مؤتمر خاص بهذا الموضوع مستقبلا .

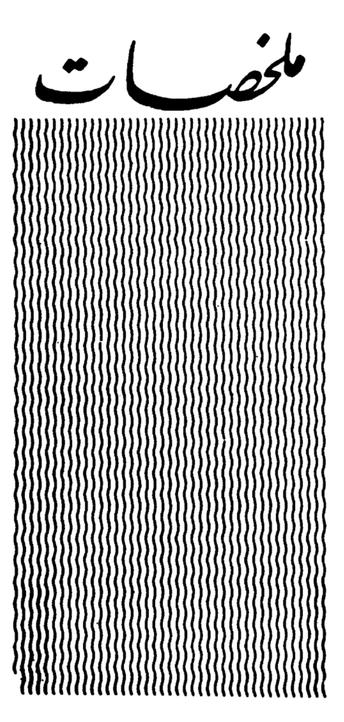
وفي هذا العدد ننشر جزءا من مصطلحات الادارة الصناعية ، كما وضعتها لجنة من اساتذة قسم ادارة الاعمال بجامعة الكويت في كتاب « المصطلحات الادارية » .

ونأمل أن تتحقق الاهداف التي رجوناها من هذا العرض ، كما نعد باستكمال تقديم ترجمة وتعريب لمصطلحات العلوم الاجتماعية الاخرى .

المصطلح	الترجمة
Acceptance Sampling	عينات القبول
Attributes	الصفات الصريحة
Average	المتوسط
Activity Time	وقت النشاط
Assignment Computer	مشكلة التخصيص
Block Diagram	الحاسب الالكتروني المشابهة
Consumer's Risk	برنامج التسلسل
Critical Path Method	مخاطرة المستهلك
Constraints	طريقة المسار الحرج
Cobol Language	قيود
Destructive Test	لغة الكوبول
Double Sampling Plan	الختبار التدميري
Dummy — Activity	خطة العينات المتتابعة
Data	نشاط خيالي
Event	بيانات
Earliest Start	حدث
Expected - Time	البداية المبكرة
Fixed - Cost	الوقت المتوقع
Fortran Language	التكاليف الثابتة
Interchangeability	لغة الفورتران
Inequality	التبادلية
Input	متباينة
Informations	مدخل
Intergrated Circuits	معلومات

المصطلح	الترجمة
Intergrated Circuits	الدوائر المتكاملة
Lower Control Limit	حد الضبط السفلى
Latest - Start	الوقت المتاخر
Latest - Time	البداية المتاخرة
Latest - Finish	النهاية المتاخرة
Linear - Cost	التكاليف المتغيرة خطيا
Linear Programming	البرمجة الخطية
Most Likely - Time	ماكينات القياس
Measuring Machines	الوقت الاكثر احتمالا
Maximization	تعظيم
Minimization	تصغير
Memory	الذاكرة
Network	شبكات الاعمال
Normal - Time	الوقت الطبيعي
Optimistic - Time	الوقت المتفائل
Optimum - Duration	الوقت المثالي
Optimum Solution	الحل الثالي
Output	مخرج
Quality of Design	جودة التصميم
Quality Control Chart	خريطة مراقبة الجودة
Range	المدى
Reliability	الاعتمادية
Specifications	مواصفات
Standardization	التنميط
Standard	نمط
Single Sampling Plan	خطةالعينة المفردة
Simulation	التماثل او المحاكاة
Total Quality Control	الضبط الشامل للجودة
Variables	متغيرات
Variable - Cost.	التكاليف المتغيرة

ملخصات



فكرة « الطبيعة » في النظرية التربوية
لجـــــان جـــــاك روســــــو

د . صادق جعفر اسماعيل

يحاول الباحث في بحثه المعنون بـــ « فكرة الطبيعة » في النظرية التربوية لجان جاك روسـو أن يبين ماهية « الطبيعة » والمقصود بها بصورة عامة ، وما قصده المربي روسو بـــ « الطبيعة » بصورة خاصة .

وفي محاولات الباحث للكشف عن معنى « الطبيعة » عند جان جـــاك روسو ، حاول مقارنتها بالتربية الطبيعية التي وردت على نحو من النظريات والكتابات التربوية عند كل من فلاسفة اليونان كافلاطون وارسطو وفلاســـفة المسلمين ومفكريهم كابن سينا وابن طفيل والسهروردي في « حي بن يقظان » .

وفي نهاية البحث حاول الباحث ان يبين الجوانب الايجابية والسلبية لفكرة « الطبيعة » التي وردت في نظرية جان جاك روسو التربوية .



« نظرية النفس والمشاحنة على مفهوم الانسان »

د . محمد شـــريدي

تبحث هذه الدراسة نظرية الذات أو النفس كعامل داخلي مستقل وتعطى النظريات الاجتماعية النفسانية الحديثة وعلى وجه التحديد نظريتي التفاعـــل الرمزي في علم الاجتماع ونظرية القوة الثالثة في علم النفس . وتفحص هــذه الدراسة أيضا القيمة العلمية والتطبيقات العملية المستقبلية لنظرية الذات وخاصة احتمال ايجاد علم انساني له قواعده الخاصة والمختلفة عن قواعــد العلوم الطبيعية والمستمدة من ظاهرة الانسان كانسان له جوهره المختلف عن جوهر الظواهر الفيزيقية . وقد اثبتت هذه الدراسة ان مشكلة الذات كعامــل داخلي مستقل لا تزال في المكان الاول مسألة فلسفية لم تتخط الحدود التقليدية المعروفة التي عالجها الفيلسوف الفرنسي ديكارت والخارجــة عــن المدلولات العلمية الحديثة ، ولذلك وجب الاستنتاج ان نظرية استقلالية النفس غير مثمرة علميا اذا نظرنا اليها من الناحية الامبريقية البحتة ذلك ان الفائدة العلمية هي فقط في المفاهيم او التركيبات المختصة بالنفس كمفعول به او الذات المقررة اجتماعيا أي كقوة محتمة تقررها عوامل بيئية خارجية .

والاستنتاج السابق يؤكد أن ارجاع نظرية الذات كعامل داخلي مستقل له علاقة بالكارثة الاخلاقية التي تعاني منها الحضارة الغربيــة وان مسألة اعادتها الى النظريات الاجتماعية النفسانية الحديثة هي محاولة للخروج من المآزق الاخلاقية والقيمية المسيطرة في الحضارة الغربية كوجود بديل للديانات التقليدية وكذلك لمفهوم الروح ، وهذا يعني أن اعادة مفهوم النفس كفاعــل داخلي مستقل له تعليلات معنوية واخلاقية وليست اثباتات علمية موضوعية ، وهذا يتضمن الاعتراف ان هنــاك مسائــل فلسفية ليس بامكــان العلــوم الاجتماعية الاجابة عليها لانه ليس من مؤهلات العلم أن يكون قــادرا على الاجابة على كل سؤال يخطر ببال الانسان ــ وهذا له علاقة بمضمون رئيسي الا وهو أن العلوم الاجتماعية لم تنجح في اشباع رغباتنا أو تسكين اوجاعنــا الفلسفية ، وهناك شك أنها ستقدر على انجاز هذا المطلب ، ولكن بالرغم من ادراك هذه الحقيقية فاننا سنظل نحك قدراتنا الفكرية لان الانسان بطبيعتــه محب للاستطلاع .

دراســة تحليليــة لوســائل

الاعــلام في الدول العربية : ١٩٥٠ ــ ١٩٧٦

د . سهير بركــات

شهدت وسائل الاعلام في الدول العربية منذ الخمسينات طفرة كبيرة من حيث الكم والى حد ما من حيث الكيف . ولهذه الطفرة عدة اسباب . فهناك أولا الجهود المكثفة في الدول العربية للاسراع بجهود التنمية القومية في شتى المجالات مع الحاجة الى مناقشة وتفهم المشاكل المعقدة للتنمية في المنطــقة والبحث عن الحلول المناسبة لها . وهناك أيضا الصراعات الدولية والمنافسات المحلية على توجيه أحداث المنطقة والسيطرة عليها . ثم ان هناك أيضا التزايد الضخم والسريع في الموارد الاقتصادية لبعض دول المنطقة الذي ادى الى ادخال بعض من أحدث الامكانيات والاجهزة الاعلامية المعاصرة .

وعلى الرغم من ذلك فان هناك ندرة نسبية في البحوث المتعلقة بوسائل الاعلام العربية ونظمها . فباستثناء عدد محدود من الدراسات الجادة عن الصحافة كأحد وسائل الاعلام في الدول العربية ، وباستثناء الاحصائيات التي تنشرها منظمة اليونسكو عن وسائل الاعلام العربية ، لا توجد أبحاث منتظمة لمتابعة التطور في الوسائل الاعلامية في العالم العربي ودراسة علاقتها بالنظم الاجتماعية والسياسية التي تعمل في ظلها والدور الذي تلعبه في المجتمعــات العربيـــــة .

وتحاول هذه الدراسة ملء بعض هذا الفراغ فتقدم نظرة شاملة عن وسائل الاعلام العربية مع التركيز على الفترة ١٩٥٠ ــ ١٩٧٦ . ويشمل تعريفنا لوسائل الاعلام الصحافة اليومية والدورية . كذلك الاذاعة بشقيها المسموع والمرئي ، والسينما ، ووكالات الانباء . كما تضمن البحث دراســـة للاعلام الدولي والفضائي للدول العربية ومشروع اطلاق القمـــر الصناعي العربي . وتقدم الدراسة تحديدا للظروف التي لعبت دورا هاما في ظهــور وتطور هذه الوسائل واتخاذها الاشكال والصيغ التي هي عليها الان ، وذلك ايمانا منا بأن النظام الاعلامي لاي دولة ما هو الا نظام فرعي للمجتمع الكبــير الذي يؤثر فيه ويتأثر به . كما تشير الدراسة الى اعداد الكوادر الاعلامية اللازمة للدول العربية عن طريق انشاء مراكز لتدريب الاعلاميين والاقسام أو الكليات العلمية بالجامعات العربية لاتاحة الفرصة لدراسة شتى جوانب الاعلام دراسة اكاديمية وتطبيقية ، وتعزيز الدور الذي يمكن أن تلعبه وسائل الاعلام المسئولة سواء في انجاح خططها الانمائية داخليا او تعريــف العالم الخارجي بأهدافها وقضاياها وأمانيها لكسب الرأي العام العالمي لصفها .

ABDEL RUIMAN

EL GHABARTY

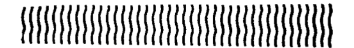
Study In Sociology of

Knowledge

Atef A. Fouad

This study deals with 19th century Egypt, as seen through the eyes of the Egyptian historian, El Ghabarty. Two issues are discussed : El Ghabarty and the ruling class, and El Ghabarty's treatment of revolution as a political and social phenomenon.

The methodology followed in the analysis of these two issues is that of the Society of knowledge and the approach is essentially socio-historical. It is a model of the working relationships between the disciplines of Sociology and History.



POLICY

TOWARD A COMMON ARAB PETROLEUM

Hameed Al-Qaysi*

It is time for the Arab petroleum-exporting countries to have a common petroleum policy especially with the existence of the Organization of Arab Producing Countries (OAPEC). The elements of any petroleum policy are many, but we can emphasize the following of common pricing policy based on production control and quotas, price differentials because of weights, sulfur contents and transportation costs and following a common conservation policy.

The need for a common pricing policy based on the control of time to agree on price differences due to weight, sulfur contents and common petroleum reservoirs and there is an urgent need for common conservation techniques to be followed. The neighbouring Arab countries would discover that reservoir pressures are wasted if a scientific conservation technique is not followed.



Educational Direction of Creative Persons

Abdul-Sattar Ibrahim

On the basis of evidence now available in the field of creativity, psychologists agree that a considerable part of creative behavior is learned. It is my thesis, therefore, that the development of creative thinking abilities does not have to be left to chance. Educational stimulating of creativity can play a major part in the development of creative potentiality. The purpose of the present review is to discuss some of the major educational approaches and procedures which have proved helpful in guiding and directing creative efficasy. These are as follows :

1. Teaching courses in creativity by emphasizing the principles of creative problem-solving per se.
2. Integrating creative principles and procedures with conventional courses.
3. Adopting teaching styles that stimulate and motivate creative thinking. This is fundamentally preferred by subjects and is more effective in learning.
4. Building interpersonal relationships using deliberate creative learning principles such as : a. the development of permissive and responsive kinds of social relationships which call for alert and sensitive direction and guidance of intellectual creative potentialities; b. deliberate suspension of evaluation and judgment (deferred-judgment) during the effort to generate ideas in order to give full play to imagination; and c. building a group brainstorming atmosphere which has to emphasize quantity rather than quality in produced ideas, and to help thinking to develop through group assistance rather than individual thinking in seclusion.
5. Creative management of ideas. There is, indeed, abundant opportunity for almost any person's productive thinking. It is also shown that using educational means to increase creativity leads to positive changes in other personality traits. Significant gains in traits such as : leadership ability, dominance, persistence, social initiative, and self-confidence occur following the administration of creativity producing programs. The writer calls, therefore, for making more complete use of our most valuable intellectual qualities, the creative potentialities of individuals.

EDUCATIONAL PLANNING AND DEVELOPMENT

Sami Khasasnih

This paper discusses the historical deveopment of the major concepts and philosophies of education which have influenced educational planning and directed the thoughts and actions of educational planners over the last few hundred years. It also throws light on the political, social, economic, scientific and technological movements and revolutions which have taken place during the twentieth century and their effects on education.

The paper concludes that educational planning should be integrated with community, national and international planning. Educational planning becomes, therefore, a part of a comprehensive plan that deals with all becomes, therefore, a part of a comprehensive plan that deals with all aspects of importance to people. The most significant factor that should be taken into consideration before and after planning is population.

Concerning the Arab world, educational planning becomes meaningful only through a general plan based on the objective and scientific study of all aspects of its life, particularly those related to population.

● ● ● ● ●

المستقبل العربي

رئيس التحرير : د. أنيس صايغ

● وحــدوية ● مستقبلية

● موضوعية ●جــادة

اهتماماتها من المحيط الى الخليج

قراءتها من المحيط الى الخليج

هدفها :

وعي الوحدة العربية

وحــدة الوعي العربي

ص.ب ٦٠٠١ / ١١٣

بــيروت ــ لبــنان

قواعد وأسس النشر بالمجلة

مع بداية العام الاكاديمي ١٩٧٥ ـــ ١٩٧٦ ، قررت هيئة التحرير المشرفة عندئذ على « مجلة العلوم الاجتماعية » ، الصادرة عن كلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة الكويت ، ان الوقت قد حان لتيلم المجلة بانطلاقة جديدة بعد ان نجحت الهيئات السابقة طوال الاعوام الثلاثة الماضية ، في ارساء القواعد اللازمة لمثل هذه الانطلاقة . والان ـــ وبعد مضي اكثر من عامين على الانطلاقة الجديدة ـــ ارتأت الجهات المسؤولة عن المجلة تطوير قواعد وأسس النشر بحيث تأخذ بعين الاعتبار الامور التــالية :

الشخصية الداخلية للمجــلة :

١ ـــ تطمح المجلة لان تكون منبرا بارزا من منابر الاكاديميين العرب . وفي هذا المجال ، لا بد من تعزيز نجاح هذا الجانب ودفع المجلة اكثر فاكثر باتجاه فتحها امام المساهمات الوافدة من جميع أرجاء الوطن العربي وخارجه تتأكد هويتها كمجلة عربية .

٢ ـــ ترغب « المجلة » في ان تتخصص في الابحاث (باللغتين العربية والانجليزية) المهتمة بالصروح النظرية والتطبيقية في كافة حقول العلوم الاجتماعية (ابتكارا وعرضا ونقدا) . وفي هذا المجال ، لا بد من التشدد في قصر نشر الابحاث على تلك التي لا لبس ولا غموض حــول كونها تعالج جانبا أو اكثر من الجوانب المتصلة بالعلوم الاجتماعية . وبعبارة اكثر تحديدا ، تقتصر الابحاث على تلك التي تعالج شؤونا ضمن واحد أو اكثر من حقول الاقتصــــاد ، والسياسة ، وعلم الاجتماع ، وعلم النفس ، والانتروبولوجيا . كذلك . فان « المجلة » مهتمة ، في الوقــت ذاتــــه ، في نشر الابحــــاث التي ترى انهــا ذات علاقــــة قوية بالعلوم الاجتماعية على الرغم من كون اختصاص مؤلفها يقع خارج الدوائر الخمس المشار اليها اعــلاه .

١ ـــ الابحاث والدراسات : الشروط والاجراءات

١ ـــ ترحب المجلة بنشر الابحاث الجيدة المبتكرة ذات الصفة باي من حقول العلوم الاجتماعية (كما هي محددة اعلاه) والتي تهدف الى احداث اضافات جديدة في هذه الفــــروع المختلفة .

وتقبل الابحاث باللغتين العربية والانجليزية على ان يكون حجم البحث بحدود (٢٠) (٢٠) صفحة مطبوعة من الحجم العادي (٤٠٠٠) كلمة ، وذلك عدا الحواشي اللازمة التي يرجى أن تتم كتابتها في صفحات منفصلة في نهاية البحث .

اما الابحاث التي تعد لالقائها ضمن المواسم الثقافية للجامعات ومراكز البحث المختلفة ، داخل الكويت أو خارجها ، فيجب الا ترسل للنشر الا بعد أن تتم مناقشتها ، وبالتالي بعد ان تعاد عملية كتابتها لتتناسب طريقة عرضها مع الاطار العام للبحوث العلمية التي تقوم المجلة بنشرها .

٢ — وكي يمكن للمجلة ان تعتبر البحث المقدم اليها مرشحا للنشر ، يؤمل ان يراعى واضع البحث الملاحظات التاليـــة :

ا — اعتماد الاصول العلمية في اعداد وكتابة البحث .

ب — الا يكون قد سبق نشره .

جـ — أن تزود المجلة بثلاث نسخ من الدراسة المراد نشرها،علاوة على خلاصة بحدودصفحة واحدة لموضوع الدراسة باللغة الانجليزية ان كان البحث بالعربية ، وبالعربية ان كان البحث باللغة الانجليزية .

د — تضمين غطاء عنوان البحث بأقل عدد ممكن من الكلمات اضافة الى اسم المؤلف واسم المعهد العلمي الذي ينتمي اليه . ويرجى أن يكتب في صفحة منفصلة المزيد من المعلومات المؤلف ، وبخاصة القسم الذي يعمل فيه ، وعنوانه الكامل .

٣ — ترسل الابحاث معنونة الى رئيس التحرير ، مجلة العلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت . ص.ب ٥٤٨٦ .

٤ — وبعد ان تصل الابحاث الى سكرتارية التحرير يتم عرضها — على نحو سري — على محكمين (أو أكثر) من المختصين الذين تختارهم هيئة التحرير سنويا .

٥ — وفي خطوة لاحقة ، تقوم سكرتارية التحرير بتبليغ اصحاب الابحاث المقدمة برأي للمحكمين بخصوص تلك الدراسات ، وذلك ضمن الترتيبات التاليـــة :

ا — يبلغ اصحاب الابحاث التي تقبل (بعد موافقة محكمين اثنين) بموافقة هيئة التحرير على نشرها . واذا ما تعذر اتفاق المحكمين على مستوى البحث ، تحول الدراسة الى مستشار ثالث لترجيح واحد من الرأيين .

ب — اما الابحاث التي يرى مستشارو التحرير وجوب اجراء بعض التعـــديلات عليها أو الاضافات اليها قبل نشرها ، تستعاد الى اصحابها مع الملاحظات المحددة كي يعمل على اعدادها نهائيا للنشر .

حـ — وفي حالة استحالة نشر بعض الابحاث في المجلة بسبب بعدها عن المواضيع التي تعالجها المجلة ، أو بسبب عدم صلاحيتها للنشر من النواحي الفنية ، أو غير ذلك من الاسباب ، فان سكرتارية المجلة ستقوم بتبليغ اصحابها بذلك .

٦ — الابحاث التي تصل الى المجلة لا ترد الى اصحابها .

٧ — تبلغ سكرتارية التحرير اصحاب الابحاث عن استلامها لابحاثهم خلال اسبوع من تاريخ الاستلام ، وتبلغهم عن قرارها حول صلاحية البحث للنشر او عدمه خلال مدة لا تتجاوز الثلاثة اشهر .

٨ — يتوجب على صاحب البحث ، في حالة قيامه بعرض دراسته المعينة على مجلات علمية اخرى للنشر ، أن يقوم بتبليغ سكرتارية تحرير المجلة بذلك . وفي حالة حصول جهة اخرى على حق النشر ، دون علم « مجلة العلوم الاجتماعية » ، فان المجلة سوف تعتذر عن قبول أية ابحاث اخرى في المستقبل من صاحب البحث .

٩ ــ يبلغ أصحاب الابحاث المجازة للنشر بمواعيد نشرها عندما يحين الوقت المناسب . ويراعى في أولويات النشر الاعتبارات التالية :

أ ــ تاريخ استلام سكرتارية التحرير للدراسة المعينة .

ب ــ طبيعة الموضوع الذي تعالجه ، ذلك ان من سياسة « المجلة » عدم نشر بحثين في حقل واحد في العدد ذاته .

جـ ــ مصدر البحث ، ذلك ان من سياسة « المجلة » تحقيق توازن بحيث تنشر لاكبر عدد ممكن من الاقطار في العدد الواحد .

١٠ ــ تؤول كافة الحقوق المترتبة على النشر الى ملكية المجلة .

١١ ــ تدفع المجلة لاصحاب الابحاث التي تقبل للنشر مكافأة مالية رمزية مقدارها (٦٠) ستين دينارا كويتيا .

ب ــ مراجعـــــة الكتـــب :

وبالاضافة الى نشر الابحاث العلمية المختلفة ، تقوم « مجلة العلوم الاجتماعية » بنشر مراجعات ونقد لبعض الكتب التي تعالج مواضيع تقع ضمن اهتماماتها . ويراعى في هذا المجال الالتزام بالقواعد التالية :

١ ــ ان تكون الكتب المنوي مراجعتها حديثة النشر أي صادرة بعد العام ١٩٧٠ ، او تقترحها المجلـــة وهيئة التحرير للمراجعة .

٢ ــ أن لا تنشر المراجعة في أية مجلة اخرى .

٣ ــ أن يكون حجم النقد والمراجعة بحدود ٥ صفحات فولسكاب والا تتجاوز (١٠٠٠) كلمة الا في حالات خاصة يتعذر معها الايجاز ضمن هذه الحدود وفي هذا المجال ، يفضل تقسيم العرض والنقد ، بشكل مباشر أو ضمني ، الى ثلاثة اقسام تشتمل على مقدمة ومتن وانتاج .

٤ ــ أن يرسل منها ثلاث نسخ .

٥ ــ أن تحوي الصفحة الاولى عنوان الكتاب الدقيق ، واسم المؤلف ، ودار النشر ، وتاريخه ، مع ذكر عدد صفحات الكتاب ، وثمنه ان امكن . وفي حال نشر الكتب في الاصل بلغة غير العربية ، يكتب عنوان واسم المؤلف ودار النشر وعنوانها والتاريخ بلغة النشر الاصلية ذاتها .

٦ ــ تدفع « مجلة العلوم الاجتماعية » لكل باحث يقوم بعرض ونقد احد الكتب التي تقرها المجلة مكافأة مالية رمزية مقدارها (٢٠) دينارا كويتيا ، علاوة على نسختين مجانيتين من العدد الذي نشرت فيه المراجعة .

جـ ــ نـــدوة العـــدد :

وايمانا من هيئة تحرير المجلة بان ثمة مواضيع ، هي في صلب العلوم الاجتماعية ، لا يمكن معالجتها على نحو فعال الا عبر التحاور وتعارض الاراء والاجتهادات وادراكا منها لضرورة زيـــادة

التفاعل بين الزملاء الاكاديميين العرب الذين حال دون تفاعلهم في الماضي عوامل وظروف عديدة ، ستفتح المجلة صفحاتها لنشر محاضر حوار وندوات علمية ضيقة (بحدود ٥ اشخاص) تعالج مواضيع حساسة في العلوم الاجتماعية ، على ان تكون هذه الندوات معقودة بناء على موافقة المجلة . وفي هذا المجال ، ترحب هيئة التحرير باية اقتراحات شبه تفصيلية حول مواضيع مناسبة للحوار . ومما يجدر ذكره ان المجلة ستدفع مكافأة رمزية لكل مساهم في الندوة قدرها (٣٠) دينارا كويتيا باستثناء منظم ومحرر الندوة الذي يتقاضى (٦٠) ستون دينارا كويتيا .

د ـ التقارير العلمية :

ومتابعة منها للمنتديات والحلقات العلمية في الوطن العربي وخارجه ، تقدم المجلة مكافأة مالية رمزية قدرها (٢٠) دينارا كويتيا لكل تقرير علمي خاص يغطي بشكل شامل ومنظم اخبار وتنظيم وابحاث ونتائج المؤتمرات العلمية وغيرها من مجالات النشاطات الاكاديمية دون ان يتجاوز ذلك (١٥٠٠) كلمة .

هـ ـ دليل الجامعات :

تقوم المجلة بنشر ما يرد اليها من اخبار علمية تتعلق بالجامعات ومعاهد البحث العربية وما تقوم به تلك المؤسسات العلمية من استحداث وتغييرات في نظم التدريس أو شؤون البحث العلمي او فروع التخصص المختلفة . هذا وقد باشرت سكرتارية التحرير بتوجيه الدعوة الى الجامعات العربية المختلفة بتقديم تقارير شبه مطولة عن نشأة وتطور وآفاق النشاط في هذه الجامعات .

قاموس الترجمة والتعريب :

تشجع المجلة الباحثين العرب على القيام بترجمة وتعريب المصطلحات العلمية في الحقول المختلفة للعلوم الاجتماعية ، وترحب بنشرها على صفحاتها كي تتطور اللغة الاكاديمية ، شيئا فشيئا ، نحو توحيد المصطلحات .

ع ـ مناقشات :

واخيرا ، تفتح المجلة صفحاتها للمختصين لابداء آرائهم العلمية فيما ينشر من ابحاث في المجلة. وفي هذا المجال ، ترحب المجلة بنشر كل مناقشة موضوعية للدراسات التي تظهر على صفحات الاعداد المختلفة .



name of the university or institute with which the reviewer is currently associated.

4– The reviewer will be notified as soon as possible of the suitability of his article.

5– The renumeration for a book review is 20 KD ($ 60 U.S.)

III. SPECIAL REPORTS:

Organizations and individuals are encouraged to inform the Journal of the Social Sciences of relevant conferences or seminars to be held in or out of Kuwait. Reports on such conferences may later be requested.

All articles, book reviews, and special reports should be addressed to:
Managing Editor
Journal of the Social Sciences
P.O.Box 5486.
Kuwait University
Kuwait.



Forward all correspondence
and subscriptions to:

THE EDITOR
JOURNAL OF THE SOCIAL SCIENCES
Kuwait University
Kuwait.

KUWAIT UNIVERSITY

JOURNAL OF THE SOCIAL SCIENCES

Regulations Governing Contributions

1. ARTICLES:

The Journal of the Social Sciences welcomes original articles of quality in any of the following fields: Anthropology, Economics, History, Linguistics, Political Science, Psychology, Public Administration, and Sociology. Articles submitted should be related to the stated specialization of the journal, namely, general systems and middle-range theories. Case studies will only be accepted if they are relevant to the development of theory. Articles may be submitted in either Arabic or English to be presented in the original or in translation. The following guidelines should be of help in submitting articles for publication:

1) Articles should not exceed 4,000 words (or twenty standard typed pages) excluding footnotes.
2) Two copies of the article should be submitted with a cover-page containing the following information: exact title of the article, full name of the author, and name of the university or institute with which the author is associated.
3) A separate sheet should be attached listing the following information academic achievements, previous publications, exact current address.
4) Scholars are requested not to submit articles that have been published previously. Studies to be included in upcoming seminars or conferences in or out of Kuwait are not to be submitted for publication before presentation and subsequent discussion and modification.
5) Publication procedures are as follows:
   - a– An article submitted to the managing editor will be forwarded to specialists in the appropriate field of specialization for consideration. The author will be notified within one week that it has been received and advised of its suitability for publication within eight weeks. (Copies of an article submitted for publication but not accepted will not be returned).
   - b– If modifications are needed, a copy of the article, with editorial suggestions, will be returned to the author for final revision.
   - c– Renumeration for an article accepted for publication will be 60 K.D. (approx. 180$ US). In addition, the author will receive one copy of the issue and 10 extracts of his article.
   - d– Upon notification of the acceptance of an article, all rights of publications rest with the journal.

II. REVIEWS:

The Journal of the Social Sciences will also accept book reviews, with the provision that the titles be submitted for approval in advance The following should be of assistance

1 - The book to be reviewed should be recent (not published earlier than 1970)
2– The review should not exceed 4 standard typed pages (1,000 words).
3– Two copies of the review should be submitted with a cover-page including the following information exact title of the book, author's full name, date and place of publication, price, number of pages, reviewer's full name,

(9) Rusk, Robert R. Doctrines of the Great Educators : Macmillan & Co. Ltd., 1965 : p. 171.

(10) Emile : p. 147.

(11) Rusk, op. cit., p. 171.

(12) Emile : p. 250.

(13) Zakat is a certain amount of money or product which every rich Moslem should pay yearly to the poor.

(14) Emile : p. 16.

(15) Ibid : p. 166.

(16) Rusk, op. cit., 1965.

(17) Emile : pp. 131-134.

(18) Ibid., pp. 131-4.

(19) Pierre Deffontaines : Qu'est-ce que la geographie humaine In : Georges Hardy's Geographie et Colonisation; Paris, Gallimard, 1933 : p. 9.

(20) Browne, J.H. : Rousseau, A Study of His Thought. Barnes and Noble, Inc., 1963.

(21) Jarrett, James : Philosophy for the Study of Education. Houghton Mifflin Co. Boston, 1969 : p. 231.

(22) Galiani, Abbe : Letters to Mme. d'Epinay, 1770 cited in William Boyd's The Educational Theory of Jean Jacques Rousseau (New York : Russel and Russel, 1963).

■ ■ ■

permost."(21) What makes this assumption more concrete is what Abloe Galiani said in 1720 : "Education is the same thing for man and for beast. It can be reduced to two principles : to learn to put up with injustice, to learn to endure ennui. What does one do when one breaks in a horse? Left to himself, the horse ambles, trots, gallops, walks, but he does it when he wishes, as he pleases. We teach him to move thus or thus, contrary to his own desire, against his own instinct — there is the injustice : we make him keep at it for a couple of hours — there is the ennui. It is just the same thing when we make a child learn Latin or Greek or French .... The aim is that he should habituate himself to obey another person's will (and so bore himself) that he should be beaten by a creature born his equal (and so learn endurance) .... All pleasant methods of teaching children necessary knowledge are false and rediculous. It is not a question of learning geography or geometry : it is a question of learning to work, of learning the weariness of concentrating one's attention on the matter at hand .... Develop these ideas, and then you will have a book the precise opposite of Emile and worth very much more."(22)

Those miserable conditions of Rousseau's life, in addition to failures in his natural education, were a very crucial force in driving Rousseau towards elaborating his idea of natural education and natural life.

FOOTNOTES

(1) Ibn Tufail is a famous Moslem Scholar. He was born in 1110 and died in 1185.

(2) Amin, Ahmed. Hay ibn Yaqdan, Avicenna, Ibn Tufail, Al Sahrawardi : Education Institute for Printing and Press, Cairo : 1959.

(3) Rousseau, Jean Jacques, Emile, Trans. by Foxley, Barbara. Everyman's Library's Library, New York; 1963.

(4) Urdang, Lawrence. The Random House Dictionary of the English Language, Random House Inc., 1968 : p. 887.

(5) Rusk, Robert R. Doctrines of the Great Educators; Macmillan & Co. Ltd., 1965 : p. 169.

(6) Emile; p. 6.

(7) Aristotle, Ethics; Book X.

(8) Broome, J. H. Rousseau A Study of His Thought; Barnes and Noble Inc. New York, 1963 : p. 49.

to learn geography naturally, by observation of the closest things and views, step by step proceeding from the nearest to the farther points. "Let him make his own map, at first containing only two places; others may be added from time to time, as he is able to estimate their distance and position : you see at once a good start we have given him by making his eye his compass."(18)

The idea of natural education seems to be popular nowadays. In the last few years UNESCO has published a book about "Geography Teaching" which seems to me carries Rousseau's idea of nature very clearly. The authors of this book have emphasized the natural method of teaching geography. "It is wrong to teach geography from books. We should show them the natural and real views such as rivers, waterfalls, etc.., and let them discover things. No beautiful artificial pictures can replace the the natural ones in the student's mind."(19)

In short, I have tried to talk about nature and natural education in Rousseau's educational theory which seems to be more or less that which is not wholly in man's control and should be reached without the imposition of artifacts, but through direct experience of nature.

One must consider the reasons which led Rousseau to think about nature and write about it placing so much emphasis in the manner as we have described. First of all, we should bear in mind that Rousseau did not ask for natural education for the whole of Emile's life. Rather, he divided Emile's life into stages such as from birth to the age of twelve representing the age of nature; from the age of twelve to fifteen as the age of reason; from the age of fifteen to twenty as the age of force; from the age of twenty to the age of twenty-five as the age of wisdom, and from the age of twenty-five to the time of his death as the age of happiness.(20)

Although Rousseau did not emphasise the natural education throughout Emile's life, he nevertheless did view it as a requirement for the duration of his childhood. Indeed, he was aware of the most important period of the child's life.

One of the other reasons why the idea of nature is worth mentioning is that "education in eighteenth-century France was distinctly gloomy. The classrooms were dark and caning was the principal means of motivation; memorization, particularly of Latin grammar, was up-

Since the artificial hand can not be replaced by a natural one, likewise we can not replace artificial education with a natural one, especially in the early time of our childrens' lives. This is why Rousseau puts such great emphasis on the first twelve years of Emile's life : "Would that you keep him as nature made him. Watch over him from his birth. Take possession of him as soon as he comes into the world and keep him till he is a man; you will never succeed otherwise. The real nurse is the mother and the real teacher is the father."(14)

Rousseau does not only admires parents as a real nurse and teacher, but he also admires old people and the ancients. Rousseau's admiration for them is not because of their age but because of their natural life: "The ancients are nearer to nature and their genius is more distinct."(15) This is why he thought that peasants' lives are much better than the life of the people of the city, because theirs is more natural, and because they live in a natural environment. They breath the fresh air and eat natural food. Their bodies are stronger and they are healthier than the people of the cities. Their life is still simple and there is not a touch of artificiality in it. "Accustomed like the children of peasants to expose themselves to the heat and cold, grow as hardy, they are equally capable of bearing the inclemencies of the weather and become more robust as living more at their ease. This is the way to provide against the age of maturity, and the accidents of humanity.(16)

Rousseau's opinion of peasants comes very close to what Avicenna said about nomads when he was expressing his opinion about the subject of logic. Avicenna said that it is very useful for the student of philosophy to start with the subject of logic, except for nomads, who do not need it. Nomads are not in need of the art of logic because they speak their language perfectly and naturally and their language has yet not been spoiled by the artificial language of the city. Therefore Rousseau, very much like Avicenna, believes that peasants still retain the natural endowment.

In terms of nature, Rousseau gives a good and natural methodology for the study of geography. Rousseau says that geography is to be learnt by observation of natural phenomena. "His geography will begin with the town he lives in and the father's country house, then the places between them, the rivers near them and then the sun's aspects and how to find one's way by its aid."(17) It means that Rousseau wants Emile

living there. He spent some time in learning their language, in addition to which he learned other things; namely, about their religion. However, he refused whatever he felt was not reasonable. He realized that these people believe in something called "Allah" or God and that their religious belief was called Islam.

Hay learned a lot of Islamic rules until he arrived at the rule which says that every rich Moslem should pay a certain amount of his money to the poor and needy. This kind of payment is called "Zakat"(13) Hay stopped at this point and said that this was not a reasonable rule. Why should the rich people pay zakat to the poor. This rule encourages laziness among Moslems. He asked the people of the island to reject this rule and drop it from the Islamic Codes. The reaction of the ignorant people was so strong that they not only refused Hay's idea but also planned to kill him. He realized this and so he fled to his island.

If we think deeply about the political idea of nature Rousseau expressed when he said that the Church and Christianity had some unnatural rules, we can say that Rousseau was very close to what Ibn Tufail meant by that incident. Ibn Tufail was saying that there are some artificial laws in the Islamic Religion which must be neglected or corrected. In other words, he thought that there are some unnatural rules in the religion which are against the human or "natural" being. But he, like Rousseau, was not allowed to say it openly to the people of his time because some of them had accepted the Islamic codes blindly, not rationally, and when he tried to express his ideas on the subject, the people planned to kill his Hay as the government of France did with Rousseau when they banned his Emile.

Aside from the political considerations of the idea of nature, it seems to me that at least one of the reasons which influenced Rousseau's mind about nature is that the human being is a part of nature and the universe. Man was made from the elements of nature and therefore natural education is the best educational for him and the most perfect tool to be educated with. Artificial education sseems to be like false teeth or the artificial hand. No matter what the false teeth or the artificial hand look like, they can not do the same jobs the natural one. The artificial object might cover one's fault's or limitations, but it does not cure them. It is equally true in the case of artificial education which does not fit the natural being nor do him justice. Therefore the best education for him is the natural one.

all but signifies a new social education.(9) In other words, he wants Emile to be kept away from books : "I hate books; they only teach us to talk about things we know nothing about."(10) Things, according to Rousseau, should be experienced directly and naturally. Things should not be read in books, because that is an artificial way of learning. Rousseau thinks that "artificial" books should be postponed to the later period of Emile's life.

Ibn Tufail in his educational theory "Hay ibn Yaqdan" called for a more natural environment for Hay than Rousseau did for Emile. "Hay" in Arabic means alive; Ibn means the son of; Yaqdan means awake. The whole name is a symbol for someone such as Emile.

"Hay" does not know his parents. A doe was taking care of him during his infancy until boyhood. She was taking care of Hay's food only. Hay was living on an island with the doe far away from the people of the city. He spent his childhood with this doe and other animals of the island. He learned their languages and, since he was not like them, he always thought of how to protect himself from the wild animals. Hay was also thinking of how to learn and understand things. Nobody was there to teach him; he was learning naturally and from nature. In other words, he was learning without books. Hay was afraid of the wild animals. Once he found the dead body of a gazelle. He took away its skin and used it for clothing. He found that its horns were good tools to protect himself from other animals. In this way, "Hay" learned to cover his body and how to protect his body from the ferocious animals. This was the lesson of nature to Hay, not the lesson of books or teachers. Here we can obviously see the more natural life of Hay in comparison to that of Emile.

The third meaning of "nature" in Rousseau's theory of education could be a positive one. Stoics and even Plato see that nature or the universe is governed by divine providence.(11) Living according to nature means living in accordance with the rational principle of the universe, which means living according to reason : "He who obeys his conscience is following nature."(12)

Referring to the word reason, I would like to point to what Ibn Tufail meant by reason in Hay's story. Hay ibn Yaqdan grew up in the natural environment of the island and learned a lot of things by thinking and reasoning. Once Hay tried to discover some new things. He therefore went to the nearby island. He realized that there were people like him

exists around us with the whole universe as that which serves to explain the word nature. There are tens if not hundreds of explanations and descriptions for the word "nature" in dictionaries and encyclopedias that invariably return to one basic theme. What seems to me closer to what Rousseau meant by nature is that everything that is achieved or created without the influence of human beings. I think that Rousseau was referring to this meaning when he said that 'everything is good as it comes from the hands of the Maker of the World ..." (nature).

Rusk in his book **Doctrines of the Great Educators**(5) gives a good illustration of what Rouseau meant by nature. He says that for that writer "Nature" has more than one meaning. For instance, when he says that "education comes to us from nature, from men, and from things"(6) he regards nature as something equivalent to an "endowment". The word nature was used in this way by Aristotle, too, when he said "now some hold that we become good by nature, some that we become so by habit, and others that it is clearly not in our powers; it is something vouch-safed to the truly fortunate by some divine cause."(7)

When, in consideration of the natural man, no doubt Rousseau did not have in mind a savage; in other words, he did not mean by "I want to train a natural man' that he wants to make a savage man and send him back to the forest or desert. What Rousseau meant by nature is that he wants to make a man who can live his life naturally and comfortably in his society. In other words, Rousseau is not saying "back to nature" but rather forward towards the fulfilment of human nature.(8)

We should bear in mind that Rousseau was not against his society nor against the people of cities. However, he wants Emile to be brought up "naturally" and in a "natural environment," not among the artificialities of society.

The other meaning attached to the term "nature" is a negative one. I mean it is derived as a consequence of Rousseau's thoughts on the anti-social attitude. Society, as mentioned earlier, is artificial, not natural, and therefore it is not good at all. Being as it is, Rousseau expresses dislike for it and so does not wish that his Emile should be spoiled by it. He wants Emile to develop "naturally", apart from other children and away from the vanity and artifice of civilized society. As we know, Rousseau called for about twelve years of negative education. For him, negative education or natural education does not mean no education at

THE CONCEPTS OF NATURE IN ROUSSEAU'S EDUCATIONAL THEORY

S. J. Ismail*

In the last two thousand years some of the well known Greek, European and Arab philosophers such as Plato, Aristotle, Avicenna, Ibn Tufail, and Sahrawardi have written about nature and natural education. Eight hundred years ago Ibn Tufail(1) wrote his great imaginative story called "Hay ibn Yaqdan" which seems to be very similar to what Rousseau wrote six hundred years later. The story of Hay ibn Yaqdan was translated into several European languages; namely, Latin in 1761, German in 1782, Spanish in 1900, English in 1904 and into Russian in 1920. It was also translated into other languages all over the world.(2)

Rousseau, like other philosophers before him, realized the usefulness of nature and placed great emphasis on this idea in his masterpiece of writing, "Emile". Rousseau believed that 'everything is good as it comes from the hands of the Maker of the World but degenerates once it gets into the hands of man."(3)

It is not easy to understand what Rousseau meant by "Nature", especially since he was not explicit in his explanation of the term which he uses on different occasions without clarifying his use of the word in each case. There are words which linguistically have more than one meaning, such as God, Nature, Love. However, the writer must clarify the ambiguity of these words by giving a definite meaning for them, especially when he wants to use them as a main word or central idea in the exposition of his theory so that his readers would not remain confused in reading it. Therefore it is unfortunate that Rousseau did not explain what he meant by nature in his educational theory in "Emile", for with this consistent neglect, whether intentional or not, he opened the door for philosophers to think about it and find an explanation for it.

One might consider plants, animals, geographical features etc, or the places where these exist "largely free of human influence"(4) as equivalent to the word "nature". We might also consider the environment which

* Professor in the Department of Education at Kuwait University.

Forward all correspondence
and subscriptions to:

THE EDITOR
JOURNAL OF THE SOCIAL SCIENCES
Kuwait University
Kuwait.

(32) Time 1972 A review of Richard Bach's Jonathan Livingstone Sea-gull,, November 13, pp. 44-48.

(33) Tucker, C.W.
1966 "Some Methodological Problems in Kuhn's Self Theory," The Sociological Quarterly, Vol. 7, No. 3, pp. 345-358.

(34) Turner, R.H.
1976 "The Real Self : From Institution to Impulse." American Journal of Sociology, Vol. 81, No. 5, pp. 989-1016.

(35) Wertheimer, M.
1972 Fundamental Issues in Psychology. New York : Holt, Rinehart and Winston.

(36) Wylie, R.C.
1968 "The Present Status of Self Theory," in Borgatta and Lambert (eds.) Handbook of Personality, Theory and Research, Chicago : Rand McNally and Company, pp. 728-787.

(37) Wylie, R.C.
1961 The Self Concept : A Critical Survey of Pertinent Research Literature. Lincoln, Nebraska : University of Nebraska Press



(23) Morris, M.B.
and Hesslink, G.K.
1974 "The Potential Impact of B.F. Skinner Upon American Sociology : Some Further Considerations." The American Sociologist, Vol. 9 (August), 149-153.

(24) Mumford, L.
1965 "A Review of Maslow's Religions, Values, and Peak-Experiences," Journal of Humanistic Psychology, Vol. V., pp. 229-232.

(25) Nettler, G.
1972 A Quotation from a presentation given in a graduate seminar, The University of Alberta.

(26) Progoff, I.
1970 "Toward a Depth Humanistic Psychology," Journal of Humanistic Psychology, Vol. 10, pp. 121-130.

(27) Schaar, J. 1961 Escape from Authority : The Perspective of Erich Fromm. New York : Basic Books.

(28) Shuraydi, M.
1973 The Mystification of the Self in Two Socio-psychological Theories, unpublished Ph. D. Dissertation, Department of Sociology, The University of Alberta, Edmonton, Alberta.

(29) Stanley, M.
1973 "The Structures of Doubt : Reflections on Moral Responsibility as a Problem in the Sociology of knowledge." In Remmling, G : Towards the Sociology of Knowledge. New York : Humanities Press.

(30) Swanson, C.H.
1977 "The Social Marketability of Self : Towards a New Theory ot Social Deviance." Sociological Focus, Vol. 10, No. 3, 263-274.

(31) Tarter, D.E.
1973 "Heeding Skinner's Call : Towards the Development of a Social Technology." The American Sociologist, Vol. 8 (November), 153-158.

(12) Giorgi, A. 1970 Psychology as a Human Science. New York, Evanston and London : Harper and Row Publishers.

(13) Glass, J.F. 1972 "The Humanistic Challenge to Sociology," Journal of Humanistic Psychology, Vol. 12, pp. 170 - 188.

(14) Hardison, O.B. 1972 Toward Freedom and Dignity. Baltimore, Maryland : The John Hopkins University Press.

(15) Harman, W.W. 1969 "The New Copernican Revolution," Journal of Humanistic Psychology, Vol. 9, No. 2, pp. 127-134.

(16) Hume, D. 1874 A Treatise on Human Nature. London : Longmans, Green and Company.

(17) Kando, T.M. 1977 Social Interaction. Saint Louis : The C.V. Mosby Company.

(18) Kelly, G. 1969 "Humanistic Methodology in Psychological Research," Journal of Humanistic Psychology, Vol. 9, pp. 53 - 65.

(19) Kuhn, M.H. and McPartland, T.S. 1954 "An Empirical Investigation of Self-Attitudes," American Sociological Review, Vol. 19, pp. 68-76.

(20) Maslon, 1968 "Some Educational Implications of Humanistic Psychologies," Harvard Educational Review, Vol. 38, pp. 685-696.

(21) Maslow, A. 1966 The Psychology of a Science : Reconnaissance. New York and London : Harper and Row.

(22) Meltzer, B. and and Petras, J.W. 1972 "The Chicago and Iowa School of Symbolic Interactionism." In Manis, J.G. and Meltzer, B.N. (eds.) Symbolic Interaction. Boston : Allyn and Bacon, Inc., pp. 43-56.

BIBLIOGRAPHY

(1) Allport, G. 1955 Becoming : Basic Consideration for a Psychology Personality. Yale University Press.

(2) Bach, R. 1970 Jonathan Livingston Seagull. New York : The Mac-Millan Company.

(3) Bahm, A.J. 1968 "Is There a Soul or No Soul? The Buddha Refused to Answer. Why?" in Raju and Castell (eds.) The Problem of the Self. The Hague : Martinus Nijoff.

(4) Bergin, A.E. 1964 "Psychology as a Science of Inner Experience." Journal of Humanistic Psychology, IV, pp. 95-103.

(5) Blumer, H. 1969 "Sociological Implications of the Thought of George Herbert Mead," in Blumer Symbolic Interactionism : Perspective and Method. Englewood Cliffs, N. J. : Prentice-Hall, Inc.

(6) Boshier, R. 1970 "Self-Regarding Attitudes : A Bibliography," Psychological Reports, 26, p. 218.

(7) Bugental, J.F.T. 1967 "The Challenge that is Man" Journal of Humanistic Psychology, Vol. 7, No. 2, pp. 1-9.

(8) Bugental, J.F.T 1964 "The Third Force in Psychology," Journal of Humanistic Psychology, Vol. 4, No. 1, pp. 19-26.

(9) Cardno, J.A. 1966 "Psychology : Human, Humanistic, Humane," Journal of Humanistic Psychology, Vol. 60, No. 2, pp. 213-220.

(10) Chisholm, R.M. 1969 "On the observability of the Self," Philosophy and Phenomenological Research, Vol. 30, No. 1, September, pp. 7 - 21.

(11) Curtis, J.N. 1915 "On Psychology as Science of Selves," American Journal of Psychology, Vol. No. 26, pp. 68 - 98.

FOOTNOTES

(1)Castell (1968) surveyed a number of books and articles with the intention of finding out what the authors' reactions to the question, "Who Am I?" were. Some of the typical answers were :

"I do not know what you are. I do not know what an 'I' is. You must either stop asking the question or be satisfied to remain in ignorance."
"You are a bundle of perceptions."
"You are a thought. Your thoughts do not require you to think them. They think themselves without you."
"You are a group of cognia."
"You are a set of relations among your thoughts, and between your thoughts and your body."
"You are a grammatical fiction."
"You are a grammatical mistake."
"You are what you do."
"You are like the smoke given off by a locomotive or the clank given off by a chain."
"You are the exercizings of a set of capacities."
Castell comments that "these answers are by no means all, but they are typical. The thing that stands out about them is that they are odd, antecedently improbable, and obscure" (Castell 1968 : 74).

(2)Wylie makes reference to the non-scientific or personal considerations that have strongly influenced the self theorists :
"Thus, although these theorists sometimes laud science and claim that they themselves are working toward scientific theories, their feelings about the scientific method and its implications seem to be markedly ambivalent. Furthermore, their concepts are sometimes inconsistent with scientific assumptions. The assumption of determinism stressed by Freud and modern behaviorists is interpreted by self theorists as robbing man of dignity and creativity, and as inadequate to the understanding of man . . . However, no conclusive arguments rational or empirical against positivism and determinism are presented, nor can they be ... It seems that these theorists want to have their cake and eat it too. They want to have the advantages of being scientific. At the same time, they want to reintroduce assumptions which are inappropriate to the scientific method, and to bring into psychology concepts that operate in a nondeterministic way and are indescribable by scientific operations" (Wylie, 1968 : 733 - 734).

self, which generated a pre-Humean crisis in philosophy, into the social sciences. One interesting question emerges : Would one anticipate a similar crisis in the social sciences a few decades from now?

The social sciences, in their short history, have not succeeded in healing our "philosophical discomforts." One doubts if they ever will. The present state of uncertainty concerning their success obliges us to appreciate, with some qualification, Nettler's (1972) statement that, "Our curiosity is an intellectual itch that we will scratch in any way that gives us satisfaction. The scratching becomes its own satisfaction and we shall not desist because, from some Jovian height, it all appears futile."

The qualification we would like to inject into Nettler's conclusion is this : Some of us are more "optimistic" than others. This "optimism" makes futility more meaningful to some of us. After all, the "humanistic movement" in the social sciences is modeling itself after the existentialist outlook that ventures to create "meaning" out of absurdity.

It is evident that, while the humanist-interactionist persuasions have succeeded in incorporating certain humanistic considerations at the conceptual-flexibility level ,they have increased the methodological lag by abandoning certain primary desiderata that allow us to draw a distinction between scientific and philosophic enterprises.

The abandonment, by both perspectives, of the scientific canons as understood in the physical sciences is based on a dogmatic commitment to an idealized image of man. This image implies a regression to the existentially captivating and philosophically controversial pre-Khaldunic question of how man ought to live. The regression signifies a utopian dissatisfaction with the descriptive-empirical approach to the study of man and a plea for a normative-prescriptive approach. The plea, we suggest, is still grounded in a bewitching attachment to the label of "science" and reflects an embarrassment on the part of the humanistic theorists and the symbolic interactionists in confessing the kinship of the proposed "humanistic science" to "social philosophy." This seems more probable as the cloak of "science" is removed from the body of humanistic concern. We, therefore, contend that the so-called "new science of the subjective" is an integral part of ancient philosophical controversies disguised under the label of science. Wylie's (1968) characterization of the "self-theorists" as wanting to have their cake and eat it too seems substantiated.(2)

Summary and Conclusion

We should be aware of a major implication of desiring to have one's cake and eat it too. The social sciences cannot save us, in the sense of supplying us with the answer to every question about the social-psychological phenomena that preoccupies man's thinking. This is a utopian aspiration that the humanistic movement is pursuing. Such fundamental questions are philosophical in nature (Wertheimer 1972). Our answers to these questions, like those of our intellectual predecessors, the Greeks, are tentative. Nevertheless, the engagement in the search for answers gives us some kind of ravishment and influences our outlook on man's existence. The "meaningful" answers that provide us with "therapy" today might turn out to be the ridiculed symptoms of tomorrow. Perhaps, contemporary sociologists and psychologists championing the recent humanistic movements in social science should be reminded of Schaar's (1961) insightful observation pertaining to the transportation of the notion of

bal short-cuts, and abstract tags." Their usage, Mumford remarks, renders "Maslow's vocabulary false to his essential philosophy" which is struggling to restore into the social sciences the "full gamut of human experience including religion."

The Existential Nature of the Question : Who Am I?

The question "Who Am I?" is essentially an existential question with epistemological connotations. In Bahm's opinion, "What Am I? Is there a self and what is its nature?" are the most important questions in the history of philosophy, Western and Eastern (Bahm 1968). To reduce these questions to an analysis of fragmentary responses on a "self-attitude" questionnaire is, therefore, in direct opposition to what the humanistic movement deplores about the existing models of man in the social sciences. Above all, it should be noted that the question, "Who Am I?" has a profound relation to the ideal nature of man which is at the heart of the romantic glorification of the individual in humanistic psychology and symbolic interactionism.

If we agree with Bugental (1967) that "man, by his very being, provides a fundamental challenge to any pretense to or system of knowledge which man may erect," then we should derive the logical conclusion of this assumption and hold that man is not only a challenge to the behavioristic and psychoanalytic methodologies, but he is also a challenge to the proposed "humanistic methodology."

Although both the humanistic and interactionist perspective have indulged in the search for an answer to the question "Who Am I?", the question continues to be as enigmatic as it has always been in the history of man's social thought. In our judgement, nothing sseems to be more "enlightening" in this context than Buddha's manifesto about man's "greed for views" that terminates in disappointment or unhappiness and draws man, in his metaphysical quests, "farther and farther into a maze of unanswerable questions. (Bahm 1968 : 137).

This implication has bearing on the humanistic theorist's allegation about "shifting the bases of human values" (Harman, 1969) from the realm of the "philosophical" to the "empirical." The allegation is entrenched in the major conflict with which the humanistic theorists and the symbolic interactionists are caught : their desire to be scientists and humanists simultaneously.

but "disparate responses" (Blumer's term 1969); rotating around the social-psychological variables of role, status, and value-orientation. These are the same concepts whose inadequacy for an analysis of human behavior has been discredited by the symbolic interactionists. In sum, the problem is whether our fidelity to man should dictate our methodology, or whether our commitment to a special scientific conception should define our image of man. (Giorgi, 1970; Meltzer and Petras, 1972).

Kuhn's study, lest we forget, is one of the first pioneering explorations to directly employ the "self" of the symbolic interactionist perspective in "empirical research." Tucker (1966) demonstrates two methodological shortcomings in Kuhn's technique. These two methodological drawbacks deal with the effects of the testing situation and the content analysis procedures. They show that the prospect for empirical verification of the basic assertions about the "self" in symbolic interactionism is slim, even with respect to the "Me" or "self-as-object" aspect.

Tucker reports several examples of the theoretical formulations of the "self" in symbolic interactionism that are directly contradicted in research operations. We need cite only one of these illustrations.

> "It was mentioned that the Twenty Statement Test does not violate any of these assumptions or assertions (of the symbolic interaction theory). But when it comes to the analysis of these statements from the Twenty Statement Test, the analyst imposes the meaning on each of them from his own perspective. In many theories this procedure would be appropriate. That is, they do not assume that the perspective or viewpoint of the respondent (actor) is the focus of the study ... But ... in self-theory the experiences of the respondent are the focus of the study. Therefore, the procedures employed in content analysis seem to contradict the assumptions and assertions of the theory" (Tucker 1966 : 356-357).

Aside from the methodological flaws in symbolic interactionism, we recognize that the reduction of the question "Who Am I?" to an operational level mangles the humanistic theorists' and symbolic interactionists' concern about man as a valuing human being possessed of "autonomy, dignity and worth."

The point is well made by Mumford (1965) in criticism of Maslow's "highly specialized private vocabulary," that includes "neologisms, ver-

Iowa School of symbolic interactionism." (Kando, 1977 : 158,163) Furthermore, we caution that the self-constructs themselves can assume an extreme generality and become "umbrella terms" having weak explanatory power. Examples of such self-constructs are provided by Wylie.

> " ... such characteristics as self-actualization, self-differentiation, and self-consistency have not led to enlightening research ... By contrast, constructs such as self-esteem, especially when referring to specified attributes, have yielded more manageable and fruitful research" (Wylie, 1961 : 319).

Wylie's conclusion has been complemented by our demonstration (Shuraydi 1973) that grand theories or global theoretical formulations about the integrative agency of "self" continue to be conjectural. They represent over-generalized statements that encompass a great variety of cognitive, motivational, poetic, prosaic and philosophical categories, all lacking in empirical verification. For instance, the meaning of "self" in the writings of almost all humanistic psychologists and sociologists is assumed as given or is ambiguously stated. In certain writings of these theorists, the meaning of "self" is identified with the entirety of that which is subjective.

As for the symbolic interactionists, we should point to their dilemma of fostering a conception of a "pluralism of selves" while simultaneously postulating a unified sense of "self". Only the "Me" aspect of the "self" appears to be amenable to empirical investigation, regardless of the crudeness of its measurement.

The resurgence of "self" in both the humanistic and interactionist perspectives emphasizes a holistic-dynamic conception of the "self". This emphasis raises the suspicion that any attempt to segment the "wholeness," or, one might suggest, the holiness, of the "self" distorts the original intentions of the expounders of these orientations. In different terminology, we maintain that the emerging emphasis on the operationalization of the "self", particularly in symbolic interactionism, would eventually lead to the same dilemma of segmenting the functioning and experience of a whole human being against which the humanistic theorists and the symoblic interactionists are revolting. The best illustration of this point is found in Kuhn and McPartland's (1954) operationalization of the "self" in terms of responses to a twenty-statement questionnaire on 'Who Am I?" The answers given to this questionnaire seem to represent nothing

on shaky grounds, but would also shatter their utopian aspirations. This conclusion brings us to the central question of the necessity of the "self" as an agent in social-psychological theorizing.

The Self as Agent

It seems that the advantages anticipated from restoring the "self" as an agent in socio-psychological theories are less than clear. Our criterion of evaluation is the "scientific" utility of the concept. In terms of this criterion, we suggest that the 'self" in humanistic psychology and symbolic interactionism is conceptualized as a single, independent entity which is the locus of causality; or, at least, a system of determinacy and indeterminacy simultaneously. This conceptualization leaves the internal agency of 'self" an omnibus term to which any unexplainable experiential or behavioral phenomenon can be ascribed. We, therefore, advance the thesis that the resurgence of the "self" constitutes a way out of the prevailing crisis of values in contemporary western society. In other words, the restoration of the "self" as an agent has a moral justification, but not a scientific one.

This moral justification pertains to modern western man's craving for a "spiritual rebirth," which appears to be sought by intellectuals as well as laymen. The best illustration of this situation is the incredible appeal of Richard Bach's most recent book, JONATHAN LIVINGSTON SEAGULL (1970). This book "emphasizes the self over all else" and glorifies its mystical powers (TIME, November 13, 1972). The message in the book has an intimate similarity to the humanistic theorists' romanticization of the "self."

> 'Jonathan is that brilliant little fire that burns within all of us, that lives only for those moments when we reach perfection."

In opposition to the foregoing stress on the inspirational efficacies of the "self", research evidence (Shuraydi - 973) corroborates Wylie's (1961) conclusion that only self-referential constructs with specifiable attributes have potential investigatory value. On the basis of this conclusions, we can qualify Allport's (1955) call for the usage of "self" or "ego" only in 'compound forms." This conclusion is also substantiated by recent empirical research, particularly the research activities of scholars adhering to the

popularity of certain emerging perspectives or humanistic paradigms such as symbolic interactionism, third force psychology, ethnomethodology and phenomenology is attributed to "a growing concern over the status in social science theory of the person as agent." (Stanley, 1973 : 395). The issue is conflictive in nature : "Beyond freedom and dignity" versus "Back to freedom and dignity."

This issue seems to be the central problem with which the disciplines of psychology and sociology are confronted in the present era. It does not seem uncustomary nowadays, as it did few decades ago, to witness a debate among a group of sociologists over whether we should "heed Skinner's call" and strive "towards the development of a social technology," (Tarter, 1973), or whether we should perceive a real threat in the potential impact of Skinnerianism upon the discipline of sociology (Morris and Hesslink, 1974). The basic question that concerns us is this : What are the implications of this conflict ;

The answer to this question will be handled on two levels :

a) The level of "self" and "self-constructs" with reference to their scientific utility and potential applicability.

b) The level of the social sciences with attention to the intriguing question of whether the emerging "new science of the subjective" is in actuality a "new thrust" or merely an "old wine in new wineskins."

With reference to the "self" as an internal agency, it is apparent that "the Cartesian problem of the knower" is still with us. Its ancestry could be traced not only to the Platonic essential tradition, but also the "psyche" of the fifth century B. C. It is maintained that the problem is basically philosophical and that the postulation of the subjecthood of the "self" has been fruitless at an empirical level. In other terms" "homunculism" characterizes the literature on the "self" as an agent. The "I" or "self" as knower" remains as mystical as it was to David Hume (Hume 1874; Chisholm 1969). The best description of this situation could be borowed from the answer of a working man to a social scientist whose curiosity impelled him to ask a group of laymen about the meaning of the "I". (Curtis 1915 : 73). This layman's answer described the "I" as a "coundrum."(1) Such an answer, we uphold, is utterly unacceptable to the humanistic theorists among whom we include the symbolic interactionists. Its acceptance would not only leave their theoretical formulations

Self Theory and the Wrangle

Over the Image of Man

M. Shuraydi*

Introduction

Recent reviews (Boshier 1970; Wylie 1961, 1968) of theories dealing with the notions of 'self" and "self-constructs" have pointed to a remarkable resurgence of interest in these two concepts after their demise in the behaviorist graveyard. While the research literature regarding the "self-concept" (i.e., self as object) has been skillfully reviewed by Ruth Wylie (1961), the present author (Shuraydi 1973) has attempted to complement Wylie's work with a critical survey and evaluation of the second principal meaning of the "self" (self as subject or inner agent).

This examination has led to the conclusion that the recent restoration of the "self" in social-psychological theories such as humanistic psychology and symbolic interactionism has fundamentally concentrated on the second dominant meaning of "self;' (i.e., self as subject) which is rooted in the question "Who Am I;"

The Wrangle Over Man's Basic Nature

The restoration of the subjecthood or agency of "self" is also linked with the crucial controversy in the social sciences pertaining to the subjective-objective view of perceiving "social reality." It exemplifies the perennial wrangle over man's basic nature and is represented by the question : Is man closer to a God or a dog; Thus, while some schools or social theorists are demanding a termination of the idolization of the individual's attributes of freedom and dignity, plus other "higher qualities," (e.g., Skinner 1971; Berkowitz 1964, 1969), other theorists, with a humanistic bent, (e.g., Bergin 1964; Bugental 1964; Cardno 1966; Giorgi 1970; Glass 1972; Hardison 1972; Kelly 1969; Maslow 1966, 1968; Progoff 1970) are pleading for an immediate reformation of the social sciences that would restore these same attributes and insisting on the primacy of inner experiences rather than behavioral or observable phenomena. The

* Professor of Sociology at the University of Windsor, Canada.



(13) Davison, Philipps, International Political Communication (New York : Frederick Praeger, 1965), p. 334.

(14) Rogers, Everett, Modernization among Peasants : The Impact of Communication (New York : Holt, Rinehart, and Winston, Inc., 1960) p. 102.

(15) Lerner, Daniel, The Passing of Traditional Society : Modernizing the Middle East (New York : The Free Press, 1958), p. 52.



FOOTNOTES

(1) Of these 339 were published in Arabic, 17 in English, 37 in French, 11 in Greek, 6 in American, 3 in Italian, and 1 each in German, Maltese, and Persian. Unesco, World Communications, (New York : Publications Center, 1952). p. 36.

(2) Note Reported

(3) Unesco, World Communications : A 200 country Survey of Press, Radio, Television, Film (Paris : the Unesco Press, 1975), p. 4.

(4) Inaugurated in 1978 the Gulf News Agency is made up of the seven Arabian Gulf countries, namely Saudi Arabia, Kuwait, Bahrein, Iraq, Qatar, Oman, and the United Arab Emirates.

(5) These countries are Mauritania and Saudi Arabia.

(6) Unesco, World Communications : Press Radio. Television, Film (New York : Unesco Publications Center. 1964). p. 41.

(7) Head, Sydney. Broadcasting in Africa; A Continental Survey of Radio and Television (Philadelphia : Temple University Press, 1974), p. 129.

(8) They are the General Programme, the Second Programme, the Voice of the Arabs. the Holy Koran Service, the People's Programme. the Middle East Radio, the Youth Radio Service, The Alexandria Regional Radio Service, and the above mentioned foreign language services.

(9) Green, Timothy. The Universal Eye : World Television in the Seventies (London : The Bodley Head. 1972), p. 223.

(10) They are Algeria. Egypt. Morocco, Sudan, Iraq. Jordan, the U.A. Emirates. Oman. Bahrein Kuwait, A.R. of Yemen. Lebanon. Qatar, and Saudi Arabia which own two ground stations.

(11) Head, Sudney, op. cit. p. 264.

(12) The Arab League Information Offices are located in New York. Dallas Washington D.C.. Chicago, San Francisco. Ottawa. Brasilia. Buenos Aires. Santiago. Bonn. Rome. Geneva. Brusssels. Madrid. London. Paris. Dakar, Nairobi. Lagos, New Delhi, and Tokyo.

cal areas that were hitherto isolated both physically and culturally. Politically the media, and radio in particular, played the role of catalyst in the Arab renaissance and reunity. But much remains to be accomplished. Inspite of the spread of mass media ,the Arab masses are still inadequately covered. And it is due to the exposure to the mass media, according to Rogers, Lerner, Sheomaker and others that the whole process of social change and development is triggered. It is exposure to the mass media that engenders empathy, starts agricultural and home inventiveness, increases political knowledge, raises achievement motivation, and increases educational and occupational aspirations (13, 15), all of which are needed in varying degrees in the Arab world. It is therefore our belief that an increased effort on the part of the Arab authorities to spread responsible mass media so as to reach most citizens will be greatly repaid in terms of development. A greater effort in particular should be made to use the media as essential tools of social progress and as major conveyors of ideas in such areas as better health, family planning, and national unity. Measures such as lowering of import taxes on radio and television sets, local manufacturing or assembling of television receivers, development of local and inexpensive papers will be particularly useful measures.

On the international scene, modern technology brings in its wake more exchange of information within Arab states and between the Arab states and the rest of the world. The Arab press through its news agencies will be among the media that will benefit from advanced technology. The projected Arab satellite will open new horizons and tap information sources that were untapped so far. It is hoped that the Arab states will use this new technology with greater skill and ingenuity to win the battle of minds.

It is also hoped that the Arab mass communication institutions of learning will play a leading role in the preparation of professionals who will be responsible for the management and outputs of Arab media. The task of these new generations of communicators will be to direct and shape the Arab media as tools for the progress and development of their countries.

To that end and in the foreseeable future the Arab mass media will remain in the hands of the State, and will be managed as public services. As such it is hoped that they will come to achieve the goals of progress and prosperity of this area.

foreign-policy objectives. This is achieved through such channels of open diplomacy as personal communication with members of pressure groups and opinions leaders through debates, and discussions.

Where such Arab Information Centers do not exist, Councils of Arab Ambassadors and Arab Information Commitees are formed to carry out the information policy and aims of the Arab League.

Other means of international communication take the form of regular or occasional meetings between Arabs and leading world figures in culture, literature, philosophy, religion, and the arts. Of particular importance is the Arab-European Dialogue which includes some of the best minds in the Arab and European worlds. Efforts are also made to bring together Arab and American thinkers, philosophers, and writers such as the one organized in Washington D.C. by the Library of Congress in 1976. All these meetings have one goal in common, namely the furthering of the dialogue between the two cultures and the search for ways of improving the channels of communication between them.

International festivals, exhibitions, cultural events, are also among the means used by the Arab governments to contact peoples of other countries. It is estimated for example that the number of people who viewed the King Tut Ankhamon exhibition counted in the millions. It is also reported that the World of Islam Festival organized in England in 1975 has greatly increased both the interest in and the knowledge of thousands of people in both Islam and the Moslem civilization of which the Arab civilization is an integral part.

Informal contacts between youth, professors, and students through exchange programmes or through international tourism bring beyond the shadow of a doubt results that formal contacts between government officials would be unable to accomplish. Because these channels are informal those who get involved in them are, as suggests Davison, more open and prone to their subtle implications.(12)

Conclusions

Regarded as a whole, the Arab world has made great strides in the use and development of mass communication in the last quarter of a century. In terms of coverage, the Arab media have penetrated geographi-

thetic aspects of broadcasting. It also promotes the exchange of radio and television recordings between its state members and organizes the simultaneous broadcasting of such programs. The coverage and simultaneous broadcasting of the rites of the pilgrimage in Saudi Arabia and the coverage of the Olympic Games held in Montreal in the summer of 1976 via satellite to all Arab countries equipped with satellite ground stations were among its achievements. It was the Union which secured all the arrangements for the Arab countries, booked the satellite time, and covered the events through a team of producers and broadcasters drawn from a number of Arab brodcasting services.

Other international broadcasting organizations to which Arab states belong are the International Radio and Television Organization, which counts Algeria, Egypt, Sudan, and Syria among its members; the Union of National Radio and Television Organization of Africa (URTNA) which includes all Arab countries on the African continent, namely Egypt, Libya, Tunisia, Sudan, Somalia, Mauritania, Algeria, and Morocco; and the Asian Broadcasting Union (ABU) in which Saudi Arabia, Egypt, and Jordan are full members and Iraq is an associate member.

Of its 33 full members, the European Broadcasting Union counts six Arab countries, Morocco, Algeria, Tunisia, Libya, Jordan, and Lebanon, Its Arab associate members include Egypt, the United Arab Emirates, Qatar, Kuwait, and Sudan.

It is of interest to note that Algeria, Morocco, and Tunisia participate in EBU's Eurovision regional network, which links them not only to Western Europe's national systems, but also through EBU to Eastern Europe's Intervision network and to satellite transmission from North and South America and Asia."(10)

In an effort to further the dialogue between the Arab nations and the rest of the world, the Arab League maintains information offices in twenty one cities across the world. Nine such bureaus are in the Americas of which five are in the United States, three offices are in Asia, two in Africa, and seven are on the European continent.(11) They all have a twofold purpose. The first is educational and cultural, and aims at acquainting the public with the cultures, aspirations, and potential of the Arab world; it is an image-building task. The second purpose is political; it aims to influence public attitudes in these nations in support of Arab

abroad, the initiation of the Arab-European Dialogue, and the participation of Arab media in international media activities, news events, and international mass media organizations to give only a few examples.

As early as 1969, thirteen Arab states had already joined the International Telecommunications Satellite Consortium. Today most of the Arab countries have joined this international body sharing with the rest of the members the costs of development and administration of the organization.

In addition, fourteen Arab countries have set their own satellite ground stations which link them through both the Atlantic and Indian Ocean satellites to the rest of the world.(9) the rest of the Arab countries are either in the process of setting up such stations, or are planning for them.

Work on the projected regional Arab satellite which will serve the communication needs of the Arab world is in progress. It is expected that this satellite will greatly increase the flow of communication among the Arab states, along with a greater exchange of bilateral information. The fact that the Arab nations share the same language and culture should pave the way for the successful use of this satellite.

In the field of news exchange, all Arab nations, as was noted earlier, subscribe to and/or exchange news with the major world news agencies. Most Arab national news agencies maintain bureaus in key capital cities; so do major Arab dailies whose circulation numbers in neighbouring Arab states are often substantial. Arab news agencies and Arab journalists belong to both international and regional unions such as the Arab News Agencies Union and the Arab Journalists Union.

Arab broadcasting services also belong to similar organization. Foremost is the Arab States Broadcasting Union whose membership count all Arab countries. The organization which was founded in 1968 aims to to coordinate the efforts of the individual Arab broadcasting services, and to exchange expertise and information on all matters of general benefit to all broadcasting corporations of the Arab members states.

It maintains a technical center in Khartoum, Sudan, and three news exchange centers in Kuwait, Oman, and Rabat. It organizes seminars, workshops, and sympozia on a variety of technical, educational, and aes-

knowledge and further research. Special training courses are also often organized by Egypt's national Radio and Television Training Institutes for Arab broadcasters. They consist of instruction on techniques of broadcasting with demonstrations, discusssions and practical work. In addition, the Department of Information of the Ministry of Information and the Egyptian Journalist's Syndicate often conduct seminars on selected topics for selected groups.

Through bilateral and multilateral agreements, training in the arts and techniques of the mass media is also made available outside the Arab world. Countries such ass England, Italy, France, Spain, and the German Federal Republic either include Arab professionals in their regular training programmes or organize special training courses for them. These usually center on some advanced technological aspects of the media such as satellite transmission or color television production.

Scholarships and fellowships are also made available to Arab students either through Arab universities or through the Arab States Broadcasting Union.

Regional centers for training in the mass media similar to those developed and supported by Unesco in India and Malaysia have been established in the Middle East. The Qatar training center is one of them. This center assisted by Unesco and financed by Qatar's government will eventually meet the training needs of the Arabian Gulf states, namely Qatar, Oman, the United Arab Emirates, Saudi Arabia, Kuwait, Bahrein, and Iraq.

The regional training center of Damascus which serves both Syria and its neighbouring countries is already functioning.

International Communication and the Arab States

The Arab nations are recognizing the need for rapid and efficient international communication. In order to increase the flow of communication among themselves on one hand, and to further the dialogue between themselves and the rest of the world on the other, the Arab states are both improving already existing channels and are setting up new ones. Chief among the new channels are the forthcoming Arab satellite, the increase in the number of Arab Information Offices across the world, the establishment of an Arab press published in foreign languages

journalism was started by the American University in Cairo which presently offers courses leading to both a Bachelor and a Master's degree in Mass Communication.

In nine countries, Egypt, Saudi Arabia, Syria, Algeria, Libya Sudan, Tunisia, Iraq, and Lebanon, departments or whole faculties of mass communication now offer courses leading to at least a Bachelor degree in mass communication. Their common goal is the preparation of communications experts who will be responsible for the planning, production, and administration of Arab mass media. The Faculty of Mass Communication of Cairo University graduated 218 such students in 1976, while the Abdel Aziz Al Saoud University of Saudi Arabia graduated its first twenty communication specialists during that same year. Students seeking higher degrees in the study of mass communication are able to pursue their studies for a Master of Arts or a Doctor of Philosophy degree in Cairo University. In addition Cairo University offers a two-year course leading to the Diploma in Mass Communication, which is a post graduate degree-especially designed for professionals whose Bachelor degrees were in fields other than mass communication.

A survey of the content of the courses offered by the Arab institutions showed that they covered both the theoretical and practical aspects of mass communications. The traditional emphasis on practicing journalism has yielded to the new approach of preparing experts responsible for the setting up, the output, and the administration of the mass media. More and more emphasis is on the use of these media as vital channels for education, development, and social change.

Where academic institutions for the study of communication do not exist, training centers such as those in Algeria, and Morocco, provide training in the techniques and skills of mass media production. Such centers offer shorter courses and training for the local media personnel. In fact it is not uncommon for some Arab countries to have both academic institutions and training centers.

All of these centers of academic learning and training are opened to all Arab specialists in the field. It is of interest to note that close to 30% of the students enrolled in the Diploma program at Cairo University Faculty of Communication are non-Egyptians. Sudanese, Saudis, Thais, Jordanians, and Somalis join their Egyptian colleagues in the pursuit of

only 20 houses in the last two decades, Syria today ranks after Morocco which has 260 houses, Tunisia which has 104 houses and Lebanon which has 170 houses. The largest number of cinemas in the Arab world belongs to Algeria which has 640 cinema houses.

These figures, however, do not quite reveal the size of cinema attendance in the Arab countries. The projection of films by mobile units is very common, particularly in rural areas. In Egypt, for example, the so-called "Caravans of Culture" which are mobile units equipped with films, libraries, and educational material travel the country, adding an untold number of cinema spectators to the reported numbers. If we add the number of spectators of films shown in clubs, schools, factories, and privately we will realize that the data available are only estimates.

It is of interest to note that Saudi Arabia still has no public cinemas. The production and projection of entertainment films are banned because they are considered to be prejudicial to Islamic ideals. The only entertainment films projected in the country are those shown privately and those projected by foreign companies to their employees. The latter are organized on a non-profit basis. The only films produced in Saudi Arabia are of a non-entertainment nature. They are produced by the film unit of the Saudi television and are broadcast via television.

Education and Training for Mass Communication

The rapid growth of the Arab mass media in the last quarter of a century has created a felt need for qualified and well-trained Arab communications specialists. To meet these needs the Arab states are working on three fronts. They are establishing institutions for the academic study of communication, extending existing training centers and initiating new ones for the training of their personnel, and sending their staff for training abroad.

The academic study of communication in the Arab world, namely the study of journalism, dates back to the mid-thirties. It was during that period that Cairo University initiated its Institute of Journalism which was eventually replaced by a Department of Journalism in 1954, and later by the present Faculty of Mass Communication in 1970. Independently, but also during the mid-thirties, another program for the study of

TABLE 8

Number of Cinema Seats per 1000

Inhabitants in 1962 & 1975

Country	1962	1975
Algeria	0.20	14
Egypt	N. R.	6
Libya	N. R.	9
Mauritania	0.0025	N. R.
Morocco	0.12	9
Somalia	N. R.	8
Sudan	0.06	5
Tunisia	0.1	9
Iraq	0.13	N. R.
Jordan	0.10	9
Kuwait	0.4	13
Lebanon	0.62	30
Oman	0.17	N.R.
Qatar	None	41
Saudi Arabia	None	None
Syria	0.10	N. R.
U. A. Emirates	———	N. R.
A. R. of Yemen	None	N. R.
P. D. R. of Yemen	N. R.	N. R.
Bahrein	0.82	45

In Qatar, where there were no films shown a decade ago, the number of seats per thousand is 41 today. Kuwait, Algeria, Jordan, and Morocco displayed a similar upward trend. Egypt, with 240 cinema houses, has one of the largest number of cinemas in the Arab countries. This number, however, is not quite in proportion with its fourty million inhabitants. Syria, which had 50 cinemas in 1950, was the leading Middle Eastern country in terms of number of cinema houses. With an increase of

The major exporter of Arabic films in the Middle East is Egypt, and almost all Arab countries depend heavily on Egyptian films. The unity of language and the similarity of the topics and problems dealt with make for the popularity of the Egyptian film in the rest of the Arab world. Egypt's international film market also includes some predominantly Islamic African and Asian countries. The Egyptian government, which makes a good profit from the sale of its films abroad, insists on a minimum of artistic standards for the export of the films.

With the exception of Egypt the flow of films between the Arab countries and the rest of the world is a one way traffic. Arab states are regular importers of foreign films which are either subtitled or dubbed before their projection. Political, commercial, and cultural ties are at play in the distribution of films in the Middle East. As a general rule more films are imported from the Western bloc countries with which the Arab countries have had longer contact. Morocco, Algeria, and Lebanon, which had a long history of French colonialism and influence, imported respectively 60, 131, and 100 French films in 1960 against 11 and only one French films imported by Egypt and Sudan during the same year.

Other countries from which the Arab world imports films are India, England, Turkey, China, Pakistan, Japan, Italy, and the Socialist countries, but it is American films that far exceed the other non-Arabic films in number and in popularity in the Arab world. Of the 375 films imported by Egypt in 1971, 163 films were of American origin. Tunisian imports of the same year amounted to 164 American films or two thirds of its imports.

Regarded statistically, significant increases were recorded in the number of new cinema houses in most Arab countries over the last three decades. Similar increases were also registered in both annual film attendance and in the number of cinema seats per thousand persons.

According to Table 8, Bahrein, Qatar, and Lebanon lead the other Arab countries in terms of availability of cinema seats for their populations.

are used by the state for both social change and political control. In these countries such vital organs of communication are used as instruments to speed the process of modernization and development.

Motion Pictures in the Arab World

Films have maintained their popularity with Arab audiences since the art of film making was introduced in the Middle East. Fifty years ago Egypt produced its first feature film. Today Egypt is still the center of the film industry in the Arab world. Its well-equipped studios and film-processing laboratories have produced close to 1800 feature films in the last half century. With an average production of 65 feature films annually, Egypt is ranked the thirteenth largest feature film producing country in the world; two decades ago it was the fifteenth. In addition to feature films, the Egyptian film studios turn out an average of 50 documentaries and 90 short films a year.

Next to Egypt in film production are Lebanon which averages 6 feature films a year, Algeria with 4 films and Tunisia with 2 films a year. Mauritania and Kuwait have produced their first feature films in the early seventies, the latter winning a number of international prizes at film festivals.

With no exception all Arab countries produce some documentaries, newsreels, and short films. The latter deal with education, health, industry, agriculture, and social affairs; a few of these titles are entertaining. Some of these films are produced by the public sector which is predominent in the Arab film industry, the rest of the films are produced by the private sector, and the film units attached to the televission bodies.

Most Arab states encourage their film production industries. Official and public encouragement in Tunisia, for example, takes the form of state aid for film production; in other countries it takes the form of sponsorship and establishment of local film clubs. In Egypt, the government has established a cinema institute and a motion-picture centre. It also sponsors the publication of a magazine dealing with a film techniques.

Coproduction of feature films among Arab countries is rather limited, the main coproducers being Egypt and Lebanon. Films coproduced with European countries such as France, Turkey, and Italy are even fewer.

As in the case of radio broadcasting, the size of Arab television audiences is only an estimate. Here again community and group viewing, undeclared receivers, and the large size of families greatly add to the size of these audiences. To increase the number of television receivers owner- and hence reach their potential audiences, Arab governments have taken such steps as the lowering of import duties on television receivers, the local manufacturing or assembling of receivers, in particular battery operated ones, and the electrification of rural areas.

Patterns of Control and Financing of Arab Broadcasting

The state dominates the scene in broadcasting in the Arab world; this means that both radio and television with a few exceptions are under direct government control.

In the case of sound broadcasting the state owns all Arab radio stations and operates them as public institutions. Radio services are under the direct jurisdiction of either the Ministry of Communication or the Ministry of Information, or their equivalent, which assume the responsibility for the policies, planning, operations, and outputs of radio broadcasting. The control of television follows the same pattern as radio in all Arab states, with the exception of Lebanon, in which television broadcasting is assumed by two commercial companies.

Because broadcasting is carried out by the government, it is the State that provides the funds for broadcasting operations. Except for Lebanon's television service and Radiodiffusion Television Algerienne, a state-owned but financially autonomous public corporation, all broadcasting services are financed by the government. This sometimes takes the form of license fees, as in the case of Morocco, Jordan and Mauritania, or a tax on electricity consumption such as the one imposed in Egypt. Other sources of income are made available as more Arab governments allow the broadcasting of limited amounts of commercial advertisement on both radio and television. Two countries, Egypt and Lebanon, are major exporters of radio and television programmes to the rest of the Arab world and the sale of such recorded programmes brings in additional income.

The patterns of control and financing of Arab broadcasting services are similar to those prevailing in the rest of the world. They are similar to those existing in other developing countries, where radio and television

TABLE 7

Number of Television Receivers per
1000 Inhabitants in 1962 & 1975

Country	1962	1975
Algeria	0.06	10
Egypt	0.10	20
Libya	0	0.5
Mauritania	0	0
Morocco	0.02	14
Somalia	0	0
Sudan	0.002	6
Tunisia	0.01	16
Iraq	0.07	25
Jordan	0	42
Kuwait	0.60	165
Lebanon	0.45	113
Oman	0	N. R.
Qatar	0	370
Saudi Arabia	0.03	19
Syria	0.09	22
U. A. Emirates	——	75
A. R. of Yemen	0	N. R.
P. D. R. of Yemen	N. R.	16
Bahrein	0	59

A closer look at the same table, however, reveals that in general the ratio of television ownership in the Arab states is rather low. Only in five countries, Lebanan, Qatar, Kuwait, the United Arab Emirates, and Bahrein, is the ratio 50 to one thousand inhabitants. In five other countries, Egypt, Iraq, Jordan, Syria, and Saudi Arabia, the ratio is between 20 and 50 per thousand, and in six other countries the ratio is below 20 per thousand.

To date ten Arab countries have made the switch to colour television. They are Algeria, Tunisia, Lebanon, Jordan, Kuwait, Qatar, the United Arab Emirates, Bahrein, Oman, and Egypt. Some of these countries such as Kuwait and Jordan have opted for PAL, others such as Egypt and Saudi Arabia have opted for Secam. Such choices are believed to have been influenced by both political and economic factors.

It is of interest to note here that in addition to its own television service the Saudi Arabian government agreed to let the Arab American Oil Company (Aramco) operate a privately owned non-commercial television station in Dahran which broadcasts between four and five hours daily. The telecasts which are intended for Aramco personnel, reach part of both the Saudi and the neighbouring Bahreini audiences. A similar agreement was reached by the U.S. Air Force in Libya to operate the American Forces Radio and Television Service station at Wheelus Air Force Base. In addition to the American personnel the broadcasts reached part of the Libyan audience until the base was evacuated in 1970.

As far as the ratio of television receivers to population in the Arab world is concerned, Table 7 indicates a significant upward trend in all Arab countries. In some countries such as Kuwait the increase over the last decade was immense, it jumped from 0.60 receivers per thousand persons in 1962 to 165 receivers in 1973, or an increase of 275%. In Lebanon the increase was 251%.

ation with the Ministries of Education and transmitted during school hours on school days. Adult education programmes and analphabetism courses are also transmitted by television in a number of Arab states which organize teleclubs and community viewing centers in rural areas for this particular end. But here again, as it is in the case of radio, television is not used fully as a medium of social change and modernization.

In certain cases such as in Jordan, programming is partly dictated by political considerations. Because Jordanian television is meant to attract Arab audiences in the West Bank and Israel, its programmes are carefully planned with an eye on the Israeli television schedules. "The Israelis in turn", says T. Green, try to get these same audiences "by putting on popular programmes in Arabic to conflict with the news on Jordan television. Both in Jordan and Israel, television programming is dominated by the desire to outwit the rival station over the border".(8) In fact Israeli television which was set originally as an educational tool, made the switch to entertainment programmes to provide Israelis equipped with television sets and turning to neighbouring Arab services with local programmes. The development of television in Israel has also caused a debate in Arab countries as to whether it should be jammed. This consideration was dropped, however, in favour of a decision by the Arab states to provide Jordan with free programmes. Chief among these are instructional telecasts in such subjects as Arabic language, history, geography, and literature, which are believed to be deliberately distorted by the Israeli authorities.

Part of the Arab television output is broadcast in foreign languages. The broadcasting by television for minorities is, however, not as extensive as it is in radio, due mainly to insufficient capacity and funds for production. Part of this output is made up of programmes imported from foreign countries and these are usually subtitled, the rest is locally produced and uses minority languages in addition to English and French. Half of Iraq's programmes transmitted from its Kirkuk's stations for its Kurdish minority is half conducted in Kurdish, the other half is conducted in Arabic. Algeria's locally produced programmes use Arabic, French and Kabyle.

The broadcasting of advertisements on television is not uncommon in Arab television services. As a general rule less air time is given to this category on Arab television than on their European and American counterparts. Lebanese privately owned television companies, however, allow as much as six minutes of advertising per hour. Other countries group the advertisements in blocs and run them together.

The Arab countries rely in varying degrees for their television output on foreign films and telecasts. The percentage of imported telecasts to locally produced ones ranges from 40 to 60%. Approximately half of the Iraqi, Saudi Arabian, and Lebanese telecasts are produced locally. Kuwait and Sudan produce around 60% of their television programmes, only Qatar imports 75% of its broadcasts from other countries. Arabic programmes of non-local origin are either directly imported from other Arab counties or are exchanged between these countries through bilateral agreements. The Arab States Broadcasting Union (ASBU) plays a leading role in encouraging the exchange of these programmes. Egypt is the largest exporter of telecasts to the rest of the Arabic-speaking countries. It is also estimated that Egypt exports some 1,200 hours of programmes a year to other non-Arabic speaking countries in Africa and Asia.

Other sources of telecasts for the Arab states are the U. S. A., France, England, Eastern Europe. Most of these telecasts are leased, some are exchanged and some are directly piped in from Eurovision. This is the case in both Morocco and Tunisia, whose television networks are linked to those of Spain and Italy respectively and hence to Eurovision. Some videotapes and films are released from foreign diplomatic missions or from cultural centers.

Arab television programmes are broadcast locally through either one or several national networks. Lebanon, whose television services were carried by two commercial companies, did broadcast its programmes on two separate networks. Until recently Egypts television output reached its audiences through three channels; today only two are on the air. The first one, which carries the main service, reaches all populated areas, the second one covers only the Delta area. Plans are being made to extend the coverage of the second network and to use it for educational purposes.

The bulk of Arab telecasts are intended for general audience; they include the usual categories of entertainment, news and information, programmes for special audiences, religion, culture, and instructional and educational telecasts. The percentage of each category to the total number of telecasts varies from one country to the other, but it is believed that entertainment takes up a large part of the broadcasting time. Telecasts for school instruction are regular features in many countries such as Kuwait, Iraq, Egypt, Lebanon, and Sudan. They are organized in cooper-

TABLE 6

Number of Hours of Weekly Television

Broadcasting in 1962 & 1975

Country	1962	1975
Algeria	N. R.	40
Egypt	N. R.	115
Libya	0	42
Mauritania	0	0
Morocco	N. R.	32
Somalia	0	0
Sudan	N. R.	38
Tunisia	N. R.	45
Iraq	49	N. R.
Jordan	0	60
Kuwait	42	38
Lebanon	72	100
Oman	0	N. R.
Saudi Arabia	0	36
Qatar	28	38
Syria	42	55
U. A. Emirates	———	42
A. R. of Yemen	0	N. R.
P. D. R. of Yemen	N. R.	34
Bahrein	0	N. R.

uses 28 transmitters with a total power of 54 Kw to cover its approximate area of one million square kilometers, while Qatar uses 2 transmitters to cover its 22,000 square kilometers. In both cases the total populations are reached; this is possible because in Egypt the population occupies approximately 5% of the total area of the country. Most of the Arab television services reach their potential audiences.

Some of the Arab television services are linked together by microwave to form regional networks, such as the Maghrebvision which links the television services of Morocco, Algeria, and Tunisia. This network will eventually be linked to a second network in progress between Libya and Egypt, thus bringing all North African Arab countries together. A third such project, the Gulfvision, will eventually form a regional television network that will bring all Arab countries of the Arabian Gulf together.

In addition, the projected regional Arab satellite will greatly increase the flow of information between Arab states, making possible more television programme exchanges and more simultaneous broadcasting of major events.

Parallel to the increase in the number of television transmitters and television coverage in the last decade is the increase in the number of television transmission hours. With a weekly output of 115 hours of telecasts, Egypt is first among the Arab states, closely followed by Lebanon with 100 hours. Ten years ago Jordan had not T V but today is ranked third among the Arab countries, with a total weekly output of 60 hours. Table 6 also shows that Qatar, whose television service did not go on the air until 1970, has 36 hours of weekly telecasts

Only a fraction of the broadcasting time is given to advertising which has only been recently introduced in some Arab broadcasting services.

Politically, however, it is known that radio in the Arab countries has been and is still being used successfully. Arab leaders such as Nasser have realized the potential of this medium and have used it to achieve their goals. A case in point is the controversial "Voice of the Arabs", a service that encouraged the liberation movements not only of the Arab countries still under colonialism then, but also those of other African countries. It is equally well known that in their struggle for independence the Algerians rallied to war on a notice from their transistors.

Today radio is still considered an essential tool of international relations. It is used by the Arab countries to present their viewpoints on important events, to explain their atttitudes on world problems, and to foster their self-images. Part of this external effort is directed to neighbouring Arab countries, the rest is meant for the international community.

By the same token and for economical and political reasons the Arab world is the target of international broadcasting. Israel, the U.S.A., the U.S.S.R, England, France, the Federal Republic of Germany, and many other countries beam special broadcasts to the area, both in Arabic and in other languages. Some of the broadcasts are meant to create goodwill toward the originating countries but others have propaganda ends such as the Israeli broadcasts which are often jammed by Arab authorities.

Arab Television Broadcasting

Television broadcasting has pentrated all Arab countries with the exception of Somalia and Mauritania. The introduction of television in the Arab countries dates back to the fifties when the Algerian, Iraqi, and Lebanese television services were started. But it was during the sixties that most other Arab television services went on the air.

Today, Arab television audiences are reached through a network of 116 television transmitters, an increase of 67 transmitters over the last decade. The number and power of the transmitters used by each Arab country varies according to its area, the size and geographical distribution of its audiences, and in consideration to economic factors. Egypt

The number of regular local broadcasting services varies from one Arab country to the other. Egypt, for example, broadcasts nine radio services to cater to the tastes and needs of its population(7) In addition it provided facilities for the broadcasting of a special radio service conducted by the Palestinian Liberation Organization. To all these activities an extensive overseas service conducted in 36 languages and ranked among the five first in the world as mentioned earlier completes the picture.

Other countries such as Kuwait beam four local services daily; two of them are conducted in Arabic, a third service is broadcast in English, and the fourth consisting of stereo music is broadcast on FM. Most of the radio services in the area originate from the capitals; local broadcasting, like the local press, hardly exists in the Middle East, but where it has been initiated such as in Morocco and in Alexandria in Egypt it has succeeded in reflecting and in reviving the traditional local art forms, industries, and character.

The introduction of frequency modulation broadcasting in the Middle East is recent and limited. In all, seventeen stations are in use, six of which are in Morocco, two in Jordan, three in Lebanon, four in Saudi Arabia, one in Kuwait, and one in the United Arab Emirates.

In terms of number of hours of transmission the Arab countries have made a great strides. Only twenty years ago Yemen owned a single radio station that transmitted one hour daily. Saudi Arabia owned one medium-wave and one short-wave transmitter that broadcast a few hours daily.

The content pattern of Arab broadcasting is the one familiar throughout most of the world; entertainment makes up a good part of broadcasting hours. The percentage varies slightly from one country to the other; Qatar reports 57%, Syria 45%, Sudan 28%, and Kuwait 72% of entertainment. Next come programmes devoted to the letters, arts and science which make up 24% of Algeria's broadcasting hours, 14% of Egypt's, and 30% of Somalia's. News and information programmes make up 40% of Mauritania's broadcasting service, but only 9% in Kuwait. Most Arab services make systematic use of sound broadcasting for schools and adult education, thus Algeria devotes 11% of its air time to that end, Syria 8%, and Tunisia 9%. The rest of the broadcasting time is allocated to programmes for special audiences, minorities, religion, sports, and the like.

Unlike film and television production all Arab broadcasting services rely heavily on their own production. This is relatively easy compared to motion pictures and television for it does not require the specialized personnel and the advanced technology of the other media. In addition, an attempt is made by all governments to reflect and foster their national character and self-images. The import of programmes from other Arab countries and from foreign broadcasting services is not, however, uncommon. Egypt again is the main exporter of radio recordings to its Arab neighbours. The Arab states Broadcasting Union (ASBU) organizes and encourages the exchange and the simultaneous transmission of broadcasts in all the Arab world. As noted by Sydney Head "the great unifying influences of a common religion, Islam, and a common sacred language, Arabic, enables broadcasting to achieve a kind of universality impossible in countries with dozens of different languages, religions, and cultural traditions". "Broadcasts in Arabic", he adds, 'have common meaning and fascination, not only for the majority of the inhabitants of a single country, but for the peoples of the entire North African and Middle Eastern regions".(6)

Additional bilateral agreements between individual Arab and foreign broadcasting services provide a further source for sound recordings. Such recordings partly feed the local broadcasting services conducted in foreign languages. France, England, The Federal Republic of Germany, India, Pakistan, and a number of international broadcasting organizations such as the OIRT, EBU, ABU, and URTNA are among these sources. The recordings range from drama, documentaries and instructional programmes to musical recordings.

Programmes conducted in foreign and minority languages constitute an important feature in the Arab broadcasting services. Where large minorities exist whole broadcasting services are specially designed to reach them. Iraq has a special service in Kurdish for its Kurdish minority, Morocco broadcasts an 8 hour daily programme in Berber ,and Mauritania transmits in Toucouleur, Sarakole, and Wolof. Cairo has daily programmes in English, French, German, Italian, and Greek. Other Arab states broadcast in Spanish, Armenian, Amharic, Qoti, Swahili and Turkoman for their minority groups which use these channels for self-expression.

TABLE 5

Number of Hours of Daily Radio
Broadcasting in 1975

Country	1975
Algeria	43
Egypt	172
Libya	18
Mauritania	9
Morocco	57
Somalia	3
Sudan	21
Tunisia	42
Iraq	22
Jordan	24
Kuwait	19
Lebanon	100
Oman	7
Qatar	15
Saudi Arabia	N. R.
Syria	20
U. A. Emirates	N. R.
A. R. of Yemen	15
P. D. R. of Yemen	10
Bahrein	8

First is Egypt with 172 hours of daily broadcasting, followed by Lebanon with 100 hours, and Morocco with 27 hours. In fact Egypt is considered to have one of the most active broadcasting services in Africa in terms of national broadcasting output. Its international broadcasting output ranks among the first five in the world.

Table 4 shows that Kuwait's ratio of receivers to population of 0.28 ten years ago has reached 439 today; i.e. an increase of 1567%. Qatar, Syria, and Bahrein showed similar large increases, and Egypt's ratio of 144 receivers per 1000 inhabitants ranks among the highest in the African continent. It is estimated that almost all Arab countries have adequate sound broadcasting penetration today, . However, the figures shown on Table 4 do not even come close to revealing the actual size of Arab radio audiences. Spontaneous and organized group listening are very common in these countries.

In Egypt, for example, the state has established radio and television listening and viewing centers in rural areas, where peasants meet to listen and discuss special farm programs, or for an occasional evening of entertainment. It is also believed that the estimated number of radio receivers in some Arab countries is larger than the reported figures because large numbers of receivers are undeclared.

Undoubtedly broadcasting reaches far more people in the Arab Middle East than both the press and television. The relatively low price of radio receivers, particularly those manufactured locally, the convenience and ease of operation of transistor sets, the rather high rates of illiteracy, the variety of programs offered and their emission in minority languages all contribute to making radio the most popular mass medium in the Arab countries.

In terms of amount of daily broadcasting output, Table 5 shows that all Arab broadcasting services except four are on the air for more than 12 hours a day.

TABLE 4

Number of Radio Sets per 1000
Inhabitants in 1962 & 1975

Country	1962	1975
Algeria	0.61	46
Egypt	N. R.*	144
Libya	0.62	41
Mauritania	0.20	125
Morocco	0.55	95
Somalia	0.12	17
Sudan	0.09	97
Tunisia	0.63	49
Iraq	0.21	169
Jordan	0.38	211
Kuwait	0.28	439
Lebanon	0.61	210
Oman	None	N. R.
Qatar	None	432
Saudi Arabia	0.21	31
Syria	0.57	375
U. A. Emirates	———	175
A. R. of Yemen	N. R.	41
P. D. R. of Yemen	0.52	53
Bahrein	N. R.	341

* Not Reported.

study of communication and professional training of personnel in the Arab world.

Radio Broadcasting in the Arab World

Sound broadcasting was introduced in the Middle East as early as the mid-twenties. In Egypt the first radio transmissions were broadcast in 1929 by privately owned local stations run for commercial purposes. In 1934 the state took over radio broadcasting and ran it as a public service. The same pattern was repeated in a number of other Arab countries.

A second pattern was set by the former colonial rulers who introduced radio broadcasting for the service of their armed forces stationed in Arab territories. Radio Somalia was thus operated for the British Military government in the fifties. In the sixties, three radio stations were established by the British Armed Forces in both Tripoli and Benghazi in Libya to serve their military forces. The United States Air Force also established its own radio and later television service in the former Wheelus Air Force base near Tripoli in Libya. The transmissions in every case were intended for their staff. In many cases, the services reached a small fraction of the nationals.(5)

As a public service, sound broadcasting was started at different dates in the Arab world; in Iraq it was introduced in 1936, in Syria the date was 1945, in Saudi Arabia 1950; other countries such as Qatar had to wait to the sixties to start their sound emissions. The newest Arab broadcasting service is Oman's which was inaugurated in 1970.

Today there is no Arab country without a sound broadcasting service. In all Arab countries the number of transmitters has considerably increased over the last ten years; in Libya, Sudan, and Lebanon the number of transmitters has doubled during this period. In Jordan, Kuwait, and Saudi Arabia this number has tripled. Today the Arab Middle East is covered with a network of over 244 long, medium, short, and FM transmitters. With a combined power of over 23,5000 KW this network covers practically all the Arab populations; Egypt reports a 99.6% coverage, Mauritania 90%, and Jordan 95%.

Arab radio audiences have grown rapidly during the last decade. In fact the rate of growth of radio ownership in some Arab countries has been among the highest in the world.

seven countries owned their national news agencies and the rest of the Arab world depended on them. All Arab news agencies serve their press, radio and television services but their scope and coverage, however, vary from one country to the other. Egypt's MENA for example maintains bureaus in all Arab capitals, in addition to some major European cities such as London, Paris, Belgrade, and Berlin. It serves over four hundred subscribers with an average of 20,000 words of news daily in Arabic and some 6,500 words in English. In addition to news, features, and photographs, MENA offers its subscribers a television news service. Like most of its Arab counterparts, it subscribes to the major world news agencies and exchanges news with a number of them.

All Arab news agencies issue both national news received from their own correspondents and international news received from both their own correspondents and from the international news agencies. Photos, economic news bulletins and audio-radio services are among the services they also provide. News transmission is made through such media as cable-teleprinter, circuits, radio teleprinters, telex, telephones and air mail; satellites are yet to be used for that purpose.

Countries which have not yet initiated their own national news agencies, such as Mauritania, depend on their own reporters for national news and on Arab and world news agencies for international news. In Mauritania the government issues a free daily information bulletin for the use of its mass media. It is also of interest to note here that the Palestinian Liberation Organization established its own news agency, the Palestinian News Agency in the early seventies.

With the exception of Morocco's Maghreb Arabe Presse (MAP) a private company, all Arab news agencies are government owned and state controlled. MAP constitutes an important news agency for the Arab speaking countries. It supplies its 70 subscribers with 210,000 words of Arabic, and 180,000 words of French daily.

A look at the future development of Arab news agencies is rather reassuring. The problems that usually hamper the development of news agencies and limit their exchanges, such as multi-linguialism and difficulty in teletype transmission of characters are non-existant in the Arab Middle East. It is the personnel development and its training that these countries have to contend with to efficiently link the region. Part of this problem is already being faced and solved by the various institutes for the

press could take the form of weeklies or single sheets, some printed in minority languages such as Kurdish and Berber for remote small communities. It is hoped that the Arab mass media education institutions and training centers will turn out the needed personnel to fulfil this vital task.

Unlike radio and in some cases television, the press reaches far fewer people as a reporter of news in the Arab world. A number of factors contribute to this effect. First, the press is rather young in many Arab countries. Secondly, a high rate of illiteracy adds to the burdens of press development. In addition, newsprint has to be imported from foreign markets and except for the oil rich Arab states hard currency is often lacking or used for more pressing priorities. Poor transportations facilities for transmission of news, slow and often poor communication between the large cities where the papers are published and the rural areas are other factors that limit newspaper circulation. Financial factors such as low income and lack of advertising income also limit the rate of newspaper circulation in Arab countries.

One factor that works for the Arab press, however, is the unity of language. Combined with the recent introduction of new technologies of printing, production, data transmission; and with the expected accelerated rate of development, it is hoped that the Arab press will soon enjoy a wider dissemination and play a vital role in the Arab world.

One factor that works for the Arab press, however, is the unity of language. Combined with the recent introduction of new technologies of printing, production, and data transmission; and the expected accelerated rate of development it is hoped that the Arab press will soon enjoy a wider dessemination and play a vital role in the Arab world.

News Agencies in The Arab World

Until 1955 when the Egyptian Middle East News Agency (MENA) and the Sudanese Sudan National News Agency (SUNA) were founded, the Arabic press depended on the world news agencies for their international news stories.

Today, fifteen Arab countries own their national news agencies,(3) and three countries are members of the newly formed Gulf News Agency, and six Arab countries do not. In addition seven countries are members of the newly formed Gulf News Agency.(4) A decade and a half ago only

As table 3 indicates all figures indicate an upward trend, but the increase over the last ten years in the number of copies of dailies per thousand varies from one Arab country to another. Somalia, Libya, and Algeria reported an approximate increase of 200% over this period while Mauritania reported only a 4% increase. The largest leaps according to the figures shown on table 3 were taken by both Kuwait which reported a 1,100% increase, and the People's Democratic Public of Yemen which had a 633% increase in newspaper circulation.

All figures pertaining to 1975 point to one fact, however, namely that none of the Arab countries reaches the minimum standard for dailies circulation set by Unesco as a criterion of adequate coverage, i.e. 100 copies of dailies per 1000 inhabitants. These figures, however, do not reflect the actual sizes of readerships of Arabic dailies. The latter are considerably larger than circulation figures would suggest, due to a number of factors and practices. For one thing the average size of the Arab family is larger than that of its Western counterpart, which makes for a wider circulation for a single copy. The reading aloud of the day's edition in the evening to the assembled village inhabitants is another of these practices; such reading takes place either informally in coffee houses and clubs, or formally in village recreation centers. In many countries dailies are displayed in public places for literates who cannot afford the price of the paper. Joint ownership of a paper by a number of families and pass-along readership are also common practices. Renting newspapers and periodicals by the day, or reading them at the press kiosques is not uncommon. All these practices swell the circulation number of the dailies and account for untold additional numbers of readers.

In spite of its circulation of 20 copies per thousand, Egypt has the third highest rate of daily readership in Africa.(2) In addtion, several of its dailies and periodicals have large readerships in the other Arab countries. The same is true of other major Arab publications which are made available to the Arab masses by air mail.

Local and rural publication of papers and weeklies is not common in the Arab world. Most of the Arab dailies and periodicals are published in the Arab capitals with few published in the rest of the large cities. This is regretable because the Arab countries need to develop and encourage a provincial press to support their development programs. Such

and periodicals that leads the other Arab countries in that respect, followed by Egypt with 201 and Algeria with 108 such publications. In fact Lebanon ranks third among Asian nations in the publication of periodicals and non-dailies. With the exception of the Peoples' Democratic Republic of China on which statistics are unavailable, Lebanon comes after India which has 4,012 such publications and Japan which publishes 800 non-dailies.

Although the number of readers these publications reach is unavailable, it is estimated that they have very large readerships.

Figures about the circulation of Arab dailies and the number of copies of dailies per thousand inhabitants are available.

TABLE 3

Number of Copies of Arab Dailies
per 1000 in 1962 and 1975

Country	1962	1975
Algeria	0.24	18
Egypt	0.20	20
Libya	0.07	17
Mauritania	0.05	0.2
Morocco	0.14	16
Somalia	0.01	2
Sudan	0.05	N. R.*
Tunisia	0.23	21
Iraq	N. R.	N. R.
Jordan	0.27	23
Kuwait	0.04	44
Lebanon	0.97	N. R.
Oman	N. R.	N. R.
Qatar	N. R.	N. R.
Saudi Arabia	0.04	7
Syria	0.19	9
U. A. Emirates		N. R.
A. R. of Yemen	N. R.	N. R.
P. D. R. of Yemen	0.03	19
Bahrein	No dailies	N. R.

* Not Reported

TABLE 2

Combined Number of Arab Non-dailies
and Periodicals in 1962 and 1975

Country	1962	1975
Algeria	144	108
Egypt	N. R. (1)	201
Libya	21*	21
Mauritania	2**	2**
Morocco	44	52**
Somalia	8	2*
Sudan	42	32
Tunisia	82	67
Iraq	28	15**
Jordan	1*	30
Kuwait	7	32
Lebanon	N. R.	366
Oman	None	1**
Qatar	None	2**
Saudi Arabia	15	15
Syria	52	47
U.A. Emirates	None	1**
A.R. of Yemen	3	1**
P.D.R. of Yemen	15	5**
Bahrein	3	18

1 Not reported.
* Number of periodicals only.
** Number of non-dailies only.

Two countries, Oman and Qatar, which had no periodicals and non-dailies published in the sixties, have stated such publications in the seventies. But it is Lebanon with its combined publication of 366 non-dailies

had a combined number of 416 papers, periodicals, and non-dailies in the late fifties.(1) Of these only 215 remain, the rest, particularly those published in foreign languages, disappeared.

Today all Middle Eastern countries publish at least one daily newspaper in Arabic. Ten of these countries publish at least one daily in a foreign language. Where dailies are not published in foreign languages, weeklies and periodicals are made available to national minorities and foreign readership in languages such as Turkoman, Kurdish, Spanish, French, Italian, English, and Armenian.

Data about the number of periodicals and non-dailies published by the Arab press over the last three decades are incomplete. Table 2, however, shows a marked increase in production particularly in Kuwait where it increased from 7 to 32 periodicals, and Bahrein where it increased by 15 in the last decade.

maintained their level of publication. The decline in the number of dailies is particularly obvious in Egypt and Algeria which lost more than half of their dailies in the last ten years. Of the 40 dailies that supplied the Syrians with news during the last decade only 5 remain today. Egypt

TABLE 1

Number of Dailies in 1962 and 1974

Country	1962	1974
Algeria	7	4
Egypt	33	14
Libya	4	7
Mauritania	1	1
Morocco	9	6
Somalia	1	1
Sudan	7	4
Tunisia	5	4
Iraq	10	7
Jordan	8	4
Kuwait	2	6
Lebanon	46	52
Oman	None	1
Qatar	None	1
Saudi Arabia	4	5
Syria	40	5
United Arab Emirates	None	1
Arab Republic of Yemen	1	3
People's Republic of Yemen	5	4
Bahrein	None	1

On the one hand the local papers which had been serving mainly the former colonial rulers and foreign communities living in the Arab countries began to address themselves to the problems, issues, and tastes of the indigenous populations. They came to reflect the hopes and aspirations of the newly independent states, to endorse their new plans, and to reinforce their new slogans. The Arab press found a new readership. It also found a new role, namely that of developing the newly liberated nations.

This change in readership and role, on the other hand, naturally brought with it a second change, namely the significant decline in the number of dailies and periodicals published in foreign languages.

Thus, Morocco which had seven dailies published in French and only two dailies published in Arabic in 1950, now publishes three major dailies in Arabic and only one in French. Algeria which had all its ten dailies published in French in 1950 has now one major daily published in Arabic and a second one published in French.

Because freedom of the press is a function of both the type of political system of a country and its state of internal stability, the Arab press has reflected these factors throughout its existence. At times it witnessed a boom in freedom of expression that was followed by long periods of heavy-handed censorship. Historically, Egypt was the seat of the young, vigorous and independent Arabic press, but as clouds of censorship overcast the Cairo scene, Arab capitals such as Beirut, Tunis, Kuwait and others saw the flourishing of a diversified and outspoken press.

Viewed statistically over the last few decades, the picture that the Arab press presents is similar to that of the world press; namely, that the total number of dailies has decreased concurrent with increased readership. The picture is not, however, that simple, for it differs among Arab nations. In Algeria, Morocco, Tunisia, Jordan, and Syria, as Table 1 and 3 indicate, the decrease in the number of dailies has been accompanied by a significant increase in circulation. Other countries, such as Libya, Kuwait, Lebanon, the Arab Republic of Yemen, and Saudi Arabia have witnessed a boom in both the number of dailies and in circulation.

Table 1 indicates that nine Arab countries publish fewer newspapers today than they did in the sixties, nine countries publish more, and two

roles, outputs, and content of the media. In terms of national development, they are in somewhat different stages, thereby making different demands on their media. In terms of material wealth and production the Arab countries reveal a wide disparity which includes some of the highest and some of the lowest per capita incomes of the world. All these contrasts are reflected in the structure and performance of the mass media in the region.

To add to the complexity of the study of Arab mass media, the researcher is faced with the variety of dimensions and levels at which these media function. This is particularly true of Arab countries which play or aspire to play leading roles in the regional and international affairs. Last but not least there exists the usual problem encountered when studying developing countries, namely the shortage of up-to-date and reliable data. For this last reason it was decided to exclude Djibouti which was admitted to the League of Arab Nations in 1976. In addition, because data on certain countries were more available than others, more frequent reference was made to them.

By mass communication media we mean the daily and non-daily press, radio and television broadcasting, motion pictures, and news agencies. Reference is also made to the use of satellites. Not included, however, are books and the theatre for which data were either unavailable or incomplete. The study, however, does include an investigation of the development and roles of the institutions for the study of communication and the centers of training for communications experts in the Arab world.

Numerical data were based on both information provided by individual Arab media and on publications by Unesco, such as World Communications and Unesco Statistical Yearbooks. Additional data were collected from interviews with officials of many Arab countries.

The Arab Press

The state of the press in the Arab world over the last few decades has reflected the great changes that have taken place in the area. One of the most significant events during that period has been the independence of the Arab states from colonial rule and this has had a twofold effect on the Arab press.

Mass Communication Media in the Arab World :

An overview 1950-1976

Sohair Barakat*

Introduction :

In its quest for progress the Arab world possesses great resources and potentialities yet is beset by a number of chronic problems and frustrations. In its attempt to understand itself and others, and to make itself understood to others, the Arab world in recent decades has experienced a rapid growth in its mass media. It is likely that this growth in media will continue at an increasing rate as the search for meaning continues and as the intraregional and international rivalries intensify to gain control over the march of events in the region.

Research about the Arab mass media, however, has been scant to date. Except for some excellent studies of the press of certain Arab countries, descriptions of existing Arab media systems, and publication by Unesco of statistical data about Arab mass media, little systematic research has been conducted to trace the beginings and development of the mass communication media in the Arab world, or to investigate their nature, roles, and coverage.

Not that all the Arab countries had a late start in the media. Journalism had a strong foothold in a number of Arab countries before the turn of the century; sound broadcasting and the art of the cinema were introduced in this area during the twenties. But it seems that the study of the mass communication media of this geographical area presents scholars with certain diffifficulties. For in spite of a common language, religion, history, and aspirations, the Arab world is made up of a mosaic of twenty one countries that reveal significant contrasts. For one thing these countries run the gamut of the political systems thus affecting the

---

* Assistant Professor of Communication and Research Methods, Cairo and Kuwait Universities.

CONTENTS

VOL. IIV **NO. 1** **APRIL 1979**

* **Subscriptions :**

* For individuals — KD. 1.000 per year in Kuwait. KD. 2.000 or equivalent in the Arab World (Air Mail). $ U.S. 10 or £ 4 for all other countries (Air Mail). Student rate is half the normal prices.
* For public and private institutions — $U.S. 25 or £ 12. (Air Mail).
* Sale price in Kuwait and the Arab World KD. (0.250) or equivalent.

Articles in the JSS are abstracted by Sociological Abstracts Inc. and International Political Science Abstracts.

KUWAIT UNIVERSITY

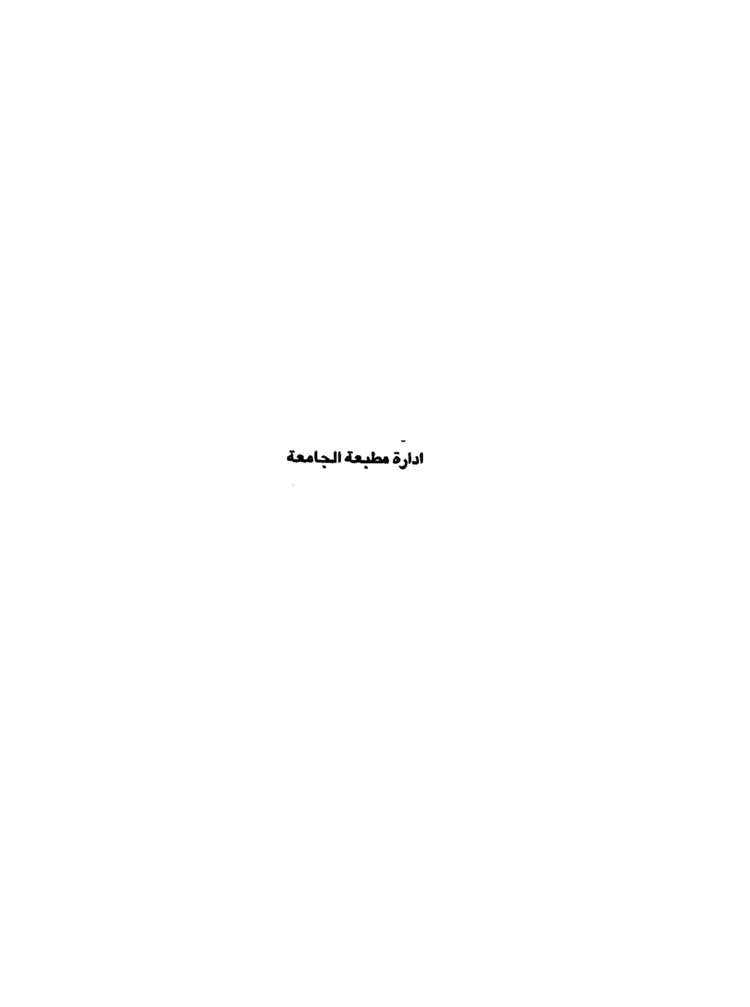
JOURNAL OF THE SOCIAL SCIENCES

Abbreviated : JSS

An academic quarterly with articles in Arabic and English, published by Kuwait University, concerned with issues pertaining to theoriesand or application of theories in the various fields of the social sciences.

* **Forward all correspondence and subscriptions to:**

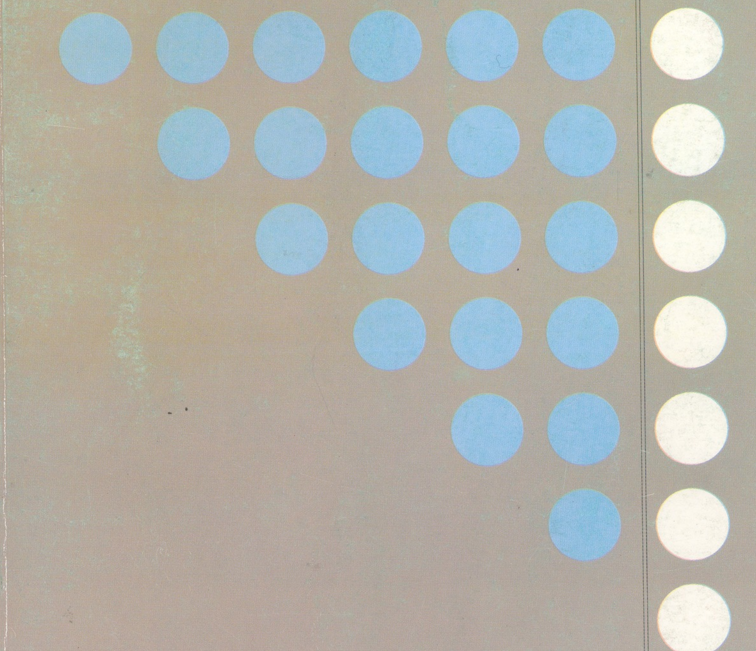
THE EDITOR
Journal of the Social Sciences
Kuwait University
P. O Box – 5486
Kuwait



ادارة مطبعة الجامعة

JOURNAL OF THE SOCIAL SCIENCES

VOL. IIX NO.1 APRIL 1979.



Kuwait University Press